الطبعة الخامسة
منقّحة ومزيدة

أدونيس

ديوان الشعر العربي

الجزء الأول

دار الساقي

أدونيس

ديوان الشعر العربي

الجزء الأول



بيروت ـ لندن

الطبعة الخامسة ٢٠١٠، مُنقَّحة ومزيدة

ISBN 978-1-85516-370-6

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ ـ ٢٠٣٣
هاتف: ٨٦٦٤٤٢ ١ ٩٦١٠، فاكس: ٨٦٦٤٤٣ ١ ٩٦١٠
e-mail: info@daralsaqi.com

إشارة

(حول الطبعة الجديدة الخامسة)

قلت في مقدّمة الطّبعة الثالثة من هذا الديوان: «أعترف لِلقرّاء الأصدقاء أنّ المعيار الذي اعتمدته في اختيار النصوص التي يضمّها هذا الدّيوان كان صارماً جدّاً. فقد استبعدتُ نصوصاً كان بعضهم يحبّونها، أو تشكّل جزءاً من ذاكرتهم الشعريّة. وأعترف أنّه خطرَ لي، فيما أفكّر في هذه الطّبعة أن أجعل هذا المعيارَ أكثر ليناً وسعةً. لكن، سُرعان ما بدا لي أنّ مثلَ هذا العمل يفترض أن أعيد من جديدٍ قراءة الشعر العربيّ كلّه».

إذاً، ها هو المعيار يتّسع ويَلين في هذه الطّبعة الخامسة، وبخاصّةٍ في ما يتعلّق بشعر الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، والتي لا نزال نطلق عليها اسم «الجاهليّة»، وهي الجذر والأساسُ اللّذان ينهض عليهما الشعر العربيّ واللّغة العربيّة.

تمكن قراءة هذا الشعر من منظوراتٍ مختلفة. ويمكن أن يتمَّ اختيار مجموعاتٍ منه، انطلاقاً من كلّ منظور. يمكنُ تِبعاً لذلك أن يُقوَّم هذا الشّعر بطرقٍ ودلالاتٍ مختلفة ومتنوّعة. فقابليّة النّص أن يُقرأ قراءاتٍ كثيرة، دليلٌ على غِناه، وعلى أهمّيته.

بالنسبة إليَّ، أكتفي الآن بما قدّمت للشعر العربي في هذا الدّيوان، وبالأبحاث العديدة التي خصّصتُها له، في أكثر من كتاب.

أدونيس

(بيروت، كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠)

الهامش الذي صار متناً

(مقدّمة الطبعة الرابعة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦)

ـ ١ ـ

تسعدني هذه الطبعة الجديدة لـ «ديوان الشعر العربي» وذلك لسببين رئيسين:

الأول ثقافي ـ اجتماعي يتمثل في أن هذه الطبعة تتم بمبادرة من أصدقاء، كُتّاب وشُعراء، أعتز بهم جميعاً ـ صداقة، وشعراً، وكتابة. وفي أن هذه المبادرة تهدف إلى الربط أكثر فأكثر بين الشعر والناس، تأكيداً على أن الشعر هو في الثقافة الأفق الأكثر رحابة، والهواء الأكثر نقاوة، وعلى أنّه التعبير الأجمل والأكمل عن الهوية. وهو هدف توفِّر تحقيقه بساطة هذه الطبعة. وفي ذلك ما يُسهِّل انتشار هذا الديوان، وإمكان اقتنائه.

السبب الثاني فني ـ إبداعي. فقد أنجزت اختيار هذا الديوان في مناخ ثقافي، صراعي، خلافي، وحاد، ولدته تجربة الحداثة في الشعر العربي، وتحديداً كما تمثلت في مجلة «شعر». وقد مثل نشر الديوان، آنذاك، بأجزائه الثلاثة، نوعاً من النقاش غير

المباشر، حول بعض المشكلات التي أثارتها هذه التجربة، في كل ما يتصل بالعلاقة مع التراث، والنظرة إليه، وكيفية فهمه، وبخاصة الشعر وجماليته المرتبطة بخصوصية اللغة العربية.

ويذكر المعنيون حدة الهجوم على هذه التجربة، وكيف أنه تخطى الحدود الشعرية ـ الفنية إلى تجريح شعرائها، والتشهير بهم، والتحريض عليهم، واتهامهم سياسياً بالعمالة للأجنبي، وبهدم التراث، واللغة العربية. يذكرون أيضاً كيف كانت السياسة عمياء بحيث شَارَكَ في هذا الهجوم، والتقى فيه صفاً واحداً، كُتّابٌ من اليمين وكُتّابَ من اليسار.

ومما يجب ذكره هنا، للاعتبار والفائدة، أن القائمين بهذا الهجوم لم يكونوا يصدرون عن وعي حقيقي بالشعر العربي، أو عن تمجيده والدفاع عنه، بل كانوا يصدرون عن «وعي» آخر، وإلا لكانوا دافعوا عنه، في المقام الأول، ضد الثقافة المؤسسية السائدة، في المدارس والجامعات والحياة العامة، فهذه الثقافة شوهت الشعر العربي بسطحية نظرتها، وابتذاليتها، وتقليديتها، مما ولّد هوة كبيرة بينه وبين الذائقة الفنية عند الأجيال العربية الطالعة.

ـ ٢ ـ

كانت نقطة الارتكاز، بالنسبة إليَّ في هذا النقاش، هي أن الحداثة الشعرية العربية ليست قطيعة مع الشعرية العربية، أو التراث، وإنما هي، على العكس، تنويع يصل في بعض ظواهره،

أحياناً، إلى أن يكون شكلاً من أشكال الاستئناف. فالقطيعة مستحيلة: إذ كيف يمكن أن نلغي نهراً لا نزال نسبح في مائه؟ ولئن كنت تكلمت شخصياً على القطيعة مع الماضي، فإن ذلك جاء في سياق مختلف، وكانت له، تبعاً لذلك، دلالات مختلفة. فالماضي شيء آخر. الشعر لا يمضي، وإنما هو حضور دائم.

فرضت تجربة الحداثة أمرين:

١ ـ إعادة النظر في الشعر العربي، لفهمه فهماً حديثاً.

٢ ـ إعادة النظر في أشكاله وطرائق تعبيره، لابتكار أشكال جديدة، وطرائق تعبير جديدة.

من الناحية الأولى، قدمت الشعر العربي في منظور يشدد على ما كان يعد هامشياً، وفي مرتبة متأخرة، وأعني الشعر الذي انطلق من تجربة شخصية ـ حباً، أو حزناً، أو تمرداً، أو تشرداً. أو استند أساسياً إلى المخيلة، وعني بالعوالم الداخلية ـ النفسية والفكرية. وفي ذلك أهملت الشعر الذي كان مقدماً وفي الصدارة، الشعر القائم، جوهرياً، على البلاغة اللغوية، تصادياً مع «البلاغة السياسية ـ الاجتماعية» شعر المدح، والفخر، والرثاء، والهجاء. الشعر الذي لا مكان فيه إلا للذاكرة الجماعية، أو للشأن العام، كأنه «ساحة» أو «سوق» أو «نظام».

هكذا تمّ انقلاب كامل في النظر إلى الشعر العربي، تترتب عليه، بالضرورة، علاقات جديدة معه، ثقافياً وفنياً. وكانت الناحية الثانية نتيجة طبيعية للأولى، وتتمثل في تغيّر مفهوم الشعر، وتبعاً لذلك في تغيُّر طُرق التعبير، وفي ارتياد آفاق أخرى، وطرح

قضايا أخرى، وابتكار أشكال فنية وطرق تعبيرية أخرى تفرضها طبيعة التجربة، وطبيعة المرحلة التاريخية، وطبيعة التغيُّرات الإنسانية والحضارية.

ـ ٣ ـ

اليوم، بعد مرور حوالى نصف قرن على صدور «ديوان الشعر العربي» بأجزائه الثلاثة (تحديداً اثنين وأربعين عاماً، فقد صدر جزؤه الأول في العام ١٩٦٤ عن دار المكتبة العصرية في بيروت) فإنه يبدو بمثابة حد فاصل: الشعر العربي قبله، والشعر العربي بعده. ولهذا يبدو كأنه المرجع الفني الجمالي الأول للشعر العربي، لا نقرأ فيه السلطة، بل الإنسان. ولا نرى فيه المؤسسة، بل الفرد. ولا السياسة، بل الحرية. ولا القبلية، بل التمرد. ولا بلاغة المتَّبِع بل تجربة المبدع.

نرى فيه، باختصار، الشعر الذي يحقق الوحدة، كأي شعر عظيم، بين العابر التاريخي، والأبدي الإنساني. وهو، في ذلك، يمثّل الينبوع الأول، والمادة الأولى للحداثة الشعرية العربية. هكذا يكتب شعر الحداثة، اليوم، باللغة نفسها التي كتب بها شاعرنا الأول «قائدنا إلى الجحيم»، امرؤ القيس. فلا تقدر الحداثة أن تبتكر جمالاً جديداً بلغة تجهل جماليَّتها، وتاريخها الجمالي.

أدونيس

(باريس، أغسطس/آب ٢٠٠٦)

إلى القارئ الصديق

(مقدّمة الطبعة الثالثة، دمشق ١٩٩٦)

I

كان ممكناً أن يُطبع هذا الديوان بأجزائه الثلاثة أكثر مما طبع حتى الآن، استناداً إلى الترحاب الكبير الذي لقيه، منذ صدوره، في أواسط الستينات. وإذا اتخذنا من السؤال المتزايد عنه مقياساً للحاجة إليه (نفدت طبعته الثانية التي صدرت عن دار الفكر في بيروت، سنة ١٩٨٦، وكان قد صدر في طبعته الأولى، عن دار المكتبة العصرية في بيروت، بين ١٩٦٤-١٩٦٨)، فإن هذه الحاجة، كما يشهد هذا السؤال، قوية وملحة.

هكذا تقوم «دار المدى» بإنجاز هذه الطبعة الثالثة، تلبية للرغبة العميقة عند القُراء العرب في العودة إلى الشعر، والسفر فيه ومعه إلى مناطق في حياتهم ـ واقعاً ومثالاً، يَصْبون إليها، ويشعرون، عبر هذه الصّبوة، بالغبطة والطمأنينة، وليس هناك ما يوصلهم إليها، أو يربطهم بها، إلا الشعر.

أعترف للقُراء الأصدقاء أن المعيار الذي اعتمدته في اختيار

النصوص التي يضمها هذا الديوان، كان صارماً جداً. فقد استبعدت نصوصاً كان بعضهم يحبونها، أو تشكّل جزءاً من ذاكرتهم الشعرية. وأعترف أنه خطر لي، فيما أفكِّر في هذه الطبعة، أن أجعل هذا المعيار أكثر لِيناً وسعة. لكن سرعان ما بدا لي أن مثل هذا العمل يفترض أن أُعيد من جديد قراءة الشعر العربي كله ممّا يتعذر عليّ القيام به في هذه المرحلة من انهماكي في أعمال كتابية أخرى تأخذ وقتي كاملاً.

هكذا رأيت أن أحتفظ بهذه الصرامة، وأعيد طبع الديوان كما هو. وربما عملت، في مرحلة لاحقة، على طبعة جديدة، أراعي فيها اللين والرحابة، وأتلافى بعض الأخطاء الناتجة، أساساً، عن النسيان أو عدم الانتباه، وأضيف جزءاً رابعاً خاصاً بالتجربة الشعرية العربية الحديثة.

II

أزداد إعجاباً بالشعر العربي، ذلك أنني ازداد وعياً وقناعةً بأنه، بين وسائل الإفصاح عن الطاقة الإبداعية العربية، الأكثر جذرية وشمولاً، والأكثر حضوراً وكشفاً. ويخيّل إليّ أنه، الآن، في نهايات هذا القرن، الوحيد الذي يعطي لهذه الطاقة بُعدها الإنساني وبعدها الكوني على السواء.

III

الشعر العربي، منظوراً إليه من هذه الزاوية وفي هذا

المستوى، هو الهواء الأنقى الذي تتنفسه رئة الإبداع العربي. لكن هذا الهواء، مع ذلك، مؤطّرٌ وشبه محاصر، ويوشك أن «ينقطع» ـ سجيناً في أنابيب السياسة التي لا ترى أبعد من كرسيها المهيمن، والإيديولوجيا العمياء والتذوق المشوّش الكَدِر، والمعايير التي لا ترى في الإبداع الفني الجمالي إلا وظيفيته و«فاعليته» المباشرة. وذلك مِمّا يجعل هذه الرئة نفسها تضيق، وتضطرب حتى لتكاد أن تختنق.

ولا أريد هنا أن أدخل في الكلام على الأسباب الكامنة وراء هذا كله، وعلى التآويل الممكنة التي تُعلِّل وتجادل ـ فتسوغ، أو تصدر أحكاماً قاطعة.

أكتفي بالقول إن موت الشعر عند العرب هو موتٌ للغة العربية، أو هو، على الأقل، نهاية الدفعة الخلاّقة العظيمة التي عشناها، بوصفنا عرباً، طول عشرين قرناً.

أدونيس

(باريس، نيسان ١٩٩٦)

مقدمة

(الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٤)

I

يجيب «ديوان الشعر العربي» عن أسئلة شخصية طرحتها وأطرحها حول وضع الشعر العربي. وباعث هذه الأسئلة هو يقيني بقيمة هذا الشعر وأهميته. أريد أن أضيف إلى ذلك تأكيدي بأن عملي هذا عمل شاعر لا مؤرخ أو عالم.

نُدرك أهمية هذا الديوان حين نتذكر أن الطاقة الإبداعية الأولى عند العربي هي الطاقة الشعرية، ونعرف كثرة الشعر الذي ورثناه عن أسلافنا ومقدار تنوعه وكثرة المصادر وتبددها واختلاف الروايات فيها، وحين نعرف أخيراً أن مكتبتنا الشعرية خالية من مجموعات جديدة تمّ اختيارها بوجهات نظر جديدة.

إلاّ أن هذا الديوان ليس ضرورة مرجعية يملأ فراغاً في مصادرنا الشعرية بقدر ما يملأ أيضاً فراغاً فنياً. إنه متحف للشعر العربي مختصر وجامع. فالشعر العربي، شأنه في ذلك شأن الشعر في العالم، يحتاج إلى إعادات نظر دائمة في ضوء الحاضر.

ويمكن النظر إلى هذا الديوان بوصفه فاتحة لهذه الإعادات. فما سبقه، باستثناء حماسة أبي تمام، كان جمعاً تقليدياً يؤكد المقاييس السائدة والذوق الشائع. وهذه فاتحة ضرورية ينبغي أن تتلوها محاولات ثانية ـ بروح هذه الغاية، لكن بوجهات نظر أخرى. وتبدو أهمية هذه البداية وضرورتها، خصوصاً في مرحلتنا الانتقالية الشعرية، حيث نشهد نوعاً من التحوُّل يتردد بين قِيم القديم وقِيم الحديث، بين جمال الطبيعة وجمال الخلق.

ثم إن هذا المتحف الشعري يساعد في إعادة الاعتبار إلى الشعر كفاعلية إبداع أولى في الحياة العربية. ذلك أن دوره الآن بدأ يتضاءل بالنسبة إلى مستوى رسالته الأصلية في حياة العرب. هذه ظاهرة أزمة، علينا أن نعترف بها. ومهما تكن أسبابها سياسية أو دينية أو راجعة إلى طبيعة مرحلتنا التاريخية، فإن هذا لا يجوز أن يلهينا عن التأمل فيها ودراستها.

وهذا المتحف التراثي يدعم إيماننا، نحن المؤمنين بضرورة التحول وولادة قِيم جديدة، ضد الذين يتمسكون بالتراث ـ حرفاً وإعادة واجتراراً. فالديوان دليل تراثي على أن الشعر الباقي ليس الشعر الذي يعلِّم أو يكون صدى للظروف والأوضاع الخارجية. وهو أيضاً دليل يدعم يقيننا بالفرق الكبير الذي قد يصل إلى درجة الفرق النوعي، بين النظم والشعر. لم يبقَ من تراثنا الشعري غير الشعر. هذا ينبهنا، اعتماداً على تراثنا نفسه، إلى أن الأهمية الأولى في الشعر ليست في مراعاة الأصول النظمية وإنما هي في الاستسلام لجموح الموهبة وهواها، وترك التجربة تأخذ الشكل

الذي يلائمها، بعفوية ودون قيد مسبّق من أي نوع كان. الشعر طاقة متحركة، لا تحد بأي شكل نهائي، فبالأحرى ألا تحد بأي وزن مفروض.

ثم إن هناك تقليداً طويل العهد أفسد الذائقة الأدبية عند العربي، وشوه بالتالي نظره إلى الشعر. إنه تقليد السياسة والدولة وصراع الحكم وما يرافقه. هذا التقليد يستمر بشكل أو بآخر ويوجه إلى مدى بعيد قسماً كبيراً من أجيالنا الطالعة. إن «ديوان الشعر العربي» محاولة للاستعانة بالتراث ذاته، وبصورة مباشرة، لإشاعة الجمال والشعر كما كان يفهمهما الشاعر العربي، بعيداً عن الخليفة والقبيلة، وللتدليل على أنه لا يصح أن نحدد أثراً شعرياً بمحتوى سياسي أو عقائدي، ولا يمكن كذلك أن نحكم عليه بمقياس سياسي. فهذا الديوان يضم شعراً لا يخدم مذهباً ولا عقيدة ولا دولة ولا شخصاً، ومع ذلك وبفضله يمكن القول إنه هو، وحده، مجدنا الشعري.

والديوان، بسبب من هذا كله،تقويمٌ آخر، ومعرفة أخرى للشعر العربي. فأنا أعتقد أننا، تقليديين ولا تقليديين، لا نعرف الشعر العربي حق المعرفة. ما نسميه عصر النهضة، بعد انحطاط دام ألف سنة، لم يكن إلا تقليداً للنماذج التراثية. ولم يتناول هذا التقليد الروح الداخلية في هذه النماذج، إذ لو فعل لكان أجدى. لكنه تناول الشكل، وفوق ذلك لم يفهم من الشكل إلا جانبه اللغوي. لهذا كانت النهضة، إذ جاز لنا أن نسميها كذلك، إحياء لأساليب اللغة القديمة. وكان من الطبيعي أن يوافق ذلك إحياء

النماذج الأدبية التي تتمثل فيها، قليلاً أو كثيراً، قوة اللغة وأصوليتها. هذا الإحياء لم يفهم روح اللغة العربية: نظر إليها من زاوية النحو والصرف، لا من زاوية الشعر والإبداع. لذلك لم يفهم الشعر العربي ولا الروح العربية.

اللغة العربية لغة انبثاق وتفجر، وليست لغة منطق أو ترابط سببي. إنها لغة وميض وبصيرة ـ امتدادٌ إنساني لسحر الطبيعة وأسرارها. في كل قصيدة عربية عظيمة، قصيدة ثانية هي اللغة. بهذه اللغة السحرية لا بلغة النحو والصرف آمن الشاعر العربي. هذا الإيمان حصيلة شعوره بأن العالم حوله يتفتت، ويتلاشى. هكذا يترك للغة أن تجمح فتبني هذا العالم وتهدمه على هواها. الموجود المباشر الحقيقي، هو اللغة لا العالم. ومن هنا كانت اللغة في نظر الجاهلي سحراً خارقاً، وفي نظر العربي عامة، عطية اللَّه.

طبيعي أن مثل تلك النظرة الشكلية التي سادت ما نسميه عصر النهضة لا يمكن أن تكون خلاقة، أو أن تفهم حقيقة التراث الشعري، بخاصة، ومعنى إحيائه، وأن تدرك الجدير بالإحياء أو بالإهمال. هكذا لم تقدم لنا تلك النهضة من تراثنا الأدبي والشعري إلا النتاج الذي يتردد بين نزعتي الحكمة والتعليم من جهة، والسياسة وما اتصل بها من مدح وهجاء من جهة ثانية. لم تقدم لنا غير النتاج الذي لا تبرز فيه شخصية الشاعر ونظرته وتجربته بقدر ما تبرز فيه شخصية المجتمع وعاداته وتقاليده

ومصطلحاته السائدة ـ النتاج الذي لا يمكن، بتعبير آخر، أن يفيد في نهضة شعرية حقاً.

علينا، من هذه الناحية، أن نعذر الذين يقولون لنا، من الأجيال الطالعة، إن الشعر العربي رتيب عادي لا يأسر ولا يفاجئ ولا يهز. فقد نقلته إليهم عقليات ومناهج لا ترى فيه أبعد من المفردات والوزن والموضوعات التي اصْطُلِحَ عليها والمقاييس التي شاعت. وهكذا بدا لهذه الأجيال شعراً جافاً بعيداً. وبدا، في جفافه وبعده، خالياً من الفن. وقد تطور موقف اتهام الشعر العربي القديم إلى عزوف عن قراءته، وخصوصاً بين فئات الجيل الطالع، وربما لم يعد يجد فيه الكثير بينهم أكثر من ظواهر ماتت لا تجوز العودة إليها.

وساعد النقد الشعري في تمكين العزوف وزيادته. فقد اكتفى هذا النقد، على الأغلب، بأن يكرّر مقاييس النقد القديم، وينقله بشكل أو آخر ـ فيدور حول شكل الشعر وصناعته وأوزانه دون أصالة في النظر تذهب إلى ما هو أبعد وأعمق.

إن النهضة الحقيقية تبدأ في الربع الثاني من القرن العشرين، حيث توقف التقليد الأعمى، وبدأ المفكرون والشعراء والكُتّاب يفهمون عصرهم، وينظرون إلى تراثهم من خلال التغيير الشامل الذي طرأ على الحساسية الشعرية في القرن العشرين، ويعيدون النظر أساسياً في كل شيء، مخضعين للنقد المقاييس والقِيم الماضية جميعاً.

ما المقاييس التي اعتمدتها في اختيار «ديوان الشعر العربي»؟
عن هذا السؤال أجيب أن اختياري شخصي. فالاختيار الفني مهما حاول الإفادة من قِيم جمالية غير شخصية يبقى، كما أرى، شخصياً خاضعاً لآلاف اللطائف، الدفينة أو الظاهرة، المتأصّلة أو العابرة، حتى ليستحيل إخضاع حركتها إلى أية منهجية واضحة.

حاولت أن أنظر إلى الشعر العربي من ناحية القيمة الفنية الخالصة التي تتجاوز حدود الزمان والمكان، وتتخطى الاعتبارات التاريخية والاجتماعية، لكن دون أن يعني ذلك أنني نفيت أهميتها ودورها. الشعر يكتسب قيمته الأخيرة من داخله، من غنى التجربة والتعبير، وليس من الخارج، مما يغكسه أو يُعبِّر عنه. فلا يمكن تقويم الشعر بمقياس النّظر إليه بوصفه وثيقة اجتماعية أو تاريخية، أو بوصفه يتناول موضوعات معيّنة دون أخرى. إنه صوت كاف بنفسه، قائم بذاته، فيما وراء موضوعه وبيئته.

أن يكون امرؤ القيس أو غيره غنّى ليل الصحراء ونهارها أو أي موضوع آخر، أمرٌ ليس مُهمّاً بحد ذاته. المهمّ هو كيفية غنائه: هل ارتقى بالحادثة الجزئية إلى مستوى إنساني كلي؟ هل ما يزال تعبيره يحتفظ بالحرارة والعمق وحساسية الإبداع؟ هل سيطرت عليه الحالة المحيطة به، اجتماعياً وتاريخياً، فجرفته وصيَّرته صوتاً شاحباً يردد أصداءها ويكررها، أم أنه، فيما يراها ويعيشها ويعانيها، تعالى فوقها، بطاقة الشعر وزخم الإبداع؟

ينتج عن ذلك أنني تتبعت في اختياري الخط الذي يصلنا بشخص الشاعر ـ بهمومه وأفراحه وآلامه وحياته هو ـ فيما وراء

السياسة والقِيم الاجتماعية السائدة: الخيط الذي يصلنا بالشخص لا بالمجتمع، بالإبداع لا بالتاريخ، بالشعر لا بموضوع الشعر.

هذا يوجب عليّ أن أشير إلى أنني أميل إلى القول بأن المدح والهجاء وما يشابههما أو يتصل بهما، جزءٌ من تاريخنا السياسي والاجتماعي، أكثر مما هو جزءٌ من تاريخنا الشعري. وهذا يتضمن أنني لم أقوِّم الشعر العربي على أساس موضوعاته، وإنما قوّمته من حيث طريقة التعبير ومدى تجاوبها مع القِيم الشعرية المعاصرة ومع فهمي للشعر.

يفترض هذا كله أن يكون للشاعر الذي يقع اختياري على شيء من نتاجه، صوت خاص به دون غيره. وأن يكون هذا الصوت ملء اللغة الشعرية وملء قامة الشعر: لا يطيع إلا ضرورته الداخلية، بعيداً عن التقليد أو التكرار وعن استنساب الطريقة التعبيرية الشائعة.

سبقت هذا كله الحياة من جديد مع الشعر العربي. فلا نستطيع أن نتذوق أو نفهم أثراً فنياً ماضياً إلا إذا حيينا فيه من جديد: ندخل إليه من جميع أبوابه، ونمنحه الحضور.

لكن كيف نحيا مع قصائد الماضي؟ كيف نميِّز بين قصائد لا تزال تحتفظ بحضورها وقصائد جمدت وماتت؟ الجواب شخصي ولكلٍّ جوابه. ولئن كان اختيار الجواب حقاً للجميع، فليس هناك إلا قليلون جداً يعرفون الإجابة، ويعرفون كيف يعرضون من جديد، في ضوء العصر الذي نعيشه، الشعر القديم الذي لا يزال يحتفظ بحرارته وغناه. هذه أمورٌ تقتضي طاقة روحية

وفنّية كبيرة تتقمص هذا الشعر، وتعرف كيف تَستعيد أو تَسْتحضِرُ تجربته بوعيٍ وشعورٍ جَديدين وخلاّقين.

«. . . لو أنَّ الفتى حجر» ـ هذه الأمنية التي جاءت على لسان تميم بن مقبل، مفتاح من المفاتيح الأساسيّة لفهم الشعر الجاهلي. إنها مرصد نطل منه على جغرافيته الروحية وأبعادها. سلبياً، تكشف هذه الأمنية عن شعور العربي بأن الحياة هشة، سريعة الانكسار. فهي «ثوب مستعار» كما يصفها الأفوه الأودي، «أفسدها الموت» (كعب بن سعد الغنوي) ـ الموت الذي «يجري في النفس» كما تجري الشمس في السماء (قس بن ساعدة). فالإنسان «رهين بِلىً» (بشر بن أبي خازم الأسدي)، والقبر «بيت» الإنسان (دويد بن زيد)، و«بيت الحق» (الأفوه الأودي). إذاً، ليس هناك غبطة حقيقية، إذ ما هي «غبطة حي إلى الممات يصير»؟ (عدي بن زيد العبادي).

وتكشف، إيجابياً عن التوق إلى التغلب على الهشاشة والموت. ففيما يكتشف الشاعر العربي نفسه، يكتشف عبثية العالم الذي يرتبط به، مع ذلك، مصيره. هكذا تنمو ذاته في وحدة مزدوجة: لا صلة لها بما تتأمله، وهي كلما ازدادت تأملاً فيه تزداد إدراكاً للهاوية التي تفصلها عنه. وحين يتضح للإنسان انفصاله عن الأشياء حوله، يتضح له نقصه، وبالتالي، تعطشه لكمال لا يتحقق إلا في الخارج. يشعر، وهو يشارك الأشياء وجودها، أنه يعيش

وقتياً. يتعذب عذاب من لا يقدر إلا أن يخضع في النهاية. إنه خارج نفسه وخارج العالم معاً: كئيب يعتزل، ينتظر، يتململ، يغامر، ويتمنى أن يقهر الزمن والموت والتغيُّر، يتمنى أن يصير كالحجر.

لهذا الوعي طابع فاجع عند الجاهلي، لأنه في بحثه عن المخارج، لم تكن تحركه فاعلية دينية نحو تعالٍ إلّهي يخلص. فهو عالق بالأرض يبحث، من خلال وثنيته، عن تعال من نوع آخر، هو التعالي الأرضي. ليس له غير الأرض ـ يخلص لها ويخضع لإيقاعها. والإخلاص للأرض دخولٌ في العمل والحركة، أي فروسيّةٌ وبطولة، من جهة، وهو، من جهة ثانية، يفترض الاتجاه إلى الخارج لفهمه والسيطرة عليه. الصحراء هنا هي الخارج، والصحراء عدو: لا تعطي، وهي مكان التغيُّر والغياب. المكان، لذلك، ذو أهمية أولى في فهم الشعر الجاهلي.

للمكان عند الشاعر الجاهلي وجهان: وجه يجذب، ففي المكان وحده ترتسم تحققات الفروسيّة وأبعاد الفارس. ووجه يخيف، إذ من المكان أيضاً تأتي مفاجآت السقوط. ومكان الشاعر الجاهلي، لريحه ورمله، نوع من المكان ـ الزمان: ينحني، يتداخل، ينتقل، يحيِّر ويضيِّع. إنه المكان ـ المتاه. من هنا هاجس الشاعر الجاهلي ليجعل من المكان ملجأ. من هنا حسرته حين يرى إلى الأشياء تتهدم وتغيب. فالمكان لغة ثانية خفية في تضاعيف القصيدة الجاهلية.

هذا المكان لا يتيح أي شيء إلا بالقوة. تصبح إرادة السيطرة

والتملك عند الإنسان، المحرك الأول. هكذا: حياة الشاعر الجاهلي بؤرة نفسية يتلاقى فيها المكان والزمان، الضرورة والمصادفة. وهكذا يعرض نفسه قصدياً لمصادفات الحياة. فمن يملك الشجاعة ليجابه خطر المكان هو، وحده، يعرف كيف يكون سيد مصيره.

عجز الشاعر الجاهلي عن السيطرة على المكان، فأخذ، تعويضاً، يملأ شقوق عالمه بالبطولة. البطولة تطهر الحياة وتصعدها وتعيد لها زهوها وامتلاءها. وفي البطولة تتغيّر صورة العالم: يصبح الوجود انعكاساً للذات في مثالية شخصية، ويصبح العالم حركة فعل واقتحام وفروسية. يستسلم العالم في البطولة كما يستسلم في الحلم، فيتحد بالبطل وتزول، إذاك، الحدود بينه وبين الإنسان ـ بين المظهر والجوهر.

البطولة لعب يهز الحياة، يفتتحها أو يغتصبها. والبطولة مغامرة: حين نغامر نغيّر وجودنا. نغامر؛ فنتغيّر، فنحظى بنفوسنا. نتخذ المغامرة طريقاً ـ نظل في هجرة خارج نفوسنا، لغاية واحدة: أن نجد نفوسنا.

تعبّر البطولة عن نفسها بلغة متحركة. تخاطب الأعصاب والجلد والعضلات والحواس، أما الروح فتسحرها. اللغة هنا صورة الحركة الساحرة: فعّالة، سلسلة من الإشارات الروحية تملأ الجسم نشوةً تُحرّك وتَفْتَتِح. ولئن رأينا في نبرة الشاعر

الجاهلي ولغته غلواً في التصوير والتعبير، فإن مرد ذلك إلى أنه لا يقدر أن يقبل العالم أو يراه إلا في مستوى شعوره ـ مستوى البطولة والمغامرة: في الأشياء أيضاً يجب أن تجري دماء الفروسية.

وفروسية الشاعر الجاهلي لا تُعبِّر عن نفسها ببطش أعمى، بل تُعبِّر بشهامة تحتضن حتى الأعداء. المرأة التي تسبى لا تُذل، تبقى امرأة حرة «تخلط بخير النساء» (حاتم الطائي). وليس القتل غاية، بل دفاع وجزء من سياق الظفر والتفوق. إنها فروسية النجدة، تؤكد جهل الخوف، عند الفارس، وعبث الحيلولة بينه وبين عزيمته.

ولئن كان الفارس يبكي على عدوه، بعد أن يقتله، ويقتله أيضاً بقوة من لا يبالي (المهلهل)، فلم يكن يقتل شخصاً أعزل، أو مستسلماً، أو طالباً العون. فللفروسية قداسة، مغلوبة كانت أو غالبة. والفارس المغلوب حرٌّ حتى في اختيار طريقة موته (عبد يغوث الحارثي).

ولا يفخر الفارس فخره الحق، إلا بانتصاره على فارس آخر في مستواه بسالة ومروءة. وكان يشعر، وهو في ذروة إيمانه بقوته، أنها محدودة، وأن هناك قوة تضاهيها: تجابهها وتستعد للغلبة. فهو لا يفخر بالقوة، بل بطريقة استخدامها ـ بالمبادهة والاقتحام. ومن هنا ظلّت شخصية الفارس أعلى من الفروسية، وبقي سيد الحرب والأشياء. بكلمة ثانية، لم تستعبده القوة، لذلك لم تفارقه روح السوية، أو الإنصاف، حسب التعبير القديم.

وبلغت هذه الروح حدّ امتداح العدو وقوته. فهو كثيراً ما «يستفّ آخر الموت دون أن يستكين أو يجزع» (عبد اللّه بن سبرة الحرشي)؛ وكثيراً ما «يكون أصبر على الموت» (زفر بن الحارث الكلابي).

تدرك الفروسية العربية أن لها حداً هو الغياب أخيراً. فهي إذ تتردد بين حضور الوجود وحضور الغياب، تتضمن حِسّ الفجيعة. لذلك ليس القتال عندها لعباً كيفياً، بل هو حاجة يفرضها قدر الحياة للتسلح ضد قدر الموت. يدرك الفارس أنه سائر إلى الموت، وأن الحرب تعجل هذا المسير. غير أنه، في الوقت ذاته، موقن أن الحرب لا تقدر، مع أنها مليئة بالموت، أن تغلق في وجهه أفق المستقبل وأبواب الحياة. إنه يتحرك، ويحيا، بالحرب وفيما وراءها.

لم تتغيّر، جوهرياً، شخصية الفارس في الجاهلية والفترة الإسلامية الأولى، لكنها تلونت بطابع إلّهي ـ لم تكن للفارس الجاهلي أية تعزية فيما بعد الحياة. كان يعتقد أن انتصاره أو فشله يتوقفان على إرادته هو، وليس على الإرادة الإلهية. وكانت الفروسية الجاهلية مبطنة بمرارة زالت في الإسلام، حيث صار الفارس «يتكسّر باسم اللّه» (أبو الطفيل)، وصار للشهادة جاذبية داخلية، من نوع آخر.

شخصية الفارس، كما يقدمها لنا الشعر الجاهلي، ملتزمة وحرة، متعاونة ومتفردة، جوابة ومقيمة في آن. ينتظم الفارس في الحياة اليومية وسط الفوضى، وينسجم وسط امتداد لا شكل له.

في الليل يأسره النهار،وفي النهار يحن إلى وسادة الحبيبة. إنه عشير الوتد والخيمة والقِدْر والربع، صديق الريح والشمس والمسافات. في أعماقه شيء دائم يعذبه، ويثيره، ويدفعه، ولا شيء يرويه أو يرضيه أو يحده. إنه رقَّاص بشري: فليست فروسيته الآتية الذاهبة إلا نوعاً من الثأر لنفسه المحدودة، في نهاية المطاف، من هذه الطبيعة حوله ـ من فضائها وفراغها. بل إن ذلك هو ما يدفعه للتهور والاستهانة بشخصه والتطوح في هوة المغامرة، لتصير حياته على مثال الصحراء: مطلقة ونسبية، بسيطة ومعقدة، ثابتة وتنهار كالرمل.

إلى جانب هذا الوجه الأخلاقي في الفروسية العربية، نرى جانباً آخر أسمّيه فروسية اللاانتماء. وتتمثل في الشعراء ـ اللصوص والصعاليك والغاضبين بِعامّة. ولا تستند إلى شعور بالواجب، بل إلى الفردية التي تحس إحساساً طاغياً أنها قادرة على هدم قانون الضرورة وتحقيق ما قد يعدّه العقل مستحيلاً. الإرادة هنا، كنيّة صافية، هي الصفة الأولى للبطولة، والبطل هنا رجل مأخوذ بالشهوة، يذهب في تلبيتها إلى آخر طبيعته، وإن كان ذلك ضد الشرائع الخلقية وضد المجتمع. بل إنه «يرى الوحشة الأنس الأنيس»، كما يعبّر تأبط شراً، «ويستأنس بالوحش»، (عبيد بن أيوب العنبري).

بالفروسية يرفع الشاعر الجاهلي العالم إلى مستوى الكل أو

لا شيء ـ الانتصار أو الموت. وبالحب يرفعه إلى مستوى الفرح الكياني الكلي الأسمى.

ينطلق الحب عند الجاهلي من الجسد، ثم تأتي النتائج النفسية والذهنية. توفر اللذة الجسدية غبطة الاكتمال والتملك. فيها يجد الجاهلي جنته الأرضية. المرأة له، الواحة والماء والجمال كله: رمز الخصب والطمأنينة، رمز ما يبعث ويخلق، وما يعلو ويتسامى. وهو يشعر، إذ يسيطر على المرأة، أنه يسيطر على الطبيعة نفسها. فالمرأة غاية لغايات وراءها وأكثر منها. كأن الشاعر العربي يعتقد أن في المرأة قوة سحرية خيرة تؤثر في الروح والجسد معاً. وهو يقرنها دائماً بالطبيعة ويراها فيها، حتى ليخيل أن موقفه هذا يضمر شعوراً بتفوقها عليه. ولعل البكارة، تأخذ معناها السحري تقريباً من هذا الشعور: فإذ يفضّ العذراء يحدث في جسدها تغييراً أساسياً يدفعه إلى الظن أنه، وهو مخلوق المرأة، قد خلقها بدوره. وهذا على الصعيد الأسطوري، يؤكد بشكل آخر، الأسطورة القائلة بأن آدم خلق قبل حواء.

العيد الأول في حياة العربي هو عيد الجسد حيث تتوحّد الشهوة واللذة والنشوة. فالشاعر العربي دائم الصلاة، وهذه آية صلاته: العالم جسد لكن اجعله، أيها الحب، أكثر امتلاء وحضوراً.

هناك، إلى جانب هذا الحب الجسدي، الحب العذري. العالم، بالنسبة للشاعر العذري صورة شفافة لحبيبته. كل شيء فيه يصير على مثال حبه: يصفو، يتلألأ، يخلع ثوبه الكثيف المعتم، ويصير روحاً.

لكن جدل الأطراف أساسي حتى في الحب العذري. بعد المشاركة العزلة. فإذا لم يكن هناك شيء يتعلق بنا، فإننا لا نريد أن نتعلق بأي شيء. يصير العاشق غفلاً، يموت وحيداً في البرية كأي حجر، شأن المجنون والمرقّش قبله.

لهذا كان الشعر العذري كالحب العذري تجسيداً للحياة في فشلها المقدس، في الظمأ الأبدي وحنين الروح للجسد، والحرارة التي لا تقدر أن تثقب أسوار الحصار. وكان الشاعر العذري يدرك بفطرته الميل الغريزي عند المرأة للمعذبين الذين صعقهم القدر، وبالتالي لمواساتهم والقضاء على آلامهم. لهذا كان يقدم نفسه لحبيبته في حركة من التعاطف الأولي البدئيّ، ويصوّر نفسه جريحاً معذباً ويدعوها إلى أن تبادله حبه ليتم شفاؤه. إنه بذلك يصوّر لها أعماقها: فهي، بغريزتها، لا تريد أن ترى في العالم إلا الطفولة. وينبغي أن نرعى الطفولة ونسهرَ عليها.

وحين يخاطب الشاعر العذري حبيبته بلهجة الاستعطاف والانسحاق، فإنه يقدم بديلاً شعرياً لفعل الحب: يغرق الذكر في الأنثى كقوة هائلة سرعان ما تتلاشى وترقد في أحشائها كأنّها الطفولة. وليس تمنيه للموت إلاّ صدى الفطرة الأولى: ففي فعل الحب يترك الذكر عادة الحياة، عادة الوضوح والتعقل، ويدخل عالم الانخطاف والنشوة والغيبوبة ـ العالم الواقف على حافة الموت، الشبيه بالموت.

العذرية والجسدية هما طرفا الحب عند الشاعر العربي: الأولى تراجع إلى الداخل ونقاوة، والثانية اتجاه إلى الخارج

وانغماس في الحسية. وهما معاً وجها حقيقة أولية في حياة الإنسان، ومحرك فطري. وفي الجسدية، شأن العذرية، بعد روحي ونار سحرية تدفئ وتضيء. فالحب الجسدي يعبد وإن كان ملعوناً. ذلك أن المرأة ـ الجسد والروح، هي، بالنسبة للشاعر الجاهلي، مكان يتصالح فيه مع الزمن والموت.

تمثّل لنا الحساسية الشعرية العربية، على صعيد الحب، جدلاً بين اللذة والألم، بين التخلي والتملك، بين الغبطة والحسرة. هذه الحساسية نقيض اللذة التي تحارب الألم لتقضي عليه، ونقيض الألم الذي يريد أن ينفي كل لذة. وحدة اللذة والألم، في هذا المستوى، دليل على سمو المشاعر عند الشاعر الجاهلي. كلما تعمق الإنسان في فهم كيانه، ازدادت هذه الوحدة وضوحاً وازداد إدراكه إياها. وطاقة اللذة أو الألم دليل على طاقة الحياة ـ فبقدر ما يحيا الإنسان بعمق، يتألم أو يغتبط بعمق.

والزمن عدو الشاعر الجاهلي بعامّةٍ، وعدو العاشق خصوصاً. ليس عند العشاق زمن بالمعنى الذي يتعارف عليه الناس. زمنهم هو لحظات هيامهم ولقائهم وحسب. لا يجري زمنهم متواصلاً كالماء، بل يتجزأ قافزاً كالفراشات.

«ليت الزمن يتوقف» ـ ذلك هو رجاء العاشق، ذلك هو جوهر كل شعر عظيم في الحب.

يغني جران العود النميري لحظة اللقاء في الليل، فيود لو يتطاول هذا الليل إلى الأبد ويتساءل: لماذا النهار ـ لماذا هذا الزمن الرياضي الأجوف؟ إنّ في لحظة لقائه مع حبيبته،

الزمان كله ـ أبدية الحياة والموت والنشور.

بلى، إن الحب مركز تتلاقى فيه الأطراف: الحياة والموت، الغبطة والألم، القبر والانبعاث. ويتضح هذا المعنى عند العذريين، بشكل خاص: لا حب عندهم، دون ألم أو موت. الحب والموت عندهم، واحد. يرفض العذري التخلي عن حبه ليتخلص من الألم أو الموت. الألم والموت آثار تتركها حياتهم وهي تندفع بقواها الخفية صوب المزيد من الحضور وغبطة الحضور ـ في ملكوت الحب. كل شيء في كيان الشاعر العذري يصير، بقوة الحب، سحراً وكيمياء تحويل. الحب عنده قوة تسير بفاعلية أسطورية ونوع من الانسياق والاستسلام يرى فيهما، سواء اتحد بحبيبته أم لم يتحد، نفسه ووجوده، وطريق خلاصه. وليس شعره إلا واسطة للتغلب السحري على الزمن الرياضي، وخلق زمن نفسي آخر: مليء، لا يمر ولا ينفد، ـ زمن يجري خِفْيةً داخلَ الزمن.

الشعر العربي شعر شهادة: لم تكن غاية الشاعر العربي أن يغيِّر العالم أو يتخطاه أو يخلق عالماً آخر. كانت غايته أن يتحدث مع الواقع ويصفه ويشهد له. يحب الأشياء حوله لذاتها ولما تمثله ويضع كل شيء حيث يفرح به ويفيد منه. لا يحاول أن يرى في الواقع أكثر مما فيه وإنما يحاول أن يراه بكل ما فيه. هكذا يكتسب كل شيء في لوحة الصحراء قيمته ومعناه ـ من الحرذون إلى الجبل

ومن الكوكب إلى الحرباء. الشاعر الجاهلي بريء إزاء الطبيعة، كالشمس التي تضيء أشياء العالم دون تمييز ودون تفريق بين العظيم والتافه. يسلك بمقتضى الأرض. واقعي ـ لكن بجموح وشهوة. غنائي، صاف، سواء في شهادته للمآثر الإنسانية بروح الفروسية أو للأشياء المحيطة بروح التعاطف؛ يغني الفرح والمأساة، الغبطة والكآبة، الحب والكراهية، التمرد والرضى، الرجاء واليأس.

يريد الشاعر الجاهلي بوصفه شاهداً أن يعطي لما يشهد له صورة تطابقه. في كيانه ما يتوثب ويندفع إلى الخارج ليصير مثله ـ خيمة وامتداداً صحراوياً وليلاً. فشهوة التحقق في أعماقه تولد شهوة الخارج، شهوة أن يصير مادة، أن يتشيأ هو نفسه أيضاً. إن فيه توقاً إلى أن يخلق زمناً آخر ومكاناً آخر.

لم يكن الشاعر الجاهلي ينظر إلى الأشياء بأفكار مسبَّقة. كان يحسها ويراها كما هي، بسيطة واضحة. لا تخبئ، بالنسبة له، أية دلالة متعالية أو أي معنى ميتافيزيائي. ثم إن شعوره بالانفصال عنها هو شعور كامل بذاته المستقلة، ففي الجاهلية تعارض جوهري بين الذات والموضوع. لكن بينهما جدل يهدف به الشاعر إلى القبض على الأشياء، فهو جدل انفصام يملك ويسيطر، لا جدل وحدة.

الإنسان هنا، لا اللَّه، هو مقياس الأشياء. وما الطبيعة إلا مجال لفعله ومرآة لتجاربه. والطبيعة عند الشاعر الجاهلي ليست موضوع تعاطف كوني، وثنياً كان أو رومنطيقياً، وليست ملجأ أو

تعويضاً ـ وإنما هي واقع بخشونة الحجر وعُرْي المسمار. هذا النظر إلى الطبيعة يمكن وصفه بأنه «حديث»، إذ يراها شيئاً أو موضوعاً، على النقيض من القدماء، خصوصاً لدى اليونانيين، إذ كانوا يَرونها نظاماً أو قانوناً. فليست الطبيعة في الجاهلية قيمة، وهي لا تنطوي على أخلاق ما، ولا تعلم شيئاً. كان الجاهلي، على العكس، يرى فيها وحدته الهائلة، ويتيقن ألا صديق له غير بسالته. وكانت تخلق في نفسه إرادة القوة واليقين بسيفه وبطولته يقيناً كلياً.

وكان وجود الشاعر في عالم كهذا لا قاعدة له غير القوة قائماً على البحث والقلق وحرية الحركة والعمل إلى الحد الأقصى. فيقينه بذاته ومصيره ينبعث من كون هذا العالم دون قاعدة ـ تبدأ أشياؤه وتنتهي في سديم من التفتت والفوضى. فلم يكن الشاعر الجاهلي يرِى في العالم فعل القوى الأبدية لإله خالق حكيم لا يمكن الشك بحكمته ولا تمكن مناقشتها. بل كان يرى فيه قوة تتلقى طاقات البشر الذين لا يرتبطون بشيء إلا بشياطينهم الخاصة. وكان يرى العالم أفقاً لعمل حرّ يزداد حرية يوماً بعد يوم. وكانت له حين تصطدم إرادته بالعوائق، عزيمة الإنسان الذي يرفض أن يفرض عليه العالم الخارجي معنى ليعترف به أو اتجاهاً ليسلكه، فينفصل ويتراجع ويعلن استقلاله ويمجده حتى في الفشل والسقوط وفي الجنون والجريمة. فالمطهر الحقيقي، بالنسبة للشاعر الجاهلي، هو في الحياة لا وراء الحياة.

ولم يكن العراك الدائم والانتقال والهجرة إلاّ أشكالاً من

رفض العالم الخارجي، وهو رفض يبقيه أو يصيِّره مجرد وسيلة لإشباع الذات وتوكيدها. فالعربي، في جاهليته، من نماذجنا المثالية الأولى: يشتهي الأشياء، يلتهمها آتياً عليها، باحثاً عن سواها. العلاقة بينه وبين ما حوله كعلاقة الخالق بمخلوقاته: ترفض الثبات والمحدودية وتقدس الفعل والحركة. الجاهلي عدو الوجود الثابت: لا يحس بوجوده إلا لحظة يرفض هذا الوجود ـ أي لحظة المغامرة. بالمغامرة تخفّ وطأة العالم أو تتلاشى. لا تعود هناك أية عقبة أو أي حاجز. يصبح العالم، هو أيضاً، فارس استجابة وعطاء.

العلاقة بين العالم وأشيائه من جهة، والشاعر الجاهلي من جهة ثانية، تسير في غاية الوضوح: وفق ضرورة عصية على إرادة الشاعر والأشياء معاً. ثمة ثقوب وشقوق يكشف عنها الشعر العربي في نسيج الواقع وجسده نلمح كيف تنضح مللاً وتكراراً بحيث يبدو العالم شبحاً مخيفاً قد نفهمه لكننا نعجز عن مقاومته، ونقبل أن نغنيه، لكننا لا نستطيع له دفعاً. هكذا يقدم لنا الشعر العربي، فيما يقدم، عالماً مسحوقاً، معاداً، يجتر نفسه ويتكرر حتى الظلمة ـ عالماً أشبه بمعسكر مفتوح للعدو المتربص المفاجئ ـ ومع ذلك لا مفر، في الوقت نفسه، من أن نقيم فيه خيامنا ونصغي إلى الخطوات العدوة الآتية على مهل أو على حين غرة. هكذا أيضاً تتفتت التفاؤلية الكلاسيكية. الصحراء، في هذا المستوى، تجسد جدلاً فاجعاً: كل شيء فيها ملك الإنسان وهو لا يملك أي شيء. إنها إمكان خالص، لحظة هي استحالة خالصة.

الأشياء، في نظر الشاعر الجاهلي، تعبر كالغيم، تتراءى، وسرعان ما تغيب. تصبح كل لحظة تمر ذكرى شيء يضيع أو يغيب، فلا يكاد الشاعر ينظر حتى تصير نظرته جزءاً من الماضي. من هنا تشبثه بالحاضر. يملأ المسافة بينه وبين العالم. وإذ يملؤها لا يثأر من الطبيعة المنفصلة وحسب، وإنما يشعر بالسيادة عليها أيضاً. والصحراء فضاء متشابه أو يكاد: ما نراه غداً يبدو مطابقاً لما رأيناه أمس. ليس المستقبل إذاً، في مثل هذا الفضاء على الأقل، إلا ماضياً مموهاً. فنحن لا نتعرف على شيء جديد، وإنما نكرر بشكل آخر معرفتنا للشيء ذاته، أو لشيء واحد بثياب مختلفة. كل شيء داخل مسبقاً في الماضي، وكل شيء أليف رأيناه واعتدنا أن نراه.

من هذا الوضع الوجودي، انبثق ما تمكن تسميته حس الدهر. وأعني بالدهر القوة الخارقة التي لا تمكن مقاومتها: تأخذ كل شيء وتغيّر كل شيء. أمام هذه القوة يحس الشاعر الجاهلي أنه عاجز ولا حيلة له. إنها ليست قوة الموت، بل قوة الحركة الأفقية التي تندرج في تيارها ظاهرة الغياب ـ غياب الحبيبة والربع والأهل والأصدقاء. إنه شيء خفي، يأتي من الخلف مفاجئاً، لا يغلب. ومجيئه حتمي ـ الآن أو غداً أو بعد هنيهة. هذه القوة ليست ظاهرة عابرة، وإنما هي نمط الحياة.

من هنا الكآبة المنغرسة في الروح العربية والشعر العربي. فالكآبة عند العربي نبع أصيل وطبيعة. ثمة حسرة في الشعر الجاهلي تبطل الفرح. مهما زخر العالم بريح الفرح وناره يبقى في

نظر الجاهلي طيفاً يتلاشى مع الفجر الطالع. الدهر شقاؤه الأكبر: يتحسسه بالأصائل والأسحار، بالنهار والليل، بالموت الذي مضى وجاء ويجيء. الوجود كله نسيج طواه الدهر أو هو آخذ بطيه.

هذا يوضح لنا كيف أن حساسية الشاعر الجاهلي حساسية إفراط وهياج، تمزج دائماً بين غبطة الحضور وحسرة الغياب، بين ما نقبض عليه وما هو قبض الريح.

يوضح لنا أيضاً كيف أن الشعر الجاهلي يصدر عن حساسية متمردة بقدر ما هي أليفة. الكرم ـ التواضع الخشوع أمام الضيف ـ هو الوجه الآخر لكبرياء التمرد الذي يصل أحياناً إلى الفتك بالآخر في سبيل التملك. تجسد هذا الجدل شخصية الفارس. فالفروسية هي صيحة التمرد ضد العالم، وغايتها إثبات الوجود والعيش بامتلاء. حس الفروسية هو، من هذه الناحية، حس الكفاح ضد الدهر. بهذا الحس يؤثر العربي ـ الجاهلي ـ الأعمال التي تأتي عفواً، على الأعمال التي تأتي عن رويّةٍ وتفكير. وبهذا الحس يقرن أصالة الشعور بأصالة العمل: سليقة الشعر الذي لا يخضع إلا للانفعال وسليقة الشجاعة التي لا تأبه للنتائج. هكذا يتكامل شكل الحياة مع معناها ـ وفي مستوى هذا المعنى. ومن هنا تألقها وغناها وجاذبيتها.

الشعر الجاهلي هو هذا الجدل المحب الفرح الحزين الفاجع بين الدهر المعتم والبطولة الشفافة، بين الحتمية والحرية، الصلابة والعفوية، الضرورة والمصادفة.

يتضمن حس الدهر حس التقطّع. كان الشاعر الجاهلي يعيش في جدل مع الطبيعة المتموجة كالرمل، مع الدهر القاهر، ومع الغياب الدائم: كان إنساناً متقطع الحياة والحساسية. اللحظات التي يعيشها متفتتة، مسحوقة، مبعثرة تجهل سأمة اللذة الطويلة، ولا تعرف غير شرارها المفاجئ لكن السريع التلاشي. كان شاعراً يقصر طموحه على المدهش الطفولي: يصدق بسرعة، يفرح بسرعة ويعجز أن يثقل نفسه بسلاسل النظام، عقلياً كان أو اجتماعياً. ليست لديه رؤية كاملة يفسر بها وجوده. لا يملك ذاته: قادر على العنف قدرته على الحنان. إنه طاقة انفعالية منذورةٌ للفروسية والحب.

انعكس هذا الوضع الوجودي في شكل شعره: كيف يتأتى لشاعر هذه حياته أن ينصرف إلى بناء القصيدة والمؤالفة بين أجزائها؟ هكذا كانت القصيدة الجاهلية دون تأليف: لا تلاحم في أجزائها، وليس لها إطار بنائي. إنها قصيدة متحركة. تتبع منحى انفعالياً، وتمضي حيث يحملها شعور دائم التغيُّر. تفككها الخارجي طبيعي إذاً. هو رداء الشعور المتحرك الداخلي. إنها قصيدة ترسم أيام القلب. إنها صورة بالكلمات عن المكان ـ المتاه، المكان ـ الصحراء، أعني أنها أشكال واحدة رتيبة. لكن الرتابة هنا طريفة، وتمكن تسميتها رتابة التنوع، أو «الرتابة الرائعة» حسب تعبير ألبير كامو في كلامه على الرتابة عند شيستوف. فالتكرار في الجاهلية هو بعد الصحراء الذي يتجلى عند النظر إلى الأمام والالتفات إلى الوراء. إن قفا العالم

الصحراوي ووجهه شيء واحد. الصحراء صخرة الحياة: جامدة في عنادها البخيل، العاري، الواحد الشكل. والشاعر مثلها راسخ في عناده وتطلعه إلى السيطرة والتملك. ومن ثبات كليهما ثباتاً يتناقض مع الآخر وينفيه، تتولد الرتابة. ثم إن الشاعر الجاهلي، إذ يواجه المطلق الأرضي، يعيش فيه ومعه بحساسيته الوثنية: يتعلق بكل شيء يخصه، ويرتبط كيانياً بكل ما يحفظه أو يؤاويه. فكلامه على ما يخصه طقس نفسي وحياتي وتعبيري من طبيعته أن يتكرر دائماً.

القصيدة الجاهلية خيمة هي أيضاً، مليئة بأصوات النهار وأشباح الليل، بالسكون والحركة، بالحركة وانتظار الوعد. هي شيء يحيط به الفضاء من كل جانب: مليء بالتجاويف، يتخلخل ويترنح، ويجلس في الحرارة الشاغرة. إنها فضاء الشاعر إلى جانب الفضاء الآخر المحيط.

القصيدة الجاهلية كالحياة الجاهلية: لا تنمو ولا تبنى ـ وإنما تتفجر وتتعاقب. والشعر الجاهلي صورة الحياة الجاهلية: حسي، غني بالتشابيه والصور المادية، وهو نتاج مخيلة ترتجل وتنتقل من خاطرة إلى خاطرة، بطفرة ودون ترابط، وهو شعر شهادة قوامها الدقة والتوافق التام بين الكلمات وما تعبّر عنه، وهو زاخر بالحيوية والتوثب والحركة، وهو بهذا كله غنائي يقوم جوهرياً على الإيقاع. إنه شعر ممتزج بقدر الإنسان ومصيره، بأيامه وأشيائه الأليفة: شعر شخصي لجميع الأشخاص.

ولا تقدم لنا القصيدة الجاهلية مفهوماً للعالم، وإنما تقدم لنا

عالماً جمالياً. المفهوم يتضمن موقفاً فلسفياً، والفاعلية الشعرية عند الجاهلي انفعالية، لا تعنى بالمفاهيم بل بالتعبير والحياة والواقع. فجمال القصيدة الجاهلية لا يتصل بما تعبِّر عنه. يتصل بالحنين الداخلي الذي يوجهها ويحييها. إنها قصيدة تحب لذاتها، لا للموضوعات التي تتناولها. إنها لا تشرح عقلياً، بل تشرح بدءاً من الحساسية والانفعال وجملة المشاعر الإنسانية البسيطة والمعقدة، الغامضة والواضحة. وهي لا تحاول أن تعيد خلق الواقع، بل تتحدث معه. ولا يهمها أن يأتي هذا الحديث متلاحماً بقدر ما يهمها أن يأتي مخلصاً لهذا الواقع الذي هو، بطبيعته أصلاً، غير متلاحم. فالمسألة بالنسبة للفاعلية الشعرية الجاهلية، ليست مسألة خلق الواقع من جديد بل مسألة شرحه: لا تقصد أن تحصل على مجموعة متماسكة من الموضوعات والأفكار، وبالتالي، على قلق في الشعر وبواسطته، وإنما تقصد أن تعيد من جديد هذا القلق وهذه الموضوعات والأفكار إلى مكانها في الحياة الأليفة. من هنا لا تشكل القصيدة الجاهلية عالماً مستقلاً، متميّزاً، كافياً بنفسه، وإنما هي جزء من الحياة. إن طريق القصيدة الجاهلية موجود ومهيأ حتى قبل كتابتها. فهي تشخيص وتمثيل لحالة قائمة مسبقاً، حالة ممجدة يعيشها الشاعر ويدافع عنها حتى الموت. إنها صلاة تشهد لحياته وتباركها. إذاً لا يقصد الشاعر الجاهلي أن يغيّر حياته، بل يريد على العكس، أن يؤكدها. الحياة هنا فرح مقبول سلفاً، وإيمان يوجه الحياة والحساسية. الوضع أولاً ـ ثم يأتي الشعر فيثبته ويغنيه ويمجده، ويهلل له.

الشعر الجاهلي سهم مرشوق لا ينظر إلا أمامه: لا يحيد ولا يلتفت إلى الوراء.

بين الجاهلية وأواسط القرن الثامن الميلادي، نستطيع أن نلاحظ خمسة اتجاهات شعرية أو، على الأقل، ملامح بارزة تشير إليها. أولاً، الاتجاه الفكري القائم على التأمل في معنى الحياة وفيما وراءها، ومن ممثليه الأول عمرو بن قميئة وأمية بن أبي الصلت، ويمكن أن نعدّهما المصدر الشعري العربي الأول لأبي العلاء المعري. ثانياً، الاتجاه القائم على الصورة الشعرية كطاقة إيحائية بحد ذاتها، ويُعَدّ امرؤ القيس وذو الرمة بعده رائديه الأولين، ومن أغنى شعرائه، بعدهما، أبو تمام والشريف الرضي.

ثالثاً، الاتجاه الإيديولوجي، ويمثّله الكميت بن زيد، ففي شعره نرى للمرة الأولى تبشيراً بقِيم وأفكار معيّنة يمثّلها عند النّاس اتجاه سياسي واضح. الكميت، من هذه الزاوية، شاعرنا الملتزم الأول. وقد تحول بشعره من القبيلة إلى النّاس، ومن الخليفة أو الوالي إلى الجماعة، ومن السياسة بقصد الوصول إلى الحكم والبقاء فيه، إلى السياسة بقصد نشر العدالة وتحقيق المساواة. ونرى في شعره، للمرة الأولى بعد عروة بن الورد، إشارة إلى الفقراء والجائعين، وإلى الذين يتمتعون بالخيرات دون سواهم، من حكام ومغتصبين.

رابعاً، اتجاه اللامنتمين، أي الشعراء الذين اضطروا، لظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية، أن يعيشوا خارج مملكة النظام والمجتمع ـ في مملكة الطبيعة، حيث فضاء الحرية. ويمثل هذا الاتجاه الصعاليك واللصوص والغاضبون إجمالاً. ولشعرهم عالم متميّز، خاص.

هناك أخيراً ما تمكن تسميته الاتجاه السحري، ويمثّله الحكم بن عمرو البهراني. ولم أجد لهذا الشاعر الذي لم أعثر على أية معلومات عن حياته، إلا قصيدة واحدة. وقد أدخلته في هذا الجزء من ديوان الشعر العربي، ترجيحاً مني أنه عاش في أواخر النصف الأول من القرن الثامن الميلادي. والطريف أن قصيدته هذه تروى في سياق الكلام على الملح والطرائف. وليس هناك ما يمنعنا من القول إن الرواة والمؤرخين العرب أهملوا تدوين شعر كثير من هذا النوع. وقد نما هذا الاتجاه السحري. فيما بعد، عند الصوفيين.

في قصيدة البهراني ـ ولم أثبتها في الديوان كلها ـ تشويش للنظام وعلائقه وثورة ضد ثبات الطبيعة: إنها سحر يخلق نظامه وطبيعته. إنها كيفية خالصة ـ وحيث تسود الكيفية، تحل المرونة والليونة والتغيُّر محل الثبات، والإمكانُ محل الوجوب، والسديم محل الرابطة الطبيعية. يصير أي شيء خاضعاً لأي شيء. ويصير العالم، وإن كنا لا نملك فيه إلا شيئاً يسيراً، ملكاً لنا كله. والتغيُّر في هذه القصيدة سحري: أعني لا نرى عالماً اصطناعياً ينتج بفعل «التّخدير»، بل نرى عالماً حقيقياً، ضائعاً. مثل هذا الشعر يقودنا،

بصوفيته وسحريته، إلى أسرار الطبيعة. فهذه القصيدة شعر آخر ـ صلوات وتعاويذ ورقى فيما وراء الشعر.

هنا، يمتزج كل شيء بكل شيء. الموت والحياة، الجنون والعقل، الأرض والسماء، الجسد والروح. لا شيء يظل فاعلاً، متوتراً متفجراً، غير الجموح والهوى والضياع في مناخٍ من العبث الجميل الفسيح كالعالم.

II

من القبول إلى التساؤل: هذا هو الخط الذي ترسمه الحساسية الشعرية العربية بين امرئ القيس وأبي العلاء المعرّي. في القبول رضى وطمأنينة ويقين؛ في التساؤل تمرد ورفض وشك. القبول فرح وغبطة، والتساؤل قلق وهمّ؛ القبول علامة الثبات، والتساؤل علامة التحول.

فنياً، تمثَّل هذا التحول في الخروج على عمود الشعر العربي. وتمثّل اجتماعياً، في رفض القِيم السائدة، أو على الأقل في عدم النّظر إليها بوصفها كاملة، نهائية. كان داء العصر، على الصعيد الإبداعي، الشعور الطاغي عند الشاعر بالحاجة إلى الاستحداث والتجديد. وكان، على الصعيد الاجتماعي، الشعور بأن هناك هوة بين الشاعر والآخر؛ بأنه وحيد والآخر جدار في وجهه. وقد عمل التطور الاجتماعي وتزايد السكان وتكاثفهم وتجمّعهم في «المدينة» على إضعاف الصلات الحميمة بين الشاعر والآخر، وبينه وبين الطبيعة. ساعد أيضاً على تنمية الصلات التي تمليها الحاجة المادية وجملة الضرورات التي تنشأ من تشابك الحياة الاجتماعية وتعقّدها. ساعد هذا بدوره على زيادة التصدّع

والضياع. صار المجتمع كتلة كثيفة معتمة تحول بين الشاعر والضوء، فازداد شعوره بأنه منبوذ، محاصر، مخنوق. لكن ردود فعله كانت قوية تتراوح بين الوحدة والسخرية والتعالي والرفض. وفي هذا كله، كان يشعر أنه يعيش في «زمان القرود» كما يعبّر أبو نواس، وكان في الوقت نفسه يحس أنه سابق عصره ومعاصريه. وقد رافق هذا الإحساس بالاستباق التوكيد على الاندفاع الروحي والفردية. لم تعد حركة الشعر الحقيقية، وسط الركام الكثير الموروث، مرتبطة بالسياسة أو الأخلاق والعادات العامة الشائعة، قدرَ ارتباطها بحركة التطور الحضاري. لم يعد الشعر، بمعنى آخر، للفائدة والمنفعة بقدْر ما أصبح عملاً إبداعياً داخلياً يجد فيه الشاعر تعزيته وخلاصه. المنفعية تفرض موضوعات تعكس اهتمامات عملية وتفرض التعبير عنها بطريقة واضحة سهلة ليفهمها العدد الأكبر: كانت تتضمن حضور الآخر وغياب الأنا. وفي مرحلة التساؤل انعكست الآية: صار الشعر يقوم على حضور الأنا وغياب الآخر، أي على الطرافة والجِدّة والغرابة. أصبح الشاعر على حِدة: بينه وبين الآخر الهاوية. كان الآخر عدواً.

يصرخ حمّاد عجْرد أنه في محنته، يستجير الحجر والتراب لأنه لا يجد بين الناس من يجيره[1]. وشك بشّار في الصداقة، فهي «ثوب منخرق»؛ لذلك يشعر، وهو بين الناس، أنه يعيش في

---

(١) **الديوان**، ج ٢، رقم ٤، ص ٢٠٤. (أكتفي بالإشارة إلى ديوان الشعر العربي بكلمة الديوان، وأذكر اختصاراً رقم القطعة والصفحة).

صحراء من السراب[1]. وإذا كان أبو فراس يرى الناس ذئاباً تلبس الثياب[2]، بل هم شر من الذئاب كما يراهم ابن لنكك[3]، فإن الأُحَيمر السعدي يرى أيضاً أن الذئب أفضل من الإنسان، فذلك يؤنس وهذا يرعب[4]. أما السيد الحِمْيَري فيرى أن الناس «حمير وبقر وأنعام» ليس لهم من الإنسانية غير الشكل؛ وهم يجهلون الكلام، فإذا نطقوا جاء نطقهم أشبه بنقيق الضفادع[5]. ويصفهم محمد بن حازم الباهلي بأنهم جميعاً «أشباه الكلاب»[6]؛ أما دِعْبل فلا يرى إنساناً، مع أنه حين «يفتح عينيه» يرى خلقاً كثيراً[7].

وتكشف تجربة ابن الرومي عن إحساسه الفاجع بغربته، وعن مدى الانشقاق بينه وبين الآخرين. يتساءل مستنكراً ما إذا كانت الأرض تشكو شخصه الثقيل أو تشكو تخمتها من جفاء أخلاقه حتى يلاقي ما يلاقيه من جفاء الناس وإنكارهم إياه[8]. وهو يستغرب كيف أنه يعيش في مجتمع لا سيادة فيه لغير «البهائم والشرطة والموظفين»؛ يعيشون سعداء حاكمين كالأرباب، وهم

(١) **الديوان**، ج ٢، رقم ٢٦، ص ٢١٧.
(٢) **الديوان**، ج ٣، رقم ١، ص ١٥٩.
(٣) المصدر نفسه، رقم ١، ص ٢٤٥.
(٤) **الديوان**، ج ٢، رقم ١، ص ٢٢٠.
(٥) المصدر نفسه، رقم ١، ص ٢٢٢.
(٦) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٣٣١.
(٧) المصدر نفسه، رقم ٢، ص ٣٣٣.
(٨) المصدر نفسه، رقم ٥، ص ٤٢٨.

دون العبيد[1]، ويصل، تحت وطأة حياته البائسة، إلى الغضب حتى على «حِرفة» الشعر لأنها هي أيضاً «تُسفسِف» حظه، مع أنه ارتقى بها إلى مستوى لم يعرفه الشعر قبله[2]. وينتهي ابن الرومي في وصف غربته وبؤسه إلى هذه الصورة المغلقة: ليس الآخرون وحدهم هم الذين يسدّون عليه أبواب الدنيا، بل إن الطبيعة هي أيضاً تتعاون معهم، فإن «بلاء البر والبحر»[3] يلاحقه أينما سار أو أقام.

ولا شيء يُرضي ابن المعتزّ غير «السخط»، فكل ما يحيط به يولِّد في نفسه الشعور بالغربة، غربة الشباب في عالم شائخ ـ غربة الشعرة السوداء في رأس أشيب[4]، لذلك لا يشعر بوجود أحد؛ فيحيا على هواه، ممارساً اللذة التي يشاء، لحظة يشاء، دون اعتبار للناس، إذ ليس في الناس إنسان[5].

ومنصور التميمي يرى الناس هاوية عميقة، ويرى أن البعد عنهم هو وحده سفينة النجاة، فالناس يفسدون الحياة ويجعلونها قاتمة كريهة؛ الزمن نفسه يصير معهم زمان فقر و«كدح إلى الموت»[6]. كأن الدنيا ملك الخنازير، كما يعبّر الأحنف

---

(١) **الديوان**، ج ٢، رقم ٥، ص ٤٢٨.
(٢) المصدر نفسه، رقم ١٠، ص ٤٣٧.
(٣) المصدر نفسه، رقم ٦، ص ٤٢٩.
(٤) **الديوان**، ج ٣، رقم ٢٤، ص ٢٤.
(٥) المصدر نفسه، رقم ٢٨، ص ٢٥.
(٦) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٢٧.

العكبري، وكأن للعنكبوت والخنفساء حظاً فيها أكثر من الشاعر؛ فللعنكبوت بيت وإن كان واهناً، وللخنفساء سكن وصديق[1]. في مثل هذا العالم يحلو لابن الحجّاج أن يقول عن نفسه، بسخرية عميقة المرارة، إنه «من ملائكة الدولة» يأكل بلا خبز، وهذه «آية» لم يحظ بها الأنبياء أنفسهم[2]. بهذه السخرية العميقة المرارة أيضاً يبشّر أبو الرقعمق بدواء يشفي من الناس هو «إكسير الحمق»[3]. وتصف غباءَ الناس وآليته نادرةٌ بطلها كلثوم بن عمرو العتابي، تكشف عن مدى تعلقه بوحدته[4] وازدرائه الآخرين[5].

هذه الأرض التي تحمل بشراً من هذا النوع غير جديرة بأن يسكنها الشاعر. هكذا يدعو الشريف الرضي:

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ٢، ص ٢١٥.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه، رقم ١، ٢، ٣، ص ٢٣٦ و٢٣٧.

(٤) **الديوان**، ج ٢، رقم ٥، ص ٣٣٧.

(٥) جاء في الأغاني، في ترجمة حياة كلثوم بن عمرو العتابي ما يلي: «روى عنه شخص قال: رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام. فقلت له: ويحك، أما تستحي؟ فقال لي: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟ فقلت: لا. قال فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر. فقام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار. فما واحد إلا أخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه، ويقدره حتى يبلغها أم لا. فلما تفرقوا، قال لي العتابي: ألم أخبرك بأنهم بقر؟» (**الأغاني** الجزء ١٣، ص ١١٤ دار الكتب المصرية ١٩٥٠).

رمى اللَّه بي من هذه الأرض غيرها

وقطَّع من هذا الأنام علائقي[1]

بلى، إن هذا العالم عالم قرود وبقر، عالم لا يدور بغير النذالة والجهل، وما أشد ما يحتاج الشاعر إلى أن يصرخ في وجهه: «إلى كم تدور يا خرِف؟»[2].

الشعور بالغربة والانفصال عن الآخرين ـ «صدأ العيش»[3] كما يعبّر أبو تمّام هو النسغ الذي يجري في تجربة أبي نواس وأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء، مما سنشير إليه.

هذا الشعور بالغربة والانفصال يتضمن السخرية ويستدعيها. لولادة السخرية من هذه الناحية، في العصر العباسي، دلالة كبيرة. وقد تناولت كل شيء، حتى القِيم الدينية، أرسخ القِيم في الحياة والروح. واستخدم الشعراء مصطلحاتها وألفاظها ونقلوها إلى إطار آخر: أضفوا صفات القداسة على اللهو. المقدّس الجديد هو، في آن واحد، ما يناقض المقدّس الموروث وما يلبّي حاجة الروح في اللحظة الحاضرة. وتجلّى المقدّس الجديد، أكثر ما تجلّى في الخمرة، كما نرى بشكل خاص عند أبي نواس. فللخمرة عالم مقدس، ولهذا العالم إمامه وأذانه، وفيه يتم السجود والركوع[4].

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ١٦، ص ٢٦١.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٦، ص ٢٤٧.

(٣) **الديوان**، ج ٢، رقم ١٧، ص ٣٦٠.

(٤) المصدر نفسه، رقم ٤، ص ٢٣٠.

السخرية منفى: فيه يشك الشاعر بالآخر ويشك بنفسه وبالشعر، كما نرى، بخاصة، عند ابن الرومي. وبين السخرية الحزينة المرة، والسخرية التي تعكس شعوراً بالكارثة، والسخرية الضاحكة، ينسحق العالم المحيط ويتفتت. فالسخرية تترجم حاجة روحية: المجتمع يسحق الشاعر بلا مبالاته وإنكاره، فيسحقه الشاعر بأن يسخر منه ويحتقره. إن السخرية في الشعر العربي تحلّ، أحياناً، محلّ التراجيديا. وقد اتجهت عند أبي نواس إلى أن تصبح مفهوماً للعالم ونظرة، كأنما أراد لها أن تحل محل الفلسفة والأخلاق[1].

هكذا لم تقتصر السخرية في الشعر العربي على المضحك الذي يكتفي بأن يلاحظ الخلل في عالم الظواهر ويعبّر عنه، وإنما تعدّت ذلك إلى أن تلاحظ أن وراء هذا الخلل الظاهري خللاً باطنياً يهدد جوهر العالم، فهي لا تنحدّ في نقد الظواهر والعادات والأخلاق، وإنما تشك في الإنسان ذاته، وفي النظام العام الذي يسيّر العالم.

لكن، ما معنى السخرية العميق عند هؤلاء الشعراء؟ إنه الرغبة بالظفر على الأشياء، بظفر الوعي على ما يحيط به. وهي تمنح الشاعر وشعره نبرة من الجموح والحركيَّة تُحرِّر العالم، وإن وقتياً، من سُباته المعتم. وفي السخرية شجاعة استثنائية تصل بالشاعر إلى أن يجرّب أحياناً تأثير سخريته على نفسه، مغامراً من

---

(١) **الديوان**، ج ٢، اقرأ بشكل خاص رقم ٦٣، ص ٢٥٢.

أجل الآخرين[1]. وهي، عدا ذلك، تخبّئ حنيناً عميقاً إلى الشفاء الروحي وحلماً بنظام آخر في العالم حيث يجد الضحك والبكاء، الفرح والحزن، أشكالها وإيقاعاتها الطبيعية.

غير أن المغالاة في اعتبار السخرية علاجاً كافياً للمتاعب والشرور يكشف عن خللٍ في النظر. فالسخرية لعبة ما تكاد تنتهي حتى يبرز الجانب الجدّي الذي لا لعب فيه. فالتطهر أو الخلاص بالسخرية قصير عابر: لا يشفي من عبء الدهر، وإنما يزيد ثقله. ولعل هذا هو السبب العميق في أن الشاعر الجاهلي الذي كان مجبولاً بحسِّ الدهر[2] لم يعرف السخرية، أو قلّما عرفها. ذلك أن شعره منذورٌ للفروسية والحب والبطولة. ربما كان هذا هو السبب أيضاً في أن السخرية لم تكن عميقة الجذور في الشعر العربي كله، بل كانت ظاهرة مؤقتة، ومحدودة. لعل هذا، أخيراً، هو السبب الذي جعل السخرية تتجمع كلها في نوع جديد هو ما نُسمّيه سخرية الرصانة الفاجعة، كما تمثلت في شعر أبي العلاء المعرّي.

بشّار بن بُرْد هو أول من «وصف»، على الصعيد الفني، التحوُّلَ في الحساسية الشعرية العربية.

---

(١) **الديوان**، ج ٢ و٣، اقرأ خاصةً أبا دلامة ص ٢٠٢، وأبا الشمقمق، ص ٢٢٥ والواساني، ص ٢٢٧ وأبا الرقعمق ص ٢٣٦.

(٢) راجع مقدمة **ديوان الشعر العربي**، الكتاب الأول، بيروت ١٩٦٣.

سُئِل مرة: «بِمَ فقت أهل عمرك، وسبقت أهل عصرك في حُسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه؟ فقال: لأني لم أقبل كل ما تورده عليّ قريحتي، ويناجيني به طبعي ويبعثه فكري. ونظرت إلى مغارس الفِطن ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفهم جيّد، وغريزة قوية، فأحكمت سَبْرَها، وانتقيت حُرَّها، وكشفت عن حقائقها، واحترزت من متكلّفها، ولا واللّهِ ما ملك قيادي قط الإعجاب بشيء مما آتي به.»[1].

من هذا الجواب نستخلص بعض علامات التحوّل. منها أن الشعر صار فناً، أي أصبح لدى الشاعر، بالإضافة إلى هاجس التعبير، هاجس جديد هو كيفية التعبير. فلم يعد الشاعر «يقبل كلَّ ما يناجيه به طبعه». ومنها أن الشعر صار نظراً في الحقائق، أي صار موقفاً. ومنها أن للشعر، باعتباره فناً، خاصيّة جوهرية هي التجاوز المستمر والتطلع إلى آفاق أكثر اتساعاً وجدة، فلا يملك قياد الفنان «الإعجاب بما يأتيه».

فطن بعض النقاد العرب إلى أهميّة بشّار، فقالوا عنه إنه «قائد المحدَثين» وإنه «أول المولّدين». لكنهم لم يلاحظوا من «حداثته» و«توليده» إلا أنه «أغرب في التصوير»، أي جاء بتشبيهات لم تكن مألوفة عند الأوّلين. هذا يعني أنهم أدركوا بعض الشيء الأهمية الشكلية في شعره، ولم يدركوا أنه سيفتح للشعر العربي آفاقاً كبيرة جديدة. ذلك أن بشاراً يتناول في جوابه أصولية الشعر العربي،

---

(١) الحصري، **زهر الآداب**، الجزء الأول، صفحة ١١٠، القاهرة ١٩٣٥.

يعني أنه يزعزع مفهوم الطريقة الشعرية الموروثة، ويشكّك في ثباتها. ولئن كان بشار يعبّر عن هذا الشك من ناحية «الشكل» أو «الطريقة»، بخاصة، فإن أبا نواس عبّر عنه من ناحية «الموقف» أو «المضمون»؛ فأنكر على الشاعر أن يتحدث عن أشياء «لم يرها»، أي لم «يشعر» بها. إذ كيف يصحّ للشاعر أن «يتبع» طريقة غيره في وصف ما رآه، ليصفه بدوره وهو لم يره؟

تصِفُ الطلولَ على السماع بها
أفذو العِيان كأنت في الفهمِ؟
وإذا وصفتَ الشيءَ متّبعاً
لم تخْلُ من زللٍ ومن وَهْمِ[1].

ويكتمل التساؤل حول أُصولية الشعر العربي بجواب أبي تمّام حين سأله أحدهم مرة: «لماذا لا تقول ما يُفْهَم»؟ فردّ عليه قائلاً: «لماذا لا تَفهم ما يُقال»؟[2].

من هذه المواقف الشعرية الثلاثة نستخلص ما يلي:

أولاً ـ الشعر فن يتطلّع ويتخطّى.

ثانياً ـ يجب أن تنشأ مع كل شاعر طريقته التي تعبّر عن تجربته وحياته، لا أن يرث طريقة جاهزة. فلا طريقة عامة نهائية في الشعر.

---

(١) الصّولي، **أخبار أبي تمّام**، ص ١٧، القاهرة ١٩٣٧.
(٢) المصدر السابق ص ٧٣.

ثالثاً ـ على القارئ أن يرقى إلى مستوى الشاعر، وليس على الشاعر أن يقدّم للقارئ أفكاراً بأسلوب يعرفه الجميع. هذا يعني أن للشاعر لغة خاصة غير لغة الجمهور، مثقفين وغير مثقفين.

هذه القضايا وما يتفرع عنها ويتصل بها تلخص التحول في الشعر العربي، أي تلخص ما كان يسميه النقاد الخروج على عموده الشعري.

ولعل أوضح تحديدات العمود الشعري العربي وأشملها تحديد المرزوقي في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام. فهو يحدده في سبعة مبادئ: «(١) شرف المعنى وصحته، (٢) جزالة اللفظ واستقامته، (٣) الإصابة في الوصف، (٤) المقاربة في التشبيه، (٥) التحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن، (٦) مناسبة المستعار منه للمستعار له، (٧) مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما. فهذه سبعة هي عمود الشعر». ويفسِّر الآمدي هذه المبادئ السبعة بقوله: «وليس الشعر عند أهل العمل به إلا حُسن التأتّي، وقُرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه»[١].

عمود الشعر إذن هو المعنى الذي يقبله العقل العام ويفهمه والذي يُعبَّر عنه بطريقة معروفة ـ «باللفظ المعتاد فيه المستعمل في

---

(١) **الموازنة**، ص ٣٩١.

مثله». وإذا كان الإبداع «إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف والذي لم تجر العادة بمثله»[1]، فإن التمسك بعمود الشعر ينفي الإبداع، ويجعل من الشاعر صوتاً يمزج الشعر السابق ويكرره ويردده، بحيث يأتي الشعر «كسبيكة مفرغة من جميع الأصناف التي تخرجها المعادن»، أو «كطيب يُركَّب من أخلاط من الطيب كثيرة»[2].

من هنا نعرف لماذا يقول ابن الأعرابي مشيراً إلى شعر أبي تمام: «إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل»[3]. وتكثر في كتب النقد التي تهاجم أبا تمام، خصوصاً في الموازنة، عبارات مثل «شعره لا يشبه أشعار الأُوَل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولّدة»؛ «زال عن النهج المعروف والسنن المألوف»؛ «يخرج إلى المحال»؛ «عدل عن المحجّة»، «عدل في شعره عن مذاهب العرب... إلى الاستعارات البعيدة المخرجة الكلام إلى الخطأ أو الإحالة»؛ «غرابة مذهبه».

ومثل هذا النقد يفسّر مدى الحِدَّة في غضب النقّاد على أبي تمّام، حتى ليوحي بأنهم كانوا يعتبرون شعره أشبه بِوَبأٍ يصيب الذهن العربي.

لكن، إذا كان أبو تمام خرج على عمود الشعر العربي، فهل خرج على روح الشعر العربي؟

---

(١) ابن رشيق، **العمدة**، جزء ٢، ص ١٧٧.

(٢) ابن طباطبا العلوي، **عيار الشعر**، ص ١٠، القاهرة ١٩٥٦.

(٣) الصّولي، **أخبار أبي تمّام**، ص ٢٤٤.

يتمثل اتجاهه في النقاط الأربع التالية:

١ ـ المعنى غير المألوف.

٢ ـ الغموض.

٣ ـ الصورة الشعرية غير المألوفة.

٤ ـ استخدام الكلمة العربية بطريقة غير مألوفة، أي نقل اللفظ من معناه المعروف، إلى معنى غير معروف.

هذا الاتجاه جديد، لا شك، مخالف للطريقة العربية في كتابة الشعر آنذاك. لكنه إذا كان خروجاً على الطريقة فهو ليس خروجاً على الروح الشعرية العربية، بل إنه أُفق آخر يتفجر منها ويغنيها.

والواضح أن معظم النقاد الذين انتقدوا أبا تمام والمحدثين إجمالاً فهموا أصولية الشعر العربي بوصفها عادة واستعادةً. وإذا كان هذا الفهم يوافق التقليد العربي فهو يناقض روح الشعر. لقد أدرك أبو تمام والمجدّدون طبيعة تراثهم الشعري وجوهره، واحتفظوا بالقسم الأكبر من تقنيته وخصائصه. لكنهم، شأن كل مبدع في التاريخ، رفضوا أن يكرروا الشعر الذي سبقهم، لأنهم أدركوا بحدس الخلاّق أن التكرار في الشعر لا نفع منه، على الصعيد الفني، ولا بقاء له. هكذا عبّروا بطريقة جديدة، دون أن يقطعوا اتصالهم بجوهر الماضي، فمثل هذا الانقطاع يقتل الشعر ـ بل إنه مستحيل. لأن الشعر يحيا أيضاً بقوة الدفع في تراثه.

لم يفعل الخارجون على عمود الشعر إلا شيئين: لم يكتبوا بالطريقة الماضية المعروفة السهلة، ولم يتحدثوا عن أشياء لم

يروها رؤية ورؤيا. أما الروح الشعرية العربية ـ روح الأصولية ـ فلم يخرجوا عليها، ولا يستطيعون، لأنها تجري في دمهم وحياتهم، ولأنها تتصل بجوهر الأصالة الروحية الأخيرة لشعب ما، فهي ضميره ونسغ تاريخه.

تفهَّم بعضُ النقّاد القُدامى معنى الموقف الشعري الذي وقفه أبو تمّام فتبنّوه ودافعوا عنه. من هؤلاء أبو إسحاق الصابي الذي رأى في غموض الشعر قيمةً أساسية تميّزه عن النثر، فهو يقول: «إن طريق الإحسان في منثور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه، لأن الترسُّل هو ما وضح معناه، وأعطاك سماعُه في أول وَهْلةٍ ما تضمّنته ألفاظُه. وأفخرُ الشعر ما غمض، فلم يعطِك غرضَه إلا بعد مماطلة منه.»[١].

ومنهم الصولي صاحب كتاب «أخبار أبي تمّام». والكتاب كلُّه دفاعٌ عن أبي تمّام، وردٌّ على خصومه. وقد صنّفهم صنفين: الأول قسمان: قسم «سلك سبيل غيره في أشعار الأوائل، في تفسير واستجادة الجيّد وعيب الرديء»، والقسم الآخر ممن قصّروا في فهم شعر المحدثين «فجهلوه فعادوه». أما الصنف الثاني فهو الذي يجعل من نقده لأبي تمّام «سبباً لنباهة واستجلاباً لمعرفة، إذ كان ساقطاً خاملاً»[٢].

وفي كتابه هذا يستشهد على صحة «مذهب الطائي» بأقوال

---

(١) **المثل السائر**، جزء ٢، ص ٤١٤.
(٢) **أخبار أبي تمّام**، ص ١٤ و٢٨.

كثيرة لغيره فيما هو يدافع عنه. يصفه بأنه «رأسٌ في الشعر مبتدئ لمذهب سلكه كلُّ محسن بعده، فلم يبلغه فيه، حتى قيل: مذهب الطائي»[1]. ويفسّر إبداع أبي تمّام قائلاً إن الشعراء قبله كانوا يبدعون في البيت والبيتين من القصيدة، أما هو فقد «أخذ نفسه وسامَ طبعَه أن يبدع في أكثر شعره.. وليس أحد من الشعراء يعمل المعاني ويخترعها ويتكئ على نفسه فيها أكثر من أبي تمّام»[2].

ويتهجّم على ناقديه، قائلاً: «ليت أبا تمّام مُنِيَ بعيب من يجلّ في علم الشعر قدره، أو يحسن به عملُه، ولكنه مُنِيَ بمن لا يعرف جيّداً ولا ينكر رديئاً إلا بالادّعاء»[3]. ثم يقول إنه لا يجوز أن «يجسر على الحكم على الشعراء وتمييز ألفاظهم، والحكم بالجيد والرديء لهم، مَن لم يكن أعلمَ الناس بالكلام، منظومه ومنثوره»[4]. وبين الكلمات التي يدعم بها آراءه كلمة لعمارة بن عقيل يقول فيها عن أبي تمّام: «لقد وجد ما أضلّته الشعراء، حتى كأنه كان مخبوءاً له»[5]. ويختم الصولي دفاعه بقوله: «لو سكت من لا يدري لاستراح الناس»[6].

الواقع أن من يدرس موقف النقّاد الذين تهجّموا على أبي تمّام

---

(١) **أخبار أبي تمّام**، ص ٣٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٨.
(٥) المصدر نفسه، ص ٩٦.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

والشعر المحدَث متستّرين وراء الأصولية يتضح له أن معظمهم لا يعرفون معنى الأصولية ويجهلون معنى الشعر والآمدي مثل بارز. فهو من القائلين بخروج أبي تمام «إلى المحال»، ذلك أنه، مثلاً، يُشبِّه عُنقَ الفرس «بجذع من الأراك»، ويصف العقل بأنه ثوب رقيق، ناعم، والعرب يصفونه بالرزانة والعظم والرجحان والثقل، كما يشير الآمدي. وهو يُشبِّه خلخالَ المرأة بالوشاح، والوشاح واسع بينما الخلخال يجب أن يكون ضيّقاً حتى يوصف بأنه «يعضّ في السواعد»، وهذا كلّه، كما يعلّق الآمدي «ضد ما نطقت به العرب». ويستطرد الآمدي فيقول إن أبا تمام يقول عن الفُرقة بأنها «أسرت قلباً»، وهذا غير جائز، فالقلب يأسره الحب لا الفِراق.

ويُلخِّص الآمدي رأيه في طريقة أبي تمّام قائلاً: «وجعل المجد مما يحقد عليه الخوف، وأنّ له جسداً وكَبِداً، وجعل لصروف النوى قدّاً، وللأمن فرشاً، وظن أن الغيث كان دهراً حائكاً، وجعل للأيام ظهراً يُركَب، والزمان كأنه صبَّ عليه ماء... وهذه استعارات في غاية القباحة والهجانة والبُعد عن الصواب. وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه، أو يدانيه، أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سبباً من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استُعيرت له، وملائمة لمعناه»[١].

وهذا كلام لا يصحّ قوله في الشعر، فما يصفه بالقباحة

---

(١) **الموازنة**، ص ٢٣٥.

والهجانة داخلٌ في جوهر التعبير الشعري. أمّا قول الآمدي بأن الشعر الجيّد مبنيّ على «الكلام الذي يدلّ بعضُه على بعض، ويأخذ بعضُه برقاب بعض، إذا أنشدتَ صدرَ البيت علِمتَ ما يأتي في عجزه... إلخ»[1]، فإننا لو أردنا أن نحدد اللاّشعر لما وجدنا تحديداً أفضل من هذا التحديد.

يصف أبو تمّام نفسَه في قصيدة يتحدث فيها عن القمر، رمز حبيبته، فيقول:

لـيَ فـي تـركـيـبـه بـدعٌ   شَغلت قلبي عن السُّنَنِ[2].

هذا هو أبو تمّام؛ هذا هو الشاعر، كل شاعر: مأخوذ بالبدعة والإبداع. أما السنَّة المشروعة، المشرَّعة للجميع فمشغول عنها. ذلك أن الشعر عالم غريب من المعاني الغرائب العجائب[3]؛ وهو «كالنجم» بعيد قريب[4]؛ وهو سِحرٌ، وبكارة، وسرابٌ مخادع[5].

إن شعراً كهذا يفاجئ؛ يهدم الصور المستقرة في الذهن، بتأثير العادة والوراثة، عن الشعر، وعن فهم الشعر وتذوّقه. وقد هدم شعر أبي تمام هذه الصورة، على صعيد الكلمة لأنه

---

(١) **الموازنة**، ص ٢٦٦.
(٢) **الديوان**، ج ٢، رقم ٧٧، ص ٣٨٣.
(٣) المصدر نفسه، رقم ٥، ص ٣٥٤.
(٤) المصدر نفسه، رقم ٢١، ص ٣٦١.
(٥) المصدر نفسه، رقم ٢٤، ص ٣٦٢.

استخدمها استخداماً جديداً، وهدمها على صعيد المعنى، لأن القصيدة لم تعد عنده نموّاً أفقياً بخط واحد، بل أصبحت تنمو عمودياً: صارت شبكة مشعّة من المعاني والأخيلة والمشاعر. لم تعد تتوالد انفعالياً وحسب، بل أصبحت تتوالد في التأمل، والوعي، والتخيّل والفكر. الموهبة طاقة بلا شكل، إن لم تدعمها ثقافة النظر، والاختيار، والمؤالفة، والتركيب؛ ثقافة العمل، فنياً، بالأذن والعين والذاكرة والقلب والجلد: ثقافة السفر في الماضي والحاضر والمستقبل، وفهم التاريخ واختراقه؛ ثقافة استقصاء العالم والكشف عنه بحيث يظل سلسلة لا نهاية لها من البدايات.

لقد خلق أبو تمام لغة جديدة تغاير لغة الحياة اليومية ولغة الحياة الشعرية السائدة. هكذا جاءت معانيه مغايرة للمعاني المألوفة، وجاءت صوره وتعابيره مغايرة للمألوف أيضاً، ومن هنا غموضه.

في مناخ الغرابة والمفاجأة يتحدث أبو تمام عن المطر مثلاً فيصف هطوله بأنه خيوطٌ تَنْحلُّ من ثوب السّماء[1]، وأن «المطر صحوٌ» و«الصحو ممطر»[2]، و«أن الشتاء جمل»[3]. وأنه لكثرة ما يلذ ويطيب، يجعل الروض «يكشف رأسه» و«المحلَ يستسرّ»[4]، وأن الأرض تحته تشبه امرأة «تحتجب وتسْفر» وأن للثرى شعراً

(١) **الديوان**، ج ٢، رقم ١، ص ٣٥٠.
(٢) المصدر نفسه، رقم ١٦، ص ٣٥٨.
(٣) المصدر نفسه، رقم ٦، ص ٣٥٦.
(٤) المصدر نفسه، رقم ٧، ص ٣٥٥.

يدّهن بالندى»[1]. هكذا يخلق للمطر جواً غريباً، حتى كأن العالم مزيج بين يديه يلعب به، حيث كل شيء فيه ينطبق على كل شيء، وحيث تصبح العلاقات والصفات الإنسانية علاقات بين الأشياء وصفات لها. بهذه الحساسية الخلاقة يصف أيضاً الخمر بأنها «مطيّة الشوق في الأحشاء»[2] وبأن لها «مسافة كمسافة الهجر في صدر الحزين»[3]، ويتحدث عن «الظلام الذي يكتسي نوراً» وعن «الضياء المظلم»[4].

ويقول إن للهموم شجراً في القلب يُثمر الوساوس[5]، وإنه «يسافر بهمومه»[6]. ويصف حبيبته بقوله:

نظرت فالتفتُّ منها إلى أحلى　　　سواد رأيتُه في بياض[7].

يمكن أن نسمّي هذا كلّه غموضاً. لكنّ الغموض عند أبي تمّام صادر عن صفاء ذهنه ورهافته، وعن بعده التأملي، لا عن تشوّشه الروحي أو ضعف تعبيره. وهو غموض غير مُعتم، بل شفّاف يصحّ وصفه بما قاله كوكتو عن مالارميه: «غامض كالماس». كل شاعر كبير هو، بالضرورة، غامض غموضاً ماسيّاً.

---

(1) **الديوان**، ج ٢، رقم ١٦، ص ٣٥٨.
(2) المصدر نفسه، رقم ١، ص ٣٥١.
(3) المصدر نفسه، رقم ١، ص ٣٥١.
(4) المصدر نفسه، رقم ٣٤، ص ٣٦٥.
(5) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٣٦٠.
(6) المصدر نفسه، رقم ١٥، ص ٣٥٨.
(7) المصدر نفسه، رقم ٢٠، ص ٣٦١.

كان الوصف قبل أبي تمّام تحديداً حسّياً للواقع، لكنه صار معه خلقاً جديداً للعالم، وقد ظهر عند شعراء كثيرين بعده، أبرزهم الشريف الرضيّ، فتجاوزوا شكل الأشياء الخارجي وذهبوا إلى جوهرها. كان الوصف عندهم أعلى من الطبيعة، لأنه لم ينقلها، وكان يتضمّن طاقة إيحائية كبيرة بحيث بدت الأشياء حيّة وصارت كلماتٍ تُقرأ، وفعلاً يجري. الغبار مثلاً، كما يراه الشريف الرضي، «سيل يتحدّر» و«الجياد قوارب» سابحة فيه[١]، و«للسحاب أعناق تُنحر» فوق تراب الوطن[٢]، والعتمة سلاسل تحيط بأعناق النجوم[٣]، والنجوم فُقاعات في نهر الليل[٤]، والمجرّة غصن مورق بأحداق النجوم[٥]، وقلب الشاعر وشاح لحبيبته[٦].

أبو تمّام بدايةٌ جديدة في الشعر العربي. ربما كتب أكثر شعره بفشل كثير ونجاح قليل، لكنه في كل ما كتب خلّاق، لا متأرجح يخبط وراء انفعاله. إنه الشاعر العربي الأول الذي خلق لنفسه سلاسل فنية وعاش يرقص ضمنها، كما يعبّر نيتشه. إنه سجين إبداعه؛ تسيِّر شعرَه إرادةٌ حادّة، ويحكمه تصميمٌ آسِر. إنه قبل كل

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ١، ص ٢٥٤.
(٢) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٢٥٤.
(٣) المصدر نفسه، رقم ٨، ص ٢٥٧-٢٥٨.
(٤) المصدر نفسه، رقم ١٠، ص ٢٥٩.
(٥) المصدر نفسه، رقم ١٥، ص ٢٦١.
(٦) المصدر نفسه، رقم ٢٣، ص ٢٦٥.

شيء مسكون بهاجس الفن، فالشعر عنده ليس أسير الحياة، بل آسرها، يكيّفها ويختارها ويخلقها على مثال فني خاص. إنه خبير جمال: ينام مع صوره ومعانيه نومه مع حبيبته[1]. وهو بغموضه الغني الشفاف، وصوره لا يوجه النظر إلى القصيدة فحسب، بل أيضاً إلى كيفيّتها: شكلها وصناعتها. ولقد خلق في هذا كله طقساً جديداً هو طقس الإبداع حيث لا مجال للسهولة، وحيث يكون الشاعر شجرة تثمر ثمراً غريباً نادراً وإن كانت تثمر بصعوبة: حيث لا يكون مديناً لأحد غير نفسه، «فهو وحده جنس»[2].

وهو بهذا كلّه يمهد للشعر الرمزي والشعر الصافي. إنه حدٌّ فاصل: كان الشعر قبله قدرة على التعوّد والأُلفة، فصار بعده قدرة على التغرّب والمفاجأة.

حرّر أبو تمّام الشعر من «الشكل الجاهز»، أما أبو نواس فحرره من «الحياة الجاهزة»، مستلهماً «جدة الزمان»، بحسب تعبيره. فشعره شهادة على التغيُّر وتعبير عنه في آن. كانت صرخته الأولى «ديني لنفسي». هذه نفسها صرخة العالم الحديث منذ بودلير.

---

(١) والشعر فرج ليست خصيصته طول الليالي إلا لمفترعه (**الديوان**، ج ٢، رقم ٢٤ ص ٣٦٢).

(٢) المصدر نفسه، رقم ١٧، ص ٣٥٩.

«ديني لنفسي» تعني انقطاع الشاعر إلى عالمه الداخلي الخاص، حيث يضيئه صوت الأعماق، ويصير الشعر فاعلية مستقلة عن الخارج وأوضاعه وأخلاقه وعاداته؛ ويصير مطهراً، وتعزية، ووسيلة خلاص.

أدرك أبو نواس، شأن أسلافه، أن الزمن تيار يجرف ويمحو. لكنه قرن هذا الإدراك بمعرفة ثانية هي أن الزمن أيضاً يمنح الأشياء حضورها وقوّتها، ويرينا عمق حياتنا الماضية، وأفق حياتنا الآتية، وكثافة حياتنا الحاضرة. الزمن يأخذنا، لكنه يأتي بنا ويستبقينا في العالم ويتركنا، لأجَلٍ قريب أو بعيد، وجهاً لوجه مع الطريق وأبعادها. دور الشاعر إذن هو أن يشارك بطاقته كلها في تكامل الإنسان خلال الزمن ـ بين شهوة الحياة وغبار العالم. فللشاعر ميزة مزدوجة: عالق بالتاريخ ملتصق به حتى الانصهار، منفصل عنه، بعيد حتى الغربة. إنه لا يؤخذ بالحياة إلا فيما هو يبحث عن حياة ثانية وراءها.

شِعر أبي نواس مصابيحُ تضيء الزمن: الزمن حاضراً. الحاضر هو وحده، الكثيف، المليء، اليقيني. فيه يمتلك الإنسان نفسه ويسيطر، لأنه يريد ويختار، وما يريده ويختاره يعوِّض عن السقوط في المستقبل. لذلك لا يخاف العقاب. بل يفعل ما يؤدي فعله إلى العقاب[1].

---

(١) **الديوان**، ج ٢، رقم ٢٥، ص ٢٣٩:

إن كنتما لا تشربان معي	خوف العقاب شربتها وحدي

في الحاضر خلاص الإنسان الذي تتقاذفه رياح الموت. وحين يستحضر الشاعرُ الموتَ الغريبَ ويحيا في حضرته، يدجّنه؛ يجعله أليفاً، ويُفرغه مما فيه من رهبة الوعيد والسقوط. إنه يلقاه إرادة لا استسلاماً؛ ويعيش نهايته بدل أن يظل شاعراً بتهديدها الدائم. إنه «يتداوى بالداء».

من هنا انفتاح أبي نواس، وهو الكائن الوقتيّ المهدَّد، على الفرح والسعادة واللذة. تخلص من سراب الذهن المنطقي، موقناً أن المسألة ليست في أن نهرب، بل في أن نواجه المجهول ونبقى في مواجهته، بعمق ورحابة. هذا هو الزمن العموديّ؛ هذا هو حاضر الروح؛ هذا ما يتيح لنا أن نستبق الوجود نفسه، ونكون ما لا يقدر أن يكونه: البدء والنهاية، الحياة والموت في لحظة واحدة.

المسألة، بالنسبة إلى أبي نواس، هي العيش بامتلاء، هي تحويل كمّية الوجود إلى نوعيّة، وتحويل كتلة الزمن، إلى قيمة. فليست الحياة هي التي تهمّه، بل قيمتها. هكذا يبدّل الذاكرة بالحلم، والغيبة بالشهادة، والتذكّر والحنين بالمغامرة وطلب اللذة. إن شعره هو فنّ يجعل الزمن كلّه حاضراً يتطاول ويشعّ؛ زمناً ثانياً، رديفاً آخر للزمن، هو زمن الهيام والنشوة: الزمن النواسيّ بامتياز.

الهيام يغمر الزمن ويتجاوزه. إنه جنّة التراب، في سماء الانخطاف، وفي وقت سحري لا يعرف الوقت. هكذا تتغيّر وظيفة الزمن: هو عادة آلة الموت؛ لكنه يصير في هذه الجنّة آلةَ اللذة.

تتمّ التجربة النواسيّة في مناخ من الرمز، حيث يبدو العالم والطبيعة «مجتمعاً» آخر تتحقق فيه، بقوة الشعر، أحلام الشاعر ولقاءاته مع نفسه. هناك تشابُه بين الإنسان والطبيعة؛ ومن هذا التشابه يستمد الشاعر مجازاته واستعاراته وكناياته وصوره؛ فشعره اكتشاف للأشباه والنظائر بين الإنسان وصفاته والعالم وصفاته. الطبيعة في شعر النواسي غير موجودة بحد ذاتها ومن أجل ذاتها؛ إن وجودها وظيفي: فهي خزّان لا نهاية له من الأشباه والنظائر. فلكل شكل أو حركة أو لون أو رائحة في النفس ما يقابله في الطبيعة ويشابهه. هكذا تسيطر الروح على العالم. يصير كل شيء فيه ظلاً لها ووسيلة. لا تعود الطبيعة أشياء وموضوعات، بل تصبح رموزاً وكلمات وصوراً. تبطل الأشياء أن تكون امتداداً للطبيعة، لتصير امتداداً للإنسان.

برزت هذه النظرة القائمة على إدراك مبدأ الأشباه والنظائر عند شعراء كثيرين جاؤوا بعد أبي نواس. وتكشف تجربة هؤلاء، خصوصاً في شكلها العاطفي الشخصي عند أبي فراس، عن تعلق بالأرض وأشياء الأرض، نلمح فيه بوادر الرومنطيقية. ويمكن أن نعدَّ قصيدة أبي فراس التي يناجي بها، وهو في سجنه، جارته الحمامة[١]، أول قصيدة عربية رومنطيقية بالمعنى الحديث لهذا المصطلح. بل إن معظم شعره، من حيث إنه مرثية للشباب الضائع[٢]، ذو نسغ رومنطيقي.

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ١٩، ص ١٦٩.

(٢) المصدر نفسه، اقرأ خاصة رقم ٥، ص ١٦١.

الحياة في هذا الشعر مزيج من الحلم والتشوّق والحنين. والشعراء هنا، إذ يصفون الطبيعة إنما يعيدون اكتشافها؛ يؤنسنونها، ولا يرون فيها غير الإنسان وأشباحه وظلاله. السحابة فتاة[1]، والأرض امرأة[2]، وأشجار السرو غوان عاريات الأفخاذ[3]. فليست الأرض في هذا الشعر موطن قسوة، بل موطن جمال، بل هي الموطن الذي يستحيل هجرانه في نظر أبي فراس كما يقول، في صورة رائعة مشيراً إلى حلب:

أسيرُ عنها، وقلبي في المقامِ بها
كأنّ مهري لثقلِ السيرِ محتبَسُ
مثل الحصاة التي يُرمى بها أبداً
إلى السماء، فترقى ثم تنعكِسُ...[4]

الخمرة، مثلاً، عند أبي نواس ينبوع تحوّلات تتقمّص الشكل الذي يتطلع إليه هوى الشاعر وجموح خياله. فهي مصباح وصباح[5]، وهي نار تلتهب ولغة أولى[6]، وهي عجوز وجنين في

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ٦، ص ١٦١.
(٢) المصدر نفسه، اقرأ خاصة رقم ١٩، ص ١٦٩.
(٣) المصدر نفسه، رقم ٦، ص ١٨٧. (واقرأ خاصة، علي بن الجهم، وابن المعتز، والصنوبري).
(٤) المصدر نفسه، رقم ١٣، ص ١٦٦.
(٥) **الديوان**، ج ٢، رقم ١، ص ٢٢٨.
(٦) المصدر نفسه، رقم ٤، ص ٢٣٠ ورقم ١٨، ص ٢٣٦.

آن[1]؛ وللخمرة عَينان[2]، وهي معرفة[3]؛ الكؤوس نفسها التي تُصبّ فيها نجوم جارية والأيدي بروجها[4]. والخمرة، لهذا كله، زمن غريب آخر: زمن من الضوء والشمس لا يعرف الليل[5].

ليست الخمرة ينبوع تغيُّر فحسب، وإنما هي أيضاً ينبوع تغيير؛ «فليلُ شرابِها نهار»[6]، كأنها تمنحهم السيطرة على الزمن «فلا يصيبهم إلا بما شاؤوا[7]»؛ وهي تبدّل القِيم في العالم فتجعل القبيح جميلاً والسقيم صحيحاً[8]؛ وتُغيِّر أجلَ الحياة، فتبسط الأمل و«تترك الطويل من العيش قصيراً»[9]؛ والخمرة روح ثانية في الجسد[10]، وهي سحر يلعب بالزمن، فتترك من يذوقها «يرى الجمعة كالسبت وكالليل النهارا[11]».

هذه الطاقة المغيِّرة المتغيِّرة هي طاقة الروح. من أجلها يتمرّد الشاعر على اللّه نفسه[12]، أما الناس فكلما زاد لومهم ازداد

---

(١) **الديوان**، ج٢، رقم ٦، ص ٢٣١.
(٢) المصدر نفسه، رقم ١٠، ص ٢٣٢.
(٣) المصدر نفسه، رقم ٢٥، ص ٢٣٨.
(٤) المصدر نفسه، رقم ٩، ص ٢٣١.
(٥) المصدر نفسه، رقم ١٥، ص ٢٣٥.
(٦) المصدر نفسه، رقم ١٥، ص ٢٣٥.
(٧) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٢٣٠.
(٨) المصدر نفسه، رقم ٧، ص ٢٣١.
(٩) المصدر نفسه، رقم ١٤، ص ٢٣٤.
(١٠) المصدر نفسه، رقم ١٦، ص ٢٣٥.
(١١) المصدر نفسه، رقم ٢١، ص ٢٣٧.
(١٢) المصدر نفسه، رقم ١٧، ص ٢٣٥.

شهوة، فعيبهم ثناء[1]. فالخمرة عنده مقدسة، وهو لذلك يشربها، في هالة من الطقوس الدينية الاحتفالية، فينقل تقاليد الأسرار والطقوس الدينية إلى مجالسها، فهي كريمة «يجل اللئيم عنها» ولا يشرك بين نداماه إلا المختارين وحدهم[2].

أبو نواس شاعر الخطيئة لأنه شاعر الحرية، فحيث تنغلق أبواب الحرية تصبح الخطيئة مقدّسة. بل إن النواسي يأنف أن يقنع إلا بالحرام ولذيذه[3]. وإذ تمنحه الخطيئة الراحة يغالي في تمجيدها، فلا يعود يرضى بالخطايا العادية، وإنما يطلب الخطايا الأكثر خرقاً وجمالاً التي يستطيع أن يتباهى بها على الخطايا الأخرى، ويتيه[4]. فالخطيئة ضرورة روحية، لأنها رمز الحرية، رمز التمرد والخلاص.

هذه الخطيئة الضرورية الممجَّدة تنقلب عند ديك الجنّ إلى جريمة ممجَّدة وضرورية، كتوكيد أعلى ومطلق، للحرية والشرف، جوهر الشخص. ولا يدفع لمثل هذه الجريمة الكرهُ، بل الحب. فلقد قتل ديك الجنّ حبيبته بمحبة تصل إلى التقديس، لا تقدر أن تقبل الخطأ مهما كان بسيطاً. إن حبّه لا يعترف بالسقوط، لذلك حين يسقط لا يرى ما يُبقي على نقائه إلا قتله. هكذا قتل حبيبته التي أخطأت[5].

---

(١) **الديوان**، ج ٢، رقم ٥٠، ص ٢٤٩.
(٢) المصدر نفسه، رقم ٥٦، ص ٢٥٠.
(٣) المصدر نفسه، رقم ٧٥، ص ٢٦٠.
(٤) المصدر نفسه، رقم ٥١، ص ٢٤٩.
(٥) المصدر نفسه، رقم ٢٣، ص ٣٩٧.

ديك الجن أيضاً شاعر خطيئة؛ شاعر الآن واللحظة. يؤمن بالحب الجديد لا الماضي[١]؛ والبعث عنده خرافة[٢]. إنه يؤمن بنار اللحظة، وفي سبيل ذلك يوطّن نفسه، قاصداً مختاراً، على دخول نار الأبدية[٣].

هكذا يؤسّس أبو نواس فصل الشعر عن الأخلاق والدين، رافضاً حلول عصره، معلناً أخلاقاً جديدة هي أخلاق الفعل الحر والنظر الحر: أخلاق «الخطيئة». فالنواسية استقلال يثير ويحرّك؛ وقوف على حِدة، يغري ويشجّع، مقابل المجتمع وأخلاقه، ضمن المجتمع وخارجه في آن. والإنسان النواسي هو الإنسان العائش مع ذاته، المتخذ من العالم كله وسيلة لذاته، الساخرمن القِيم العامة النهائية، ومن القائلين بها والقيّمين عليها. إنه الإنسان الذي لا يواجه اللَّه بدين الجماعة، وإنما يواجهه بدينه هو، ببراءته هو، وخطيئته هو. إنه أكمل أنموذج في تراثنا الشعري لإنساننا العربي الحديث في شعرنا الحديث.

لأبي نواس نظر آخر يحيل الظواهر إلى صور ورموز، ويرى عبرها ملامح وانعكاسات عالم آخر فيما وراء الحس. الطبيعة في شعره مرآة للروح؛ مكان يتجلّى فيه الخيالي والغيبي. الأشخاص الذين يحبهم والأشياء التي يؤثرها عائلة واحدة تعيش في بيت واحد. إن شعره سير نحو تحقيق حلم عميق بكونٍ سحري لا

---

(١) **الديوان**، ج ٢، رقم ٢٠، ص ٣٩٦.

(٢) المصدر السابق، رقم ١٣، ص ٢٩٣.

(٣) المصدر نفسه، رقم ١٤، ص ٢٩٤.

يشعر فيه الإنسان أنه متميز عن الأشياء، لكنه كونٌ تبقى فيه السيادة للروح. هذا الإحساس العميق بالعلاقة الوثيقة بين المادي والروحي، بين العقل والغريزة، بين الصحو والغيبوبة، بين الخمرة والفرح، بين الحب الجسدي ونشوة الروح، هو شعور بوحدة الحياة النفسية وهو من أهم الكشوفات الشعرية. إن في العالم نعمة ورحمة ولطفاً، مهمتها أن تخلق في الأشياء طاقة العطاء. هذا اللطف المحيط هو أحد ينابيع النشوة النواسية التي تخلق حول أكثر الأشياء عتمة ومادية صفاءً رائعاً يضيء شفافيتها الداخلية، ويملؤها بالمعاني الجديدة.

الشعر عند أبي نواس يجيب عن ضرورة ملحّة هي ضرورة السفر إلى أقاصي الكيان البشري والعيش في حالات روحية نادرة، حيث يتلاقى الزمان والأبدية وينفي كل من الخير والشر الآخر، وحيث لا يتميّز الذاتي عن الموضوعي، وحيث يصبح الوهم الذي تخلقه القصيدة أكثرالحقائق يقيناً: حكماً على كل ما يحدّ حرية الإنسان. كل قصيدة نواسية بشارة تجرف الحدَّ والعتمة، معلنة نهاية ضيق روحي؛ فللشعر عنده وظيفة مقدسة.

هكذا يحقق الشعر مهمته: السحر[١]؛ حيث يصير العالم كله حباً: السحاب، والسيل، والمدينة؛ حيث لا يبقى حول الشاعر إلا الحب ورياح الحب[٢].

---

(١) **الديوان**، ج ٢، رقم ٨١، ص ٢٦٢.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٦١، ص ٢٥٢.

في شعر المتنبي، يأخذ تمرّد الشاعر على المجتمع بُعداً أكثر تألقاً وشخصانية. المتنبي يفرز نفسه ويعرضها عالماً فسيحاً من اليقين والثقة والتعالي في وجه الآخرين وضدهم. وهو في ثنايا شعره كله، يحتضن ذاته ويناجيها، ويحاورها بنبرة عبادة آسرةٍ. إن شعره كتاب في عظمة الشخص الإنسانية، يسيِّره جدل اللانهاية والمحدودية: الطموح الذي لا يعرف غاية ينتهي عندها[١]، والعالم الهرم الذي لا يقدر أن يتحرك ويساير هذا الطموح[٢]. بل إن المتنبي يريد من الزمن ما لا يستطيع الزمن أن يبلغه[٣]. شعره وهو يتجهان صعداً، في آفاق العظمة، دون أن يبلغا عظمة أخيرة يرتاحان إليها ويقفان عندها. هكذا تبقى الحياة، بالنسبة إليه، شروعاً دائماً.

لكن، إذا كان المكان ضيقاً عليه والزمن هرماً، فإن له زماناً ومكاناً خاصّين وهما طليقان واسعان بلا تخوم. ذلك أنه مسكون بهاجس وحيد: ببداية أعمق أصلاً، وبكارة أكثر عذرية.

يعرف أن الممكن المباشر سرعان ما يصير آسِناً، فالوقوف عنده دلالة العجز. ولكي ينقذه من التعفُّن يصله بالمستحيل: ينفخ فيه الروح الليّنة، المرنة، المتطاولة، المطاوعة التي تجعل منه مهد

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ٢١، ص ٦٩، رقم ٣٥ ص ٨٣، رقم ٤٤ ص ٩٧.
(٢) المصدر نفسه، رقم ٤٦، ص ١٠١.
(٣) المصدر نفسه، رقم ٥٠، ص ١٠٤.

المستقبل. وليس شعره إلا أغنيات تتصاعد وتتموّج حول هذا المهد، حيث نلمس تجاعيد العالم والناس، وحيث يتعانق موكب الكلمات وموكب الأرض.

لقد خلق المتنبي طبيعة كاملة من الكلمات، في مستوى طموحه، تهز، تتقدم، تجرف، تهجم، تقهر، تتخطى... كأنها جواب كيانه الداخلي وامتداده وتكملته. هذه الكلمات تخلق بدورها من خيال المتنبي وطموحه المعجز كوناً أسطورياً تعبره الأصداء والأصوات، ويملؤه الضجيج والصراخ، ويملؤه الصمت الأمير.

المتنبي روح جامحة، تيّاهة، تتلاقى فيها أطراف الدنيا. إنه وحيد[1]، بل الوحيد، فوحدته قدر محتوم لأن الإنسان «خليل» نفسه[2]. كل متفرّد وحيد. كل وجود خلاّق وحيد. الريح وحدة هائلة. الأرض وحدة صامتة. السماء وحدة متلألئة معتمة. المتنبي وحدة غاضبة لا يرضيها شيء. لكنّ وحدته ليست هرباً من العالم، ليست وحدة اللجوء إلى الراحة والهدوء، ليست مملكة مغلقة. إنها وحدة المجابهة ـ مجابهة العالم، واللعب به والسخرية منه. وحدة الألم الكبير: فمن لا يملك غير آفاق لا يصل إليها تمتلئ أعماقه بالمهاوي الأليمة. فآلية العظمة تنقلب إلى آلية الفاجعة حين يُراد القبض على اللهب الأول. وحدة الصداقة مع

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ١٩، ص ٦٧.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٤٢، ص ٩٤.

الأطراف القصيّة: الانتصار أو الموت. وحدة التعالي والمطالب الكبرى والاتصال بينابيع القوة والسيطرة على العالم وتغييره. إنها الوطن الأرحب.

سيختار الغربة[1] مؤمناً ألا عظمة إلا في نفسه، صديق القلق والريح[2]، غنياً عن الوطن[3]، غيرَ الناس كأنه ليس منهم[4]، فكلهم صغار[5]، وغنم للراعي العبد[6]، الجدير بأن يُضرب رأسه كالوثن[7]. أما المرأة فلها ساعة وحسب وهي ساعة النصيب الحيواني[8]، فكيانه مرهون بما لا نهاية له، بما يجلّ عن التسمية[9]، بالمدى المتطاول الذي يقصر، مع ذلك، في عينيه[10].

قد يرهق جسده، قد يشيب، لكنّ فيه روحاً لا تعرف الهرم[11]، حتى كأن له روحاً ثانية[12]. الموت نفسه رعاه

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ٤٤، ص ٩٧.
(٢) المصدر نفسه، رقم ٣٧، ص ٨٦.
(٣) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٦٦.
(٤) المصدر نفسه، رقم ٤٢، ص ٩٤.
(٥) الرقم ذاته، ص ٩٤.
(٦) المصدر نفسه، رقم ٤١، ص ٩٢.
(٧) المصدر نفسه، رقم ٤٨، ص ١٠٢.
(٨) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٦٦.
(٩) المصدر نفسه، رقم ٤٤، ص ٩٧.
(١٠) المصدر نفسه، رقم ٣٥، ص ٨٣.
(١١) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٦٥-٦٦.
(١٢) المصدر نفسه، رقم ٢٤، ص ٧٢.

واحتضنه فصار أنيساً، حلواً[١]، بل صار دواء هو وحده يشفيه من نفسه[٢]. منذ هذه اللحظة «هان على قلبه الزمان[٣]» فاستوى لديه الغياب والحضور، الموت والحياة، الفرح والحزن. كوني إذن، أيتها الطرق ما شئتِ.. كوني النجاة أو الموت، لا فرق[٤].

إنسان المتنبي موجة لا شاطئ لها ـ دائماً على حركة. إنه أول شاعر عربي يكسر طوق الاكتفاء والقناعة، ويحوّل المحدودية إلى أفق لا يحد. شعره للحركة، للحرارة، للطموح، للتجاوز. إنه جمرة الثورة في شعرنا، جمرة تتوهج بلا انطفاء. إنه طوفان من هدير الأعماق، والموت هو أول شيء يموت في هذا الطوفان.

الحنين إلى النشوة، إلى الانتقال، إلى الانخطاف، شكل آخر من أشكال التمرّد على المجتمع. فهذه وسائل لتمزيق ستائر الواقع اليومي، والدخول إلى العالم الخفي. لهذا الحنين مرتكز في الطبيعة الإنسانية. فالإنسان يتوق إلى أن يتخطى ظواهر الأشياء إلى ما وراءها، ومهمة الشعر هي أن يفتح دروباً إلى ذلك العالم الخفي وراء العالم الظاهر، ويتيح للإنسان أن يتخلص من العوائق، ويصير أشبه بسائل روحي يتمدّد في العالم.

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ٣٨، ص ٨٧.
(٢) المصدر نفسه، رقم ٥٢، ص ١٠٧.
(٣) المصدر نفسه، رقم ٣٦، ص ٨٤.
(٤) المصدر نفسه، رقم ٢٩، ص ٧٧.

سيكون الشعر في هذه الحالة مفاجئاً، غريباً، عدو المنطق والحكمة والعقل. هكذا ندخل معه إلى حرم الأسرار. نتحد بالأسطوري، العجيب، السحري. نمزج بين الغريب والأليف، الوضوح والسر، النظام والفوضى، الحقيقة والوهم، الداخل والخارج، الذات والموضوع، الليل والنهار، الواقع والحلم. نعدّ العالم الداخلي وعجائبه الواقع الوحيد، ونعلن أن العالم ليس إلا «هوى» الروح وجموحها. نجعل «الهوى ربّاً»[1] كما يعبّر ابن بابك.

هذا الشعر القائم على هوى التخيُّل والتوهُّم رأينا بعض نماذجه عند البهراني[2]، ويمكن أن نصفه بأنه سفر في فضاء الأعماق، يواكبه الخيال واليأس من الحياة، ورجاء الخلاص.

ليس ابن بابك يائساً، بل هو «ابن اليأس»[3]. منذ البداية يرفض العالم. اليأس يحب ويحنو فهو «أخ شفيق»[4]، واليأس يفرح ويظلل ويُمتع، فهو «سُرادِق منصوب في كل مكان»[5]. قد يحاول بعضهم أن يجد في الحياة ما يروي، فيصرخ به الشاعر: هذا غرور[6]، والوطن ضيّق كالصحن[7]، لا مُتَّسع فيه. بلى، إن

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ١١، ص ٢٧٢.
(٢) راجع **الديوان**، ج١، ص ٤١، وج ٢، ص ١٤٥.
(٣) الديوان، ج ٣، رقم ٤، ص ٢٦٨.
(٤) المصدر نفسه، رقم ٩، ص ٢٧٠.
(٥) المصدر نفسه، رقم ٣١، ص ٢٨٠.
(٦) المصدر نفسه، رقم ٧، ص ٢٦٩.
(٧) المصدر نفسه، رقم ٢٧، ص ٢٧٨.

الجفاف والقحط عبرة الأرض[1].

ماذا يفعل الشاعر إذن، وليس أمامه غير الخيبة؟ يلجأ إلى خلق عالم آخر. يؤمن بالعجيب. يبني بيوتاً أخرى، ويسلك دروباً ثانية. يبحث عما «يطيّر» العقل حتى يصبح البحر جرعة وتصير الجبال كرة[2]. ها هو إذن يتخطى الأرض «ويبلغ السماء»[3] دون أن يتعب. وكيف يتعب وله «خطو كالموج»[4]. والحياة ذاتها تحمله كالموجة[5]. لكنه أحياناً يسافر إلى عالمه الآخر، بطريقة ثانية. يسافر ممتطياً الخيل التي تخبِّئها له «مساحب الريح»[6]. وفي ذلك العالم يحادث النجوم وتحادثه[7]، بل يصير شبيهاً لها حتى لا يعود هناك فرقٌ بينه وبينها[8]، إذ يصير كوكباً يدخل في النظام الشمسي[9]. وهنا يصير جزءاً من عالمه: نجماً في جدول المجرّة، وطريقاً على شعرة الصراط[10]. هناك الوجود الحقيقي الذي اشتراه بالمعدوم في عالم الناس[11]. وهناك يجد المتعة في

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ٩، ص ٢٧١.
(٢) المصدر نفسه، رقم ٥، ص ٢٦٨.
(٣) المصدر نفسه، رقم ٦، ص ٢٦٩.
(٤) المصدر نفسه، رقم ٨، ص ٢٧٠.
(٥) المصدر نفسه، رقم ٢٠، ص ٢٧٥.
(٦) المصدر نفسه، رقم ٢٤، ص ٢٧٧.
(٧) المصدر نفسه، رقم ٢٦، ص ٢٧٨.
(٨) المصدر نفسه، رقم ٢٣، ص ٢٧٦.
(٩) المصدر نفسه، رقم ٢٩، ص ٢٧٩.
(١٠) المصدر نفسه، رقم ٢٤، ص ٢٧٧.
(١١) المصدر نفسه، رقم ١١، ص ٢٧١.

العيش، ويجد الصبوة، حتى إنه ليقدر أن يغرّد ولو لم يكن غِرّيداً[1]. يصبح هو نفسه سحراً يغيّر ويخلق ما يشاء، حتى إنه ليستطيع أن يخلق سواداً للضوء[2].

ماذا يشكو؟ ضياع شعره بين الناس؟ لا بأس. ليكن شعره برقاً يستهل على الحجر[3]. فهو يعرف أنه منزّه عن العيب. عيبه الوحيد أنه شقي بالشعر، أنه «يدمى من الشعر»[4]، دون أن يشعر. لكنه يشكو أمراً واحداً: كونه من رجال هذا الزمن[5].

هذا الاتجاه نحو العجب، المدهش، اللامعقول هو ردة فعل ضد يباس الحياة، وهو تفجير لأرض الألم المعتمة،، حيث ننقذ حريتنا الداخلية ونشفى من داء العيش في مجتمع ليس إلا حشداً من «البقر» و«القرود».

بهذه الخيالية نصِف عالماً نتخيّله بحيث إن وصفنا له يوهمنا أننا بلغناه وأننا عشنا فيه ولو لحظات قليلة. والعجب هنا ليس مستمداً من الأسطورة أو من الذهنية الفولكلورية، بل هو داخلي نفسي مستمد من خاصّية الشعر السحرية، حيث يسيطر على الشعر هذيان هادئ رصين، ويصبح السر أليفاً كالهواء. وينقل الشريف الرضيّ هذا الهذيان في الروح إلى هذيان في المكان، فيقول:

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ١١، ص ٢٧٢.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٨، ص ٢٧٠.

(٣) المصدر نفسه، رقم ١٣، ص ٢٧٢.

(٤) المصدر نفسه، رقم ١٧، ص ٢٧٤.

(٥) المصدر نفسه، رقم ٢٥، ص ٢٧٨.

ستسمعُ بي شارداً في البلادِ   لأمـر، أغـيّـرُ إنـسـانـيَـهْ
عَليقُ جيادي شَمُّ النسيمِ   والظِّمْءُ سائق أذوادِيَهْ[1].

هذا هو مناخ الجنة الضائعة، مناخ الطفولة الأولى، الذي سيردّ عليه، فيما بعد، الشريف العقيلي بالدعوة إلى المدينة وعالم المدينة.

«آخر الحيوان الموت»[2]، كما يعبّر أبو تمّام؛ الموت يطارد الإنسان؛ الحياة موت فوق الأرض، أو هي «غيمة الموت»، كما يقول أبو العلاء المعرّي: هذه حقائق، فماذا يفيد نسيانها أو تجاهلها؟ من هذا التساؤل تنطلق تجربة أبي العلاء.

لم يصل أبو نواس إلى أطراف المأساة. بقي في حدود الحوار بين الروح والخطيئة، بين حاضر اللذة، ومستقبل النجاة. أبو العلاء المعرّي حضن الأطراف وتجاوزها. الحياة، كما يراها أبو نواس، تبدأ اليوم والآن؛ وهي عند أبي العلاء تبدأ بعد الموت. إنه يفتح في أعماقه جحيماً يهبط فيه؛ يحاور الموت ويصادقه ويتمناه ويدعوه حتى الموت.

انفعاله المباشر الأول، إزاء الحياة هو الزهد. لذلك يأنس بالوحدة وتوحشه الجماعة[3]. والبعد عن الناس يتضمن الملل

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ٢٤، ص ٢٦٥.
(٢) **الديوان**، ج ٢، رقم ٦٢، ص ٣٣٧.
(٣) **الديوان**، ج ٣، رقم ٣٣، ص ٣١٦.

والتعب منهم. فالحياة «تعب كلها»[1]. وإذا كان هناك ما يدعو إلى العجب فهو الرغبة في إطالة الحياة. إذ بقدر ما يطول عمر الإنسان يطول شقاؤه[2].

لكنّ أبا العلاء لا يقدّم جديداً في ما يتعلق بالدعوة إلى الزهد. سبقه إليها أبو العتاهِيَة، بشكل خاص، وعبّر عن دعوته بنبرة باروقية مشحونة بالرهبة. الإنسان «يسقط» كما يقول وحيداً إلى الدنيا و«يمضي» عنها وحيداً[3]، دون أن يظفر بشيء منها إلا بحفنة التراب التي تغطيه بعد نزوله في القبر[4]. والقبر هو مكان التحوّل المرعب: يتعفّر الوجه البشري، وتنتن رائحة الإنسان العطرة، ويتفتت الجسد الناعم، ولا يبقى غير الجمجمة العارية والأعظم النخرة[5]. لماذا إذن يغترّ الإنسان بالدنيا ويرفعها «من تحت رجله على رأسه؟[6]» لماذا، والقبر مسكنه الوحيد؟[7] بلى إن الأرض هي «ديار التزعزع»[8]، والخلاص الحقيقي هو في الخلاص منها، في بناء كون مقدس على الأرض يصلنا باللّه والآخرة، عبر انتظارنا الموت الحق.

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ١، ص ٣٠٦.
(٢) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٣٠٦.
(٣) **الديوان**، ج ٢، رقم ٦، ص ٣١٣.
(٤) المصدر نفسه، رقم ١٣، ص ٣١٥.
(٥) المصدر نفسه، رقم ١٠، ص ٣١٤.
(٦) المصدر نفسه، رقم ١٢، ص ٣١٤.
(٧) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٣١٦.
(٨) المصدر نفسه، رقم ٢٢، ص ٣١٧.

لكن إذا كان أبو العتاهية قد خلق هذا الكون المقدس بدءاً من الزهد بالدنيا، فإن أبا العلاء يخلقه بدءاً من الموت، فالموت هو الإكسير الوحيد الذي يطهّر ويشفي وينقذ. إنه يتحسر لكونه إنساناً يعيش سجين موته الذي يتقطر نقطة نقطة. فهو ميت قبل أن يقبر، وليست الحياة إلا موتاً يسعى: الثوب الذي يلبسه الإنسان هو الكفن، والمنزل قبره، وعيشه موته، والموت بعثه، وهو حياته الأصلية[1]. إذن لماذا لا يتوق الإنسان إلى الموت الفعلي؟ لماذا يعيش وهمياً؟ موجود غير موجود: عرضياً هنا والآن، جوهرياً هنالك في أبديّة السديم. وفوق ذلك يعيش مع الآخر. الآخر الذي «صاغه ربه من الوسخ»[2]، فهو دنس محض حتى إن الأرض لا يمكن أن تتطهر «إلا إذا زال عن آفاقها الإنس»[3]. إن الإنسان لعنة اغتراب: غريب بين الناس وغريب بعد أن يموت[4]. فالحق أن شر أنواع الشجر وأخبثها هو الشجر الذي يثمر الناس[5].

الصخرة، لذلك، أفضل من أفضل الناس: ألا سحقاً للحياة ولا بورك في كل ما هو حي[6]. الوطن سجن والموت تسريح

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ٢٠، ص ٣١٣.
(٢) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٣١٣.
(٣) المصدر نفسه، رقم ٣٠، ص ٣١٧.
(٤) المصدر نفسه، رقم ١٢، ص ٣١١.
(٥) المصدر نفسه، رقم ٣٢، ص ٣١٧.
(٦) المصدر نفسه، رقم ٢٩، ص ٣١٧.

والقبر وحده حصن الإنسان. وخير له أن يموت اقتلاعاً كالشجرة دون أن يترك وراءه غصوناً أو أصولاً[1].

ما أعذب الموت وما أوسعه: فيه يستريح الإنسان عائداً إلى أصله، فيتطهر[2] ويشفى، فالعيش عِلّةٌ دواؤها الموت[3]. الموت عيد الحياة[4]، فالفناء يغني الإنسان، شأن المسك الذي يزيده السحق غنى وطيباً[5]. بل إن الموت غريزة النفس؛ فهي في شهوة دائمة لتصبح زوجة له[6].

إن أبا العلاء يموت من كونه لا يموت؛ فأسرع، أيها الموت:

جسدي خِرْقَةٌ تُخاطُ إلى الأرضِ
فيا خائِطَ العوالمِ خِطْني[7].

هذا هو الإنسان: خرقة تذوب في النسيج الكوني، وزجاجة تتكسر ولا تُسبك مرة ثانية[8]. أغلب «الظن» إذن، أن هذا الزمان، بكونه وفساده معاً، ليس إلا عبثاً ولهواً[9].

---

(١) **الديوان**، ج ٣، رقم ٢٢، ص ٣١٤، رقم ٤٥، ص ٣٢١.
(٢) المصدر نفسه، رقم ١٧، ص ٣١٢.
(٣) المصدر نفسه، رقم ١٩، ص ٣١٣.
(٤) المصدر نفسه، رقم ٢٦، ص ٣١٥.
(٥) المصدر نفسه، رقم ٣٨، ص ٣١٩.
(٦) المصدر نفسه، رقم ٣١، ص ٣١٧.
(٧) المصدر نفسه، رقم ٥٠، ص ٣٢٣.
(٨) المصدر نفسه، رقم ٣٩، ص ٣١٩.
(٩) المصدر نفسه، رقم ٢١، ص ٣١٤.

هذا هو العبث ومناخه، حيث لا يجد الإنسان أساساً راسخاً لكيانه، لا في نفسه ولا خارج نفسه. الحياة فاسدة أصلاً: وولادة الإنسان هي أيضاً خطيئة أصلية.

يكشف شعر أبي العلاء المعرّي عن الغياب الأصلي في الحياة. فالحياة غائبة جوهرياً ـ لا الآن وحسب، بل أمس وغداً. فليس العالم والتاريخ إلا سلسلة من الغياب الدائم الحضور، وليس الإنسان إلا سقوطاً متتابعاً ينتظر نهايته. هكذا يستعجل أبو العلاء الموت، كأنه يرفض وجوداً يحدده الانتظار.

إن أبا العلاء هو أول شاعر ميتافيزيائي في تراثنا الشعري، من حيث إنه مأخوذ بالعودة إلى حضن الأم ـ الأرض، مأخوذ بالمطلق: بالزمن، والموت، والفناء، والأبدية... إنه شاعر ميتافيزيائي، وليس شاعراً فيلسوفاً، ذلك أن الفكر الميتافيزيائي تأمّلٌ في العالم، أما الفلسفة فتتضمّن أكثر من التأمّل: تتضمّن طريقة ومنهجاً في تأمّل العالم. ولا طريقة لأبي العلاء: إنه يثير مشكلاتٍ ذات طبيعة ميتافيزيائية، ويتحدث عنها ويستلهمها في سبيل توكيد الحقيقة التي يشعر أنها تملأ يقينه. وهو في شعره يتحدث بنبرة أليفة، نبرة الذي يعلم الحقيقة. لذلك يتوجه إلى الفكر أكثر مما يتوجه إلى الشعور. فالمعنى هو ما يهمه في المقام الأول. ولعل هذا ما يفسّر السبب في أنه لم يترك تقليداً فنياً يمكن التأثر به، كما ترك مثلاً أبو تمّام أو أبو نواس. إنه عالم وحده، لا يتميّز عمّن تقدّموه من الشعراء وحسب، بل يتميّز أيضاً عن معاصريه.

كان أبو العلاء بُرجاً يرتفع وحيداً، عالياً، في مفازة البشر، وفي الجهات كلها يُرى ويتلألأ.

هكذا تبرز الملامح الرئيسية لحركة التحوّل في الشعر العربي. يتجاذب هذه الحركة طرفان متناقضان: قوة التقليد وقوة التجديد. الأولى تريد أن يكون الشعر شهادة للماضي: تكراراً لنماذج الشهادات السابقة. وتريده الثانية شهادة للحاضر القائم. الحياة في الأولى، تجريدات ومصطلحات ترزح تحت سلطان التقليد وليست قيمة الشعر، بالنسبة إليها، كامنة في تمجيد الحياة، بل في تمجيد النموذج، وليست في صدوره عن التجربة، بل عن المثال، ولا عن الحاضر والتطور، بل عن الماضي والتاريخ.

ولقد عزّز الصراع الاجتماعي آنذاك بين عناصر المجتمع المتنافرة المطالبةَ بالنموذج والماضي، من جهة ـ وعزّز من جهة ثانية الإلحاح على التجربة الحيّة. كان صراعاً بين العتيق والطريف، بين التذكر والنسيان، بين الشيخوخة والفتوّة. كانت عناصر الشيخوخة تتمسك بالمثال، بالماضي، بالنماذج، وتحارب التمسك بالحياة والطرافة والتغيُّر. وإذا أدركنا أن مثل هذا الصراع يحدث في المجتمع الواحد، المتجانس، ويحدث قوياً ويغيّر، فكم يكون عنيفاً في مجتمع غير متجانس لا في عناصره ولا في طبقاته ومستوياته ـ كالمجتمع العربي آنذاك. وإذا عرفنا أن السلطة هي مظهر السيادة في الدولة، أدركنا كيف كان ذلك الصراع الثقافي،

ولا يزال حتى يومنا هذا، يكتسي شكلاً سياسياً، حيث تمتزج الثقافة بالسياسة، ويحكم على الثقافة وقيمها بروح السياسة وقيمها.

كانت القوى المحافظة في المجتمع العربي، وهي عادة قوى السلطة، ترى أن الحياة هي المحافظة على ما هو أصلي وقديم. وترى أن التقدم يجب أن يكون سبيكة جديدة من معادن قديمة، وفقاً لتعبير ابن طباطبا العلوي، أي أن التقدم نوع من تحويل الموروث وصياغته من جديد، وليس فهماً للحياة الجديدة وتلاؤماً معها وتعبيراً عنها. كأن الزمن عامل تشويه، وكأن المثال الأعلى هو الفطرة الأولى، وكلما ابتعدنا عنها ازداد تخلفنا. وهذه نظرة مثالية لا تطوّرية، تترك أصحابها يدورون في عالم مغلق من الأفكار والمُثل. وقد ساعد على ترسيخ هذه النظرة الدينُ، بوصفه وحياً، وليس في مقدور الذين يرثونه أن يناقشوه أو يشكّوا فيه: موقفهم الوحيد هو قبوله حقيقةً مطلقة.

وهذه النظرة تؤدي إلى التقليد والانصراف عن الإبداع: كمال العالم في الماضي، والإبداع الأشمل والأغنى هو الإبداع الأول الذي تحقق في الماضي.

كان الشاعر الجاهلي يمثّل يقظة الحرية في نظام قبائلي صارم، أما الشاعر العباسي فيمثّل اليقظة الفردية في مجتمع يحكمه التقليد والخليفة ـ دون أي دستور مدني ينظم شؤون الفرد والجماعة.

من هنا يتضح لنا كيف أن خصائص الحركة الشعرية والروحية في القرنين الميلاديين الأولين وما قبلهما تختلف تماماً عن

خصائص الحركة الشعرية في القرنين الثالث والرابع والنصف الأول من القرن الخامس. هناك التلاحم بين المثال والواقع، بين النظر والعمل، بين الفرد والمجتمع، وهنا التنافر والتناقض. هناك القبول بالسلطة، سياسية وغير سياسية، وهنا رفض لقوى السلطة الأبوية والدينية والأخلاقية، وحتى السياسية، والخروج منها إلى حالة مبهمة ـ متمردة وشبه ثورية، واقعية ووهمية، عملية وطوباوية. هناك يخضع العقل للعاطفة، وهنا تنفلت العاطفة وتستسلم للغموض بلا نظام مفروض، مع محاولة السيطرة على العقل. هناك القواعد والنماذج مقبولة كقِيَم عُليا، وهنا النقد الصارم للقِيم الثابتة، وتعميق التناقضات. هناك يخضع الممكن للواقع، وهنا ينقلب الممكن والمستحيل على الواقع: خروجاً إلى المحال. هناك التقليد هو السيّد: الأدنى يقلّد الأعلى، والمتأخّر يقلّد السابق، وهو تقليد يتحوّل إلى منهج عقلي وفني وأخلاقي. وهنا السعي وراء الطرافة والغرابة والجِدّة. هناك التوازن والقبول بالآخرين والمجتمع والنظام الكوني، والانضواء. وهنا الاحتجاج، والخروج، وعدم الانضواء، والسخرية من النظام. هناك النظام والوضوح، والرؤية، والاتزان ـ وهنا الحماسة، والتمجيد، والرفض، والتمرّد.

III

من القبول إلى التساؤل، إلى الصنعة. الصنعة هي المدار الذي يتحرك فيه الشعر العربي طول تسعة قرون (١٠٠٠ ـ ١٩٠٠)، وهي الهاجس المسيطر.

الصنعة، وما يرافقها من تأنُّق وتصنيع وزخرفة، ظاهرة تسود حيث البطالة واللهو والترف، وحيث تترسّخ الحياة الحضرية. لذلك يمكن أن نصف الشعر العربي في هذه القرون التسعة بأنه كان شعراً مدينياً. الصنعة، من هذه الناحية، لا تميّز الشعر، بقدر ما تميّز الحياة والمرحلة التاريخية، ذلك أنّها تنشأ وتنمو في ظروف وأوضاع اجتماعية وتاريخية معيّنة، هي غالباً ظروف توقّف، وأوضاع انحلال. فقلّما تنشأ الصنعة في أوضاع الثورة. الصنعة لعب، لذلك تنشأ في الهدوء والراحة، لا في التفجير والتغيّر.

ولقد تقلّصت الحياة العربية في هذه القرون التسعة. أصبحت عالماً يضيق بعد اتساع، وينغلق بعد انفتاح، ويتفتت بعد تماسك.

وكما أن الحياة في المدن أصبحت زيّاً، كذلك القصيدة لم يعد معناها هو الذي يهمّ الشاعر أو السامع أو القارئ، بل زيّها، أعني صنعتها. وكما أن الحياة في المدن نقيض الحياة في البداوة،

كذلك كان الشعر المصنوع نقيضاً للشعر المطبوع. في الصنعة إتقان وتأنّق يصلان أحياناً إلى درجة التصنُّع. وفي الطبع تفجُّر وفيض يصلان أحياناً إلى درجة السهولة.

ولئن كانت الكلمة في شعر الطبع شرارة أو موجة أو حركة عاصفة تتواكب مع غيرها في هدير كالنهر، فإن الكلمة في الشعر المصنوع لعبة، حصاة مزوّقة ملساء تُقرن إلى غيرها في نسق كالعقد.

وإذا كان «الكلام يفتح بعضه بعضاً» كما يقول ابن رشيق، فإن الشعر كما فهمته تلك القرون التسعة هو صناعة الكلمات على نحو بارع بحيث ينفتح بعضها على بعض، ويفتح بعضها بعضاً، وبحيث أصبح الناس آنذاك يأخذون بقول ابن رشيق: «المصنوع أفضل من المطبوع». وفي هذا يقول ابن رشيق مستطرداً، موضحاً: «ولسنا ندفع أن البيت إذا وقع مطبوعاً في غاية الجودة، ثم وقع معناه في بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه الكلفة ولا ظهر عليه التعمّل، كان المصنوع أفضلهما».

الشعر إذن هو، بحسب هذا الاتجاه النقدي، فن صناعة الكلام. لكن الكلمة هنا تظل وسيلة. تبقى لوناً، عنصر تزيين وزخرفة وليست غاية بحد ذاتها.

ومن هنا كان مقياس الشعر هو أن يساير العصر وأهل العصر. ويعبّر عن هذا ابن رشيق فيقول إن الشعر صار «ألْيقَ بالوقت وأمسَّ بأهله». وفي تعبير آخر يقول «أشكل بأهله». وكان حين يمتدح شاعراً يقول عنه إنه «يختار للأوقات ما شاكلها».

هذه المشاكلة قادت إلى أن تصبح القصيدة نسيجاً مترفاً من

«الكلام المأنوس» أو المعاني السهلة، وإلى أن يصبح الشاعر «كصاحب الصوت المطرب يستميل الناس» كما يعبّر ابن وكيع التنّيسي. هكذا أخذت القصيدة تتجه إلى أن تصبح أغنية.

والصنعة لعب شكلي. لهذا تطوّر الشكل الشعري في هذه القرون التسعة. فقد سادت الأوزان الخفيفة المجزوءة لكي توافق إيقاع الحياة المدنية السريعة المتحرّكة المتغيّرة. واستُخدمت كذلك اللغة العامّية، خصوصاً في الموشّح والدّوبيت. وأخذ الشعراء يكتبون باللغة العامّية ذاتها أنواعاً شعرية مثل الكان وكان، والقوما، والزجل. واستُخدمت إيقاعات مختلفة من أوزان مختلفة في قصيدة واحدة، أي في الموشّح. ونشأت أشكال جديدة هي المخمّسات والمسمَّطات. ووصل تطور الشكل الشعري في هذه المرحلة إلى أوجه في التجربة التي حاولها القاضي الفاضل. فقد كتب قصيدة مزج فيها بين النثر والوزن، فجعل صدور الأبيات كلها نثراً، وجعل أعجازها كلها وزناً. وقد أثبتُّ القصيدة في ما اخترته له من شعر، لأهميتها التاريخية الكبيرة.

إلى هذا كله نما الشعور بضرورة الموضوع في القصيدة. فحين جمع أُسامة بن مُنقذ ديوانه جزّأ القصيدة الواحدة ذات الموضوعات المتعددة إلى أجزاء، ووضع كل جزء في الباب الذي يناسبه. أي أنه خلق جواً للقصائد ذات اللون الواحد.

والصنعة اتجاه إلى العالم الخارجي كأشياء مفردة، مستقلة، حيث يحاول الشاعر أن يصنع بالكلمات كياناً يماثلها. وهكذا تَمحْوَرَ الشعر العربي في هذه الفترة على وصف الأشياء بحد ذاتها، على وصف الأحداث والتغيُّرات. فوصفها من حيث هي كائنة، لا

من حيث هي موجودة إن استخدمنا المصطلحات الفلسفية. كان ينظر إليها كماهيات ثابتة. وكان يعنى بأشياء الطبيعة، كالأزهار والأنهار، وأشياء الحياة اليومية بدءاً من أكثرها بساطة وانتهاء بأكثرها تعقيداً. وكانت عنايته الأولى منصبّة على جسد المرأة.

صار الحب في هذه المرحلة جسداً، أي صار جنساً.

اللغة في التعبير عن هذا الحب تحتلّ المكان الأول. الكلمات وسائل الاتصال، وبها يتمّ. اللغة هنا تمتدح وتمجد. القصيدة تفعل، تؤثر، بشكلها أولاً. فالطريقة التي يتوجّه بها إلى عشيقته أكثر فعالية من عشقه. فحين يتوجّه إليها يريد أن يكون شكل توجّهه مرآة له، صورة عنه. لذلك يجهد في أن يأتي شكل توجّهه متقناً بارع التفنّن. والقلب لا يهمّ. يهمّ اللعب البارع. لكي نسرّ لا بدَّ من أن نلمع. ولا نلمع إلا بصنعة ما. هكذا أصبحت الصنعة، هي كذلك، وسيلة الحب وخادمته.

لكن الصنعة انحطّت حين أصبحت مدرسة. حين أخذ الشعراء يتعلمونها كأمثولة مدرسية. انحطت لذلك اللغة الشعرية. وانحطت صورها. صارت التشابيه علاقات مصطنعة تقوم على المبالغة. الحبيبة زنبقة، وردة، كوكب، شمس. الشمس تمحو جميع الأضواء، كذلك الحبيبة تمحو كل جمال، غيرها. نجمة الصباح تستيقظ عارية. كذلك الحبيبة وهي تستيقظ. أما عيناها فتتكلمان وتأمران وتخطبان وتحرمان وتحللان، وهما رسولها إلى العاشق، والعاشق دائماً مريض يتوق إلى الشفاء، وشفاؤه حنان حبيبته. إنها في آن نار تشعله وماء تطفئه.

هكذا يبدو أن الصنعة في هذه القرون التسعة لم تكن ظاهرة

فردية بل ظاهرة جماعية، وأنها ترتبط بهاجس الأداء المتقن. فقد كانت الفكرة تأخذ قيمتها من زيّها وزينتها.

وفي هذا ما يُوضح أن الصنعة لا تنظر إلى اللغة بوصفها وسيلةً للفكر، بل تنظر إليها بوصفها مادّةً فنية مهمتها أن تجعل العالم الخارجي عالماً جمالياً، أنّ تحوّله إلى منظر أو إلى صورة سمعية ـ بصرية.

ولم يفد كثيراً دور البارودي في نقل الشعر العربي من عالم الألفاظ والمحسّنات البديعية إلى عالم الواقع. لقد رجع إلى الأصول القديمة، لكنه لم يفد من تطوّر الشكل الشعري، واللغة الشعرية في عصر الصنعة، الذي سُمّي، خطأً، بعصر الانحطاط. لقد أحيا نماذج قديمة بتقليد بارع، وفي هذا تابع البناء خطأً على الأصول. وهذه المتابعة شاركت في إبقاء الدفعة الشعرية حبيسة داخل معتقل شكلي. فكان الأحرى به أن يُكمل ما بدأه القاضي الفاضل وبعض الوشّاحين، فيتابع تحرير الشعر من معتقلاته الشكلية، وتحطيم جميع المعتقلات الأخرى.

كان هذا العالم الشعري يموت متجرجراً مع أنقاض الحرب العالمية الأولى. وكان لا بدَّ، لبعثه، من أن يبدأ بهذه الطفولة، غير الناضجة، لكن الساحرة، التي أُسمِّيها: جبران خليل جبران.

أدونيس

(بيروت، ١٩٦٤)

إشارات:

* هناك أبيات رويت بأشكال وألفاظ مختلفة، انتقيت منها ما رأيته أفضل وأجمل دون الإشارة إلى الروايات التي أهملتها.
* هناك أبيات تنسب إلى أكثر من شاعر؛ وقد أشرت إلى ذلك حيثما أمكنني. إلا أنني لم أدقق كثيراً، لأن ما يهمني في الدرجة الأولى هو الشعر لا قائله. ثم إن عملي ليس تحقيقاً بالمعنى المدرسي المعروف لهذه الكلمة.
* قد تكون هناك أخطاء في تقدير الفترة التي عاش فيها الشاعر وزمن موته أو ولادته، ولما لم تكن غايتي تأريخ حياة الشعراء، اكتفيت بأن آخذ التاريخ المتفق عليه بعامّةٍ، أو أن أذكر القرن الذي عاش فيه الشاعر.
* لم أتقيد، أحياناً، بتسلسل بعض الأبيات في القصيدة. فلجأت إلى التقديم والتأخير ليستقيم بناء الأبيات وتتابع أفكارها وصورها. لكنني لم ألجأ إلى ذلك، إلا نادراً وحيث تقتضي الضرورة الشعرية البالغة.
* آثرت أن أثبت في هذا الجزء القطع أو الأبيات التي لا يعرف قائلوها وآثرت أن يشمل الشعراء الذين لم يترجم لهم المؤرخون ويرجح أنهم عاشوا قبل ١٣٠هـ والشعراء الذين اتفق المؤرخون على أنهم ماتوا في حدود ١٣٠هـ وما دون هذا التاريخ (حوالى ٧٥٠م).

دوَيْد بن زيد الحميري

قبيل الموت

ألــيــومَ يُــبْــنــى لِــدُوَيْــدٍ بــيــتُــهُ:
يــا رُبَّ نَــهْــبٍ صــالــحٍ حــويــتُــهُ
وربَّ قِـــرْنٍ بَـــطَـــلٍ أرْديـــتُـــهُ
ومِــعْــصــمٍ مَــخَــضَّــبٍ ثــنــيــتُــهُ.

لــو كــانَ لِــلــدَّهــرِ بِــلــىً أَبْــلــيــتُــهُ
أو كــان قِــرْنــي واحــداً كــفــيــتُــهُ.

شاعر لا يعرف تاريخ موته. وهو من المعمرين. قال هذه الأبيات حين حضره الموت. ويروى أنه قال لأبنائه وهو يموت: «أوصيكم بالناس شراً».

لقيط بن يعمر الإيادي

رسالة

. . . يا لهف نفسيَ، إن كانت أموركمُ
شتَّى، وأُحْكِمَ أمرُ النَّاسِ فاجتمَعَا
ألا تخافون قوماً، لا أبا لكمُ
أمسوا إليكم كأَمْثالِ الدَّبَا سَرَعَا؟
في كلِّ يومٍ يسنّون الحِرابَ لكم
لا يهجعون إذا ما غافِلٌ هَجَعا
خُزْرٌ عيونُهُمُ ـ كأنَّ لحظَهمُ
حَريقُ غابٍ ترى منه السَّنا قِطَعا. . .

قوموا قِياماً على أَمْشاط أَرْجُلِكم
ثمَّ افْزَعوا ـ قد يَنالُ الأَمْنَ مَن فَزِعا.

كان كاتباً في ديوان كسرى، سابور ذي الأكتاف. رآه ينوي غزو إياد، فكتب إليهم رسالة ـ قصيدة وقعت بيد كسرى، فقطع لسان لقيط وغزا إياداً. عاش قبل الإسلام، ولا يعرف بدقة تاريخ موته.

أبو نصر البرَّاق

السقف الواقف

عـبـرْتُ بـقـومـي الـبـحـرَ أنـزف مـاءَهُ
وهـل يـنـزفـنَّ الـبـحـرَ يـا قـوم نـازِفُ؟
. . . وظـلَّ لـهـا يـومٌ يـجـمّـع هَـبْـوَةً
بـهـا يُـبْـتَـنـى سَـقْـفٌ مـن الأُفْـقِ واقِـفُ.

اسمه البراق. من الشجعان وذوي السيادة في الجاهلية. عاش قبل الإسلام.

أُحَيْحة بن الْجُلاح

مليكة

يَــشْــتــاقُ قــلــبــي إلــى مَــلــيــكَــةَ
لــو أَمْــسَــتْ قَــريــبــاً مِــمَّــن يُــطــالِــبُــهــا،
يــا لــيــتَــنــي، لــيــلــةً إذا هَــجَــعَ الــنَّــاسُ
ونــامَ الــكِــلابُ، صَــاحِــبُــهــا
فــي لــيــلــةٍ لا يُــرى بــهــا أَحَــدٌ
يــســعــى عــلــيــنــا، إلا كــواكِــبُــهــا.

من الدهاة الشجعان. كان مرابياً كثير المال. عاش قبل الإسلام.

جَحْدر بن ضُبَيْعَة

رهان

رُدُّوا عــلــيَّ الــخــيــلَ إِنْ أَلَــمَّــتِ

إن لــم أُنَــاجِــزْهــا، فَــجُــزُّوا لِــمّــتــي

قــد عَــلِــمــت والِــدةٌ مــا ضَــمَّــتِ

مــا لَــفَّــفَــتْ فــي خِــرَقٍ وشَــمَّــتِ

إذا الــكُــمــاةُ بــالــكُــمــاةِ الْــتَــفَّــتِ

أَمُــخْــدَجٌ فــي الــحــربِ، أم أَتَــمَّــتِ.

عاش قبل الإسلام.

الشّنفرى الأزدي

١ ـ صورة شخصية

أقيموا، بني أمِّي، صدورَ مطيّكم
فإني إلى قومٍ سواكم لأَمْيَلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ، واللَّيل مُقمرٌ
وشُدّت لِطيَّاتٍ مطايا وأرْحُلُ...

وفي الأرض مَنْأَى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ
لَعمركَ ما بالأرض ضِيقٌ على امرئٍ
سَرَى راغِباً أو راهِباً، وهو يَعْقِلُ.

... ولي دونكم أهلون: سِيدٌ عَملَّسٌ
وأرقطُ زُهلولٌ وعَرْفاء جَيْأَلُ(*)

اسمه عمرو. ابن أخت تأبط شراً. من الصعاليك العدائين. كان فارساً شجاعاً. توفي، كما يقال، نحو ٥٢٥م.

(*) السيد العملّس: الذئب الأسود الأبيض، السريع. الأرقط الزهلول: النمر الأملس. الجيأل العرفاء: الضبع الطويل العرف.

هُـمُ الأَهْـلُ ـ لا مُـسـتـودعُ الـسـرِّ ذائِـعٌ
لـديـهـم، ولا الـجـانـي بِـمـا جَـرَّ يُـخْـذَلُ
وكُــلُّ أبــيٌّ بــاسِــلٌ غــيــر أنّــنــي
إذا عَـرَضـت أولـى الـطَّـرائـدِ أَبْـسَـلُ...
وَإن مُـدّتِ الأيـدي إلـى الـزّاد لـم أكـن
بِـأعـجـلـهـم، إذ أجْـشـع الـقَـوم أعـجـلُ
ومــا ذاكَ إلاّ بَــسْــطَــةٌ عــن تــفــضّــلٍ
عـلـيـهـم، وكـانَ الأفـضـلَ الـمـتـفـضِّـلُ.

أُديـمُ مِـطـالَ الـجـوع حـتـى أُمـيـتَـهُ
وأضـربُ عـنـه الـذّكـر صـفـحـاً فـأذهَـلُ
وأَسْـتَـفُّ تُـرْبَ الأَرض كـي لا يُـرى لـه
عـلـيَّ مِـن الـطَّـوْل امْـرؤٌ مُـتَـطَـوِّلُ...

وأُعــدمُ أحــيــانــاً وأَغــنــى، وإنّــمــا
يـنـال الـغِـنَـى ذو الـبُـعـدةِ، الـمـتـبـذِّلُ
فــلا جَــزِعٌ مِــن خَــلّــةٍ، مــتــكــشّــفٌ
ولا مَـرحٌ تـحـت الـغِـنـى أتـخـيّـلُ...

٢ ـ امرأة

... فدقَّتْ وجَلّت واسْبكرّتْ وأُكْملتْ

فَلو جُنَّ إنسانٌ مِن الحُسْنِ جُنَّتِ

فَبِتْنا كأنَّ البيتَ حُجِّر فوقَنا

بِريْحانةٍ رِيحَتْ عِشاءً وطُلَّتِ.

المهلهل بن ربيعة التغلبيّ

١ ـ الحياة المعارة

... وصار اللَّيلُ مشتمِلاً علينا
كأنَّ اللَّيل ليس له نَهارُ
وبِتُّ أُراقِبُ الجوزاءَ حتَّى
تقاربَ مِن أوائلها انحدارُ
أُصَرِّفُ مقلتي في إثْر قومٍ
تَبايَنت البلادُ بهم فَغاروا.
دعوتُكَ يا كُلَيْبُ فلم تُجبني
وكيف يُجيبني البَلدُ القفارُ
سقاك الغيثُ، إنك كنتَ غيثاً
ويُسْراً، حين يُلتَمَسُ اليَسارُ،
كأنّي إذ نَعَى النّاعي كُلَيْباً
تَطايَرَ بين جَنْبَيَّ الشَّرارُ

اسمه عدي خال امرئ القيس. كان يلقب «زير النساء». يظن أنه توفي نحو ٥٢٥م.

أرى طـول الـحـيـاة وقـد تَـولّـى
كـمـا قـد يُـسـلَـبُ الـشَّـيءُ الـمُـعـارُ.

٢ ـ لعب الحرب

ونـبـكـي، حـيـن نـذكـركـم، عـلـيـكـم
ونـقـتـلـكُـم كـأنّـا لا نُـبـالـي.

٣ ـ نعي

نَعَى النُّعَاةُ كُلَيْباً لي، فقلتُ لهم:
مالت بنا الأرضُ أو زالت رواسيها
ليتَ السّماءَ على مَن تحتها وَقعَتْ
وحَالتِ الأرضُ فَانْجابَتْ بمن فيها.

سعد بن مالك البكري

الحرب(*)

يـا بُـؤْسَ لـلـحـرب الـتـي ... وَضعت أَراهِطَ فاسْتَراحوا
والحربُ لا يبقى لجاحِمِها ... الـتـخـيُّـلُ والـمِـراحُ ـ
إلاّ الفَتى الصبَّارُ في النَّجداتِ ... والـفـرَسُ الـوَقَـاحُ
والـكَـرُّ بـعـد الـفَـرِّ إذْ كُـرِهَ ... الـتَّـقـدُّمُ والـنِّـطـاحُ،
كَـشَـفَـت لـهـم عـن سـاقِـهـا ... وبَـدا مـن الـشّـرّ الـصُّـراحُ
فـالـهـمُّ ـ بَـيْـضـاتُ الـخُـدورِ ... هـنـاكَ، لا الـنَّـعَـمُ الـمُـراحُ،
مَـن صَـدَّ عـن نـيـرانِـهـا ... فـأنـا ابـنُ قـيـسٍ لا بَـراحُ ـ
هـيـهـاتَ حـالَ الـمـوتُ دونَ ... الـفَـوْتِ وانْـتُـضِـيَ الـسِّـلاح
كـيـف الـحـيـاةُ إذا خَـلَـتْ ... مِـنَّـا الـظَّـواهـرُ والـبـطـاحُ
أيـن الأعـزَّة والأسِـنَّـة ... عـنـد ذلـك والـسَّـمـاحُ؟

من الشعراء الفرسان. جد طرفة بن العبد. يقال إنه توفي حوالى ٥٣٠م.

(*) قيلت هذه الأبيات في حرب البسوس نحو ٤٩٠م.

بشْر بن أبي خازم الأسدي

١ ـ أنصار

... وينصرُنا قومٌ غضابٌ عليكمُ
متى نَدْعُهمْ يوماً إلى الحرب يركبوا،
.. وخيلٌ تُنادى من بعيدٍ، وراكِبٌ
حثيثٌ بأسباب المنيَّةِ يضربُ.

٢ ـ قبيل الموت

ثوى في مُلْحَدٍ لا بُدَّ منه
كفى بالموت نأياً واغترابا ـ
رهينَ بِلىً، وكلّ فتىً سَيبلى
فَأَذْرِي الدّمعَ وانْتَحبي انتحابا.

كان فارساً شجاعاً عرف حياة الأسر. مات في إحدى غاراته، نحو ٥٣٣م، كما يرجح الرواة.

٣ ـ العين

إذا اخْتَلَجت عيني أقولُ: لَعلَّها
فَتاةُ بني عمروٍ، بها العينُ تلمعُ.

٤ ـ الحبيبة

... وغَيَّرها ما غيَّر النَّاسَ قبلها
فبانت وحاجات الفؤَادِ تُصيبُها
ألم يَأتِها أنَّ الدَّموعَ نطافةٌ
لِعينٍ يُوافي في المنامِ حبيبُها؟

عمرو بن قَميئة

١ ـ بنات الدّهر

فـأوردتْـهُـمُ مـاءً عـلـى حـيـن وِردِهِ،
عـلـيـهِ خـلـيـطٌ مِـن قَـطـاً وحَـمـامِ
وأَهْـونُ كـفٍّ لا تـضـيـركَ ضَـيْـرةً
يَـدٌ بـيـن أَيْـدٍ فـي إنـاء طَـعَـامِ،
كـأنـي، وقـد جـاوزتُ تـسـعـين حِـجَّـةً
خـلـعـتُ بـهـا عـنّـي عِـذارَ لـجـامـي
رمَـتْـني بـنـاتُ الـدَّهـرِ من حيـثُ لا أرى
فـكـيـف لـمـن يُـرمـى ولـيـس بـرامِ؟
فـلـو أَنَّـهـا نَـبْـلٌ، إذنْ لاتّـقَـيْـتُـهـا
ولـكـنّـنـي أُرمـى بـغـيـر سِـهـامِ

نشأ يتيماً. سافر مع امرئ القيس إلى كسرى، فمات في الطريق ـ فلقب «الضائع». مات، كما يروى، نحو ٥٤٠م.

وأفْـنـى ومـا أُفْـنـي مـن الـدَّهـر لـيـلـةً
ولـم يُـفْـنِ مـا أفـنـيـتُ سِـلْـكَ نِـظـامِ
وأَهْـلـكَـنـي تـأمـيـلُ يـومٍ ولـيـلـةٍ
وتـأمـيـلُ عـامٍ بـعـد ذاكَ وعـامِ.

٢ ـ الشباب

يـا لَـهْـفَ نـفـسـي عـلـى الـشَّـبـابِ ولـم
أفـقِـدْ بـه، إذ فـقـدتُـهُ، أَمَـمـا
قـد كـنـتُ فـي مَـيْـعَـةٍ أُسَـرُّ بـهـا
أمـنـعُ ضَـيْـمـي وأُهْـبِـطُ الـعُـصُـمـا
وأسـحـبُ الـرَّيْـطَ والـبـرودَ إلـى
أدنـى تِـجـاري وأنـفـضُ الـلِّـمَـمـا
لا تَـغْـبـطِ الـمـرءَ أن يُـقـال لـه:
أمـسـى فـلانٌ، لـعـمـره، حـكَـمـا
إنْ سـرَّهُ طـولُ عـيـشـهِ فـلـقـد
أضـحـى عـلـى الـوجـهِ طـولُ مـا سَـلِـمـا.

٣ ـ امرأة

يُـوافـي مـع الـلَّـيـل مـيـعـادُهـا
ويـأبـى مـع الـصُّـبْـحِ إلاَّ زِيـالا،

كـــأنَّ الـــذّوائـــبَ فـــي فَـــرْعِـــهـــا

حِـــبـــالٌ تُـــوَصَّـــلُ فـــيـــهـــا حِـــبـــالا

ووجـــهٌ يَـــحـــارُ لـــه الـــنَّـــاظـــرونَ

يَـــخـــالـــونَـــهـــم قـــد أهَـــلّـــوا هِـــلالا.

امرؤ القيس

١ ـ امرأة

ألـم تَـريـانـي، كـلَّـمـا جِـئـتُ طـارِقـاً
وجدتُ بـهـا طيباً، وإن لـم تَـطَـيَّـبِ. . .

٢ ـ وجودية

أرانـــا مُـــوضِـــعـيـــن لأَمـــر غـيـــبٍ
ونُـــسْـــحَـــرُ بـــالـــطَّـعـــامِ وبـــالـــشَّـرابِ
عـــصـــافـــيـــرٌ وذبَّـــانٌ ودودٌ
وأَجـراً مـن مُـجـلَّـحـةِ الـذّئـابِ. . .
إلـى عِـرْقِ الـثّرى وَشَـجَـتْ عـروقـي
وهـذا الـمـوت يَـسْـلـبُـنـي شَـبـابـي
وقـد طَـوّفْـتُ فـي الآفـاقِ حـتَّـى
رضـيـتُ مـن الـغـنـيـمـةِ بـالإيـابِ.

اسمه حندج. يلقب «الملك الضليل». مات، كما يرجح، نحو ٥٤٢م.

٣ ـ سفر

فَلمّا بدت حوران في الآلِ دونها
نظرتَ، فلم تنظر بعينك منظرا
تَقطّعَ أسباب اللُّبَانة والهوى
عشيّةَ جاوزنا حماةً وشَيْزَرا
. . . فَدَعْ ذا، وَسَلِّ الهَمَّ عنكَ بِجَسْرَةٍ
ذَمُولٍ إذا صَامَ النّهَارُ وهَجّرا
عليها فتىً لم تحمل الأرضُ مِثْلَه
أَبرَّ بِميثاقٍ، وَأَوْفى، وأَصْبَرا
ولو شاء كان الغَزْوُ من أرض حِمْيَرٍ
ولكنّه عمداً إلى الرُّومِ أَنْفَرَا
بكَى صاحبي لمّا رأى الدّربَ دونه
وأيقن أنّا لاحقانِ بقيصرا
فقلتُ لَهُ: لا تَبْكِ عينُكَ، إنما
نُحاول مُلكاً، أو نموتَ فَنُعذَرا
. . . إذا قلتُ: هذا صاحِبٌ قد رضيتهُ
وَقَرّت به العينانِ، بُدِّلتُ آخَرا
كَذلكَ جَدِّي، لا أصاحب صاحباً
من النّاس، إلاّ خانني وتغيّرا.

٤ ـ الجن

تُخيِّرني الجِنُّ أشعارَها
فما شئتُ من شِعْرِهِنَّ، اصطفيتُ.

٥ ـ امرأة

كأنَّ المُدامَ وصوبَ الغَمام
وريحَ الخُزامى ونشر القُطرْ
يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابها
إذا طَرّب الطّائر المُسْتَحِرْ
فَبِتُّ أُكابِدُ ليلَ التّمام
والقلبُ، من خِشْيةٍ، مُقْشعِرٌّ.

٦ ـ حسرة

... فيا ربّ مكروبٍ كررتُ وراءه
وطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تَنَفَّسا

وما خِلْتُ تَبْريحَ الحياةِ كما أرى
تضيقُ ذراعي أن أقومَ فألبسا
فلو أنَّها نفسٌ تموتُ جميعةً
ولكنَّها نفسٌ تَساقَطُ أَنفُسا.

٧ ـ تقول وقد جردتها

تـقـولُ، وقـد جَـرَّدتُـهـا مـن ثـيـابِـهـا
كـمـا رُعْـتَ مـكـحـولاً من الـعـيـنِ أَتْـلَـعـا
وجَـدِّكَ لـو شَـيءٌ أتـانـا رسـولـه
سواكَ. . . ولـكـن لـم نـجد لك مَدْفَعا،
فَـبِـتْـنَـا تَـصُـدّ الـوحـشُ عـنـا كـأنّـنـا
قـتـيـلانِ لـم يـعـلـم لـنـا الـنَّـاس مَـصـرَعـا
إذا أخـذتـهـا هِـزَّةُ الـرَّوعِ أَمْـسَـكـت
بـمـنـكـب مِـقـدامٍ عـلـى الـهـولِ أروعَـا
تـصـدُّ عـن الـمـأثـور بـيـنـي وبَـيـنَـهـا
وتُـدْنـي عـلـيَّ الـسَّـابـريّ الـمـضَـلَّـعـا.

٨ ـ تشرّد

يـجـولُ بـآفـاقِ الـبـلادِ مُـغَـرِّبـاً
وتَـسْـحَـقُـه ريـحُ الـصَّـبـا كـلّ مَـسْـحَـقِ.

٩ ـ أشتات

كـأنِّـي غـداة الـبـيـن يـوم تـحـمَّـلـوا
لـدى سَـمُـراتِ الـحـيِّ نـاقِـفُ حَـنْـظَـلِ

وُقُوفاً بها صَحْبي عَليَّ مَطِيَّهم
يقولون: لا تَهلِكْ أَسىً، وتجَمَّلِ
وإنَّ شِفائي عَبرةٌ إن سفحتُها
وهل عند رسمٍ دارسٍ مِن مُعوَّلِ؟
ففاضَت دموع العين منِّي صَبابةً
على النحر حتى بَلَّ دمعيَ مِحْمَلي.
... ويومَ عقرتُ للعذارى مَطيَّتي
فيا عَجَبا من رَحْلِها المتَحمَّلِ
فَظَلَّ العذارى يَرْتمين بلحمِها
وشحمٍ كَهُدَّاب الدّمقْسِ المفَتَّلِ
ويومَ دخلتُ الخِدْرَ، خِدْرَ عُنَيْزَةٍ
فَقَالت: لكَ الوَيْلاتُ إنّك مُرْجِلي
تقول وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً
عقرتَ بَعيري يا امْرَأَ القيس فانزلِ
فقلتُ لها سِيري وأَرْخي زِمامَه
ولا تُبْعِديني عن جَناكِ المعلّلِ،
فَمثلكِ حُبلى قد طرقتُ ومُرْضِعٌ
فألهيتُها عن ذي تمائِمَ مُحْولِ

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشِقٍّ وتحتي شِقُّها لم يُحَوَّلِ

أفاطم مَهلاً بعضَ هذا التَّدللِ
وإن كنتِ قد أَزْمَعْتِ صَرْمي فَأَجْمِلي
أغرّك مني أنَّ حبَّكِ قاتِلي
وأنَّك مهما تَأْمُري القلبَ يَفْعلِ
وما ذرفت عيناك إلاّ لتضْربي
بسهميك في أعشار قلبٍ مُقَتّلِ.
وبيضةِ خِدْرٍ لا يُرام خِباؤُها
تَمَتَّعتُ من لهوٍ بها غير مُعْجَلِ
تجاوزتُ أَحْراساً إليها ومعشِراً
عَليَّ حِراصاً لو يُسرُّونَ مَقْتلي
إذا ما الثريّا في السَّماءِ تعرَّضَت
تعرَّض أثناءِ الوشاحِ المفصّلِ
فجئتُ وقد نضّتْ لنومٍ ثيابها
لدى السِّتْرِ، إلاَّ لِبْسَة المتَفَضِّلِ
خَرجتُ بها أمشي تجرُّ وَراءَنا
على أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

فـقـالـت يـمـيـنَ الـلَّـه مـا لـكَ حـيـلـةٌ
ومـا إن أرى عـنـكَ الـغـوايـةَ تـنـجـلـي
إذا الـتـفـتـت نـحـوي تَـضـوّع ريـحُـهـا
نـسـيـمَ الـصَّـبـا جـاءت بـريّـا الـقـرنـفـلِ
. . . هَـصَـرتُ بِـفَـوْدَيْ رأسِـهـا فـتـمـايَـلـتْ
عـلَـيَّ هـضـيـمَ الـكَـشْـحِ رَيَّـا الـمُـخـلْـخَـلِ
مُـهَـفْـهَـفَـةٌ بـيـضـاءُ غـيـرُ مُـفَـاضـةٍ
تَـرائِـبُـهـا مَـصـقـولـةٌ كـالـسَّـجَـنْـجَـلِ
تُـضـيء الـظَّـلامَ بـالـعـشـاءِ كـأنّـهـا
مَـنـارَةُ مُـمْـسَـى راهـبٍ مـتـبَـتّـلِ
تَـسَـلَّـت عَـمـايـات الـرِّجـالِ عـن الـصَّـبـا
ولـيـس فـؤَادي عـن هـواهـا بِـمُـنْـسَـلِ.
ولـيـلٍ كـمـوْج الـبـحـر أَرخـى سُـدُولـهُ
عـلـيَّ بـأنـواع الـهـمـوم لـيـبـتـلـي
فـقـلـتُ لـه لـمّـا تـمـطّـى بـصُـلـبـه
وأردَفَ أعـجـازاً ونـاءَ بـكـلـكـلِ
ألا أيُّـهـا الـلَّـيـلُ الـطـويـل ألا انْـجـلِ
بـصـبـحٍ ومـا الإصـبـاحُ مـنـك بـأمـثـلِ

فَيا لكَ من ليلٍ كأنَّ نجومه
بكلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدّتْ بِيَذْبُلِ.

... ووادٍ كجوفِ العَيْر قَفْرٍ قطعتُه
به الذِّئبُ يعوي كالخليع المعيَّلِ
فقلتُ له لمّا عوى إنَّ شأننا
قليلُ الغِنى، إن كنتَ لمّا تموَّلِ
كِلانا إذا ما نال شيئاً أفاتَه
ومن يَحْتَرِث حَرْثي وحرثك يَهزُلِ.

... وقد أغتدِي والطَّيرُ في وكُناتها
بمنجردٍ قيدِ الأوابد هيكلِ
مِكرٍّ مفرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً
كجلمود صخرٍ حطَّه السيل من علِ.

١٠ ـ ليلة حب

ويا رُبَّ يوم قد لهوتُ وليلةٍ
بآنسةٍ كأنَّها خَطُّ تمثالِ
يُضيء الفراشَ وجهها لضجيعها
كمصباح زيْتٍ في قناديل ذُبَّال

ومثلكِ بيضاءِ العَوارض طَفلةٍ

لعوبٍ تنسِّيني إذا قمتُ سِربالي

إذا ما الضَّجيعُ ابتزَّها من ثيابها

تميلُ عليه هونةً غيرَ مجْبال

تنوَّرتُها مِن أَذْرِعاتَ، وأهلُها

بيثربَ، أدنى دارها نَظَرٌ عالِ

نظرتُ إليها والنُّجومُ كأنَّها

مصابيحُ رُهْبانٍ تُشبُّ لِقُفّالِ

سموتُ إليها بعدما نام أهلُها

سُمُوَّ حَبَابِ الماء حالاً على حالِ

فقالت: سَباكَ اللَّه، إنَّك فاضِحي

ألستَ ترى السُّمَّار والنَّاس أحوالي؟

فقلتُ: يمينَ اللَّه أبرحُ قاعِداً

ولو قطَّعوا رأسي لديكِ وأوصالي.

... فلمَّا تنازَعْنا الحديثَ وأسْمَحَتْ

هصرتُ بِغُصْنٍ ذي شَماريخَ، مَيَّالِ

وصِرْنا إلى الحُسْنى، ورقّ كلامُنا

ورضْتُ فذلّت، صعبةً، أيَّ إذْلالِ

فأصبحتُ معشوقاً وأصبحَ بعلُها
عليه القَتامُ، سيِّئَ الظنِّ والبالِ
يَغِطّ غَطيطَ البَكْرِ شُدَّ خِناقُه
لِيقتلَني، والمرءُ ليس بِقَتَّالِ
أيقتُلُني والمَشْرَفيّ مُضاجِعي
ومسْنونَةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغوالِ؟
وقد علمت سلمى، وإن كان يعلَها
بأنَّ الفتى يهذي وليس بفعَّالِ...

... وماذا عليهِ أن ذكرتُ أوانِساً
كَغزلانِ رملٍ في محاريبِ أَقْيالِ
صرفتُ الهوى عنهنَّ مِن خشْية الرَّدى
ولستُ بِمَقْلِيِّ الخِصالِ ولا قالِ،
كأنِّيَ لم أركبْ جواداً لِلذَّةٍ
ولم أتبطّن كاعِباً ذات خلخالِ

ولم أَسْبَأ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أقلْ
لِخيليَ: كُرِّي كرَّةً بعدَ إجفالِ...

... فلو أَنَّني أَسْعى لأَدنى معيشةٍ

كَفاني، ولم أطلبْ، قليلٌ من المالِ

ولكنَّني أسعى لمجدٍ مُؤَثَّلٍ

وقد يُدرِكُ المجدَ المؤَثَّل أمثالي.

تأبّط شرّاً

١ ـ الوداي

تبطَّنتهُ بالقوم، لم يَهْدِني له
دليلٌ، ولم يُثْبِتْ ليَ النَّعتَ خابِرُ
بهِ سَمَلاَتٌ من مِياهٍ قديمةٍ
مَوارِدُها ما إنِ لهنَّ مَصادِرُ.

٢ ـ الاسم

... فَهَبْهُ تَسمَّى اسْمِي، وسَمّانيَ اسْمَهُ
فَأين له صَبْري على عِظَم الخَطْبِ؟
وأين له بأسٌ كَبأْسِي وسَوْرتي
وأين له في كلّ فادحةٍ قَلبي؟

اسمه ثابت. من الصعاليك الفرسان المغيرين. عرف بسرعة العدو وسبقه الخيل. يظن أنه مات نحو ٥٤٠م.

٣ ـ صورة شخصية

قليلُ التَّشكِّي للهموم تُصيبُه
كثيرُ الهوى، شتَّى النَّوى والمسالكِ
يَظَلُّ بِمَوْماةٍ ويُمسي بغيرِها
جَحيشاً[*]، ويَعْروري ظهور المهالكِ
ويَسْبقُ وفْدَ الرِّيحِ من حيث ينتحي
بِمنخرقٍ من شَدِّهِ المتداركِ...
إذا خاط عينيهِ كَرى النَّوم، لم يَزَلْ
له كالِئٌ من قَلبِ شَيْحانَ، فاتكِ.
ويجعلُ عينيهِ سبيئة قلبِه
إلى سَلَّةٍ من حَدِّ أخضرَ باتِكِ
إذا هَزَّه في عظم قَرْنٍ تَهلَّلتْ
نواجِذُ أَفْواهِ المنايا الضواحكِ...
يرى الوحشةَ الأنسَ الأنيس ويهتدي
بحيث اهتدت أُمُّ النُّجومِ الشَّوابكِ
تَكِلّ متونُ الصَّافناتِ إذا جرت
تباريهِ، أَو تَدْمى نُسورُ السَّنابكِ.

(*) الجحيش: الوحيد المنفرد.

٣ ـ خطة

فرشتُ لها صدري، فَزَلَّ عن الصَّفا
به جُؤْجؤٌ عَبْلٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرٌ
فَخالَط سَهْلَ الأَرض، لم يَكْدح الصَّفا
به كَدْحةً ـ والموت خَزْيانُ ينظرُ.

٤ ـ صداقة

ولا أقولُ إذا ما خُلَّةٌ صَرمَتْ
يا ويح نفسيَ، مِن شَوْقٍ وَإشفاقِ
لكنّما عِوَلي، إن كنتُ ذا عِوَلٍ
على بصيرٍ بِكَسْبِ الحَمْدِ سَبَّاقِ
حَمّالِ أَلْوِيةٍ شَهّادِ أَنْديةٍ،
قَوّالِ مُحْكَمَةٍ، جَوّابِ آفاقِ.

٥ ـ الغول

... فقلتُ لها: كِلانا نِضْوُ أَيْنٍ
أخو سَفَرٍ، فَخَلِّي لي مكاني
فَشَدَّت شَدَّةً نَحوي، فَأَهْوى
لها كَفّي بمصقولٍ يَماني

فقالَتْ: عُدْ، فقلتُ لها: رويداً
مكانَكِ، إنني ثَبْتُ الجَنَانِ
فلم أنفكّ، مُتَّكِئاً عَليها
لأنظرَ، مُصْبِحاً، ماذا أتاني
إذا عينانِ في رأسٍ قبيحٍ
كرأسِ الهِرِّ، مَشْقوقِ اللّسانِ.

٦ ـ الغول، أيضاً

فأصبحتُ والغُولُ لي جارَةٌ
فَيا جارَتا، أنتِ ما أَهْولا
وطالَبْتُها بُضْعَهَا، فالتوت
بِوَجْهٍ تهوّلَ، فَاسْتغولا
فقلْتُ لها: يَا انْظُري كي تَرَيْ
فَوَلَّت، فكنت لها أَغْولا.

أبو دؤاد الإياديّ

١ ـ رؤيا

رُبَّ ثَـوْرٍ رأيـت فـي جُـحْـرِ نَـمْـلٍ
وقَـطـاةٍ تُـحَـمَّـلُ الأَثْـقـالا.

٢ ـ الإبل

لا أَعُـدّ الإِقْـتـارَ عُـدْمـاً، ولـكـن
فَـقْـدُ مَـنْ قـد رُزِئْـتُـهُ الإعـدامُ

إبِلي الإِبْلُ، لا يُحوِّزُها الرَّاعون ـ مَجُّ النَّدى عليها المدامُ
فـإذا أَقْـبَـلـت تـقـولُ: إكـامٌ
مُـشْـرِفـاتٌ، فـوق الإِكـامِ إكـامُ.

اسمه جارية. مات، كما يروى، نحو ٥٥٠م.

٣ ـ الناس والموت

ربَّ هَمٍّ فَرَّجْتُهُ بعزيمٍ
وغيوبٍ كشَّفْتُها بظنونِ،
... إنَّما النَّاسُ، فَاعْلَمَنَّ، طعامٌ
خَبَلٌ خابِلٌ لريب المنونِ
عطف الدَّهرُ بالفناء وبالموتِ عليهم ـ يدور كالمجنونِ.

٤ ـ سؤال

أَكُلَّ امرئٍ تَحسبين امْرَأً
ونَارٍ تَوَقَّدُ بالليل، نَارا؟

٥ ـ اعتبار

... والمرء يكسب مالَهُ والشُّحُّ يُورِثُه الكَلالَهْ
والعبد يُقْرَع بالعَصا والحرُّ تكفيه المقالَهْ.

المرقّش الأكبر

١ ـ نساء

سَكَنَّ ببلدةٍ وسكنتُ أُخرى
وقُطِّعَت المواثِقُ والعهودُ
فما بالي أفي، ويُخان عهدي
وما بالي أُصَادُ ولا أصيدُ؟

... أُناسٌ كلَّما أَخْلَقْتُ وصلاً
عَناني منهمُ وَصْلٌ جديدُ.

٢ ـ أشتات

ومنزِل ضنْكٍ لا أُريد مبيتَه
كأنِّي به مِن شِدَّةِ الرَّوع آنِسُ،

اسمه عوف وقيل عمرو. عم المرقش الأصغر. اشتهر بحبه لابنة عمه أسماء. زوجها أبوها وهو غائب، ثم قيل له حين عاد إنها ماتت. وكان إخوته قد ذبحوا كبشاً ودفنوه في قبر قالوا له إنه قبر أسماء. فأخذ يزوره دائماً. ثم تبين الخبر الصحيح، فذهب يبحث عن أسماء، إلا أنه مات بعد أن رآها بقليل، نحو ٥٥٠م.

وَدَوِّيَّـةٍ غَـبْـراءَ قـد طـال عَـهْـدُهـا
تَـهَـالَـكُ فـيـهـا الإِبْـلُ والـمَـرْءُ نـاعِـسُ
قَـطَـعْـتُ إلـى مَـعْـروفـهـا مُـنْـكـراتِـهـا
بِـعَـيْـهَـامَـةٍ تَـنْـسـلُّ، والـلّـيـل دامِـسُ
تَـركـت بـهـا لـيـلاً طـويـلاً ومـنـزلاً
وَمَـوْقِـدَ نـارٍ لـم تَـرُمْـهُ الـقـوابِـسُ
... وتـسـمـعُ تَـزْقَـاءً مِـن الـبـوم حـولَـنـا
كـمـا ضُـرِبـت بـعـد الـهـدوءِ الـنَّـواقِـسُ.

ولـمَّـا أَضـأْنـا الـنَّـار عـنـد شـوائِـنـا
عَـرانَـا عـلـيـهـا أَطْـلَـسُ الـلَّـونِ بـائِـسُ
نَـبَـذتُ إلـيـه حُـزَّةً مـن شـوائِـنـا
حياءً، وما فُحْشي على من أُجالِس
فـآبَ بـهـا جـذلانَ يـنـفـض رأسَـه
كما آب بالنَّهْبِ الكَمِيُّ المحالِسُ(*).

وأَعْـرضَ أَعـلامٌ كـأَنَّ رؤُوسَـهـا
رؤُوسُ رجـالٍ فـي خـلـيـجٍ تَـغـامـسُ

(*) المحالس، الذي يثبت في الحرب.

إذا عَـلَـمٌ خَـلَّـفـتَـه يُـهـتَـدى بـهِ
بَـدا عَـلَـمٌ فـي الآلِ أَغـبـرُ طـامِـسُ.

٣ ـ امرأة

أيـنـمـا كـنـتِ أو حـلـلـتِ بـأرضٍ
أو بـلادٍ، أحـيـيـتِ تـلـك الـبـلادا.

الأخنس بن شهاب التغلبيّ

صورة شخصية

... وقد عشتُ دهراً والغُواة صِحابتي
أولئك خُلْصاني الذين أصاحِبُ
فَأَدَّيْتُ عنِّي ما اسَتَعَرْتُ من الصِّبا
وللمالِ عندي اليوم راعٍ وكاسِبُ.

اسمه أبي. كان يسمى «فارس العصا»، والعصا اسم فرسه. من الشعراء الفرسان. يظن أنه مات نحو ٥٥٥م.

عوف بن الأحوص

القدْر الأمّ

فلا تَسأليني، واسْألي عن خَليقتي
إذا رَدَّ عافي القِدْر من يَسْتعيرُها

تَريْ أَنَّ قِدْري لاتزال كأنَّها
لذي الفَرْوَةِ المقرورِ، أُمٌّ يزورُها ـ

مُبَرّزَةٌ، لا يُجعلُ السِّتْرُ دونَها
إذا أُخْمِد النِّيرانُ، لاح بَشيرُها.

وَإنّي لَتَرَّاكُ الضَّغينة قد بَدا
ثَراها من المَوْلى فلا أَسْتَثِيرُهَا

مَخافَةَ أن تَجني عَليَّ وإنّما
يَهيجُ كَبيراتِ الأُمورِ صغيرُها.

كان سيداً في قومه. وهو ابن عم الطفيل، والد عامر بن الطفيل. يُقال إنه توفي نحو ٥٥٥م.

السَّموأل بن عادياء

١ ـ سيرة ذاتيّة ـ قَبَليّة

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ مِن اللُّؤْمِ عِرضُهُ
فكلّ رداءٍ يَرْتَديهِ جميلُ
وَإنْ هُوَ لم يحملْ على النّفس ضَيْمها
فليس إلى حسن الثناء سبيلُ
تُعيّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا
فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ
وَما قَلَّ مَن كانت بقاياه مِثلَنا
شبابٌ تَسَامَى لِلعُلَى وكهولُ
وما ضَرَّنا أَنّا قَلِيلٌ وجارُنَا
عَزِيزٌ، وجارُ الأكثرينَ ذليلُ
لنا جَبَلٌ يَحْتَلُّه مَن نُجيرُه
مَنيعٌ ـ يردّ الطَّرْفَ وهو كَليلُ

اشتهر بوفائه. مات، كما يروى، نحو ٥٦٠م.

رَسا أصلُه تحت الثَّرى وسَما بِهِ
إلى النَّجم، فَرعٌ لا يُرامُ طويلُ.

يُقَرِّب حبُّ الموتِ آجالَنا لنا
وتكرهه آجالُهم فتطولُ
تسيل على حَدِّ الظُّباةِ نفوسُنا
وليست على غير الظُّباةِ تَسيلُ.
صَفونا ولم نكدُرْ وأَخْلصَ سِرَّنا
إِناثٌ أطابَتْ حملَنا وفُحولُ
عَلونا إلى خَيْر الظّهور وحَطَّنا
لوقتٍ، إلى خَيْرِ البطونِ، نزولُ
فنحن كماء المُزْنِ ما في نِصابِنَا
كَهَامٌ ولا فينا يُعدُّ بَخِيلُ
ونُنكِرُ، إن شئنا، على النَّاس قولَهم
ولا يُنكرون القولَ حين نقولُ.
إذا سيّدٌ منا خَلا، قامَ سيّدٌ
قَؤُولٌ لما قال الكِرامُ فَعولُ
وَما أُخْمِدت نارٌ لنا دون طارقٍ
ولا ذَمَّنا في النّازِلينَ نَزيلُ

وأَسـيـافُـنـا فـي كـلّ شَـرْقٍ ومـغـربٍ
بـهـا مِـن قِـراعِ الـدّارِعـيـن فـلـولُ
مُـعـوَّدَةٌ أَنْ لا تُـسَـلَّ نِـصـالُـهـا
فَـتُـغْـمـدَ حَـتّـى يُـسـتـبـاحَ قـبـيـلُ
سَلي، إِنْ جهلتِ النّاسَ عَنّا وعنْهم
فـلـيـس سـواءً عـالِـمٌ وجَـهُـولُ.

٢ ـ الرّزق

يَـنْـفَـعُ الـطـيّـبُ الـقـلـيـلُ مـن الـرِّزْقِ،
ولا يـنـفـع الـكـثـيـرُ الـخـبـيـثُ
وأَتَـتْـنـي الأنـبـاءُ عـن مُـلْـكِ داودَ،
فَـقَـرَّتْ عـيـنـي بـهِ ورضـيـتُ.

٣ ـ الموت الحياة

مَـيْـتـاً خُـلِـقـتُ، ولـم أكـن مِـن قَـبْـلِـهـا
شَـيـئـاً يـمـوتُ، فَـمُـتُّ حيث حييتُ.

عَميرة بن جعيل التَّغلبيّ

صور

. . . يُثيرانِ من نَسْج التّرابِ عليهما
قَميصيْنِ أَسماطاً ويرتديانِ ـ
فلا تُوعداني بالسِّلاحِ، فإنما
جمعتُ سلاحي، رهْبةَ الحدَثانِ
جمعتُ رُدَينيّاً كأَنَّ سنانَه
سَنا لَهَبٍ لم يَتَّصِلْ بدخانِ.

يظن أنه مات نحو ٥٦٢م.

طرفة بن العبد البكري

١ ـ صورة شخصية

... وَتبسِمُ عَنْ أَلْمَى كأَنَّ منوِّراً
تَخَلَّل حرَّ الرَّمل دِعْصٌ له نَدِي

وَوَجْهٍ كأنّ الشّمسَ ألقت رداءَها
عليه، نقيّ اللّونِ، لم يَتخدَّدِ

وَإنّي لأُمْضِي الهَمَّ عند احتضاره
بعوجاءَ مِرْقالٍ تَروحُ وتغتدي

لها فخذانِ أُكْمِلَ النّحْضُ فيهما
كأنّهما بابَا مُنيفٍ مُمَرَّدِ

على مِثلها أمضي، إذا قال صاحبي:
أَلا لَيتَني أَفديكَ منها وأَفْتَدِي

نشأ يتيماً. عاش حياة لهو. قيل قطعت يداه ورجلاه ودفن حياً. يلقب «الغلام القتيل» فقد مات وهو في السادسة والعشرين نحو ٥٦٤م، على الأرجح.

إذا القومُ قالوا: مَنْ فتىً؟ خِلتُ أَنَّني
عُنيتُ، فلم أَكْسَلْ ولم أتَبلَّدِ
ولستُ بِحلاَّلِ التِّلاعِ مخافَةً
ولكن متى يَسْترفْدِ القومُ أَرْفدِ
فَإِنْ تَبْغِنِي في حَلْقةِ القوم تَلْقَني
وإن تَلْتَمِسْني في الحوانيتِ تَصْطَدِ
نداماي بيضٌ كالنّجوم، وقَيْنَةٌ
تَروحُ علينا بين بُرْدٍ ومُجْسَدِ
متى تأتِني أَصْبَحْكَ كأساً رويَّةً
وإن كنتَ عنها ذا غِنىً؛ فاغْنَ وازْدَدِ. . .

وما زال تَشْرابي الخمور ولذَّتي
وبَيْعي وإنْفاقي طَريفي ومُتْلَدي
إلى أن تَحامَتْني العشيرةُ كلُّها
وأُفْرِدتُ إِفرادَ البعيرِ المعبَّدِ. . .
ألا أيّهذا اللاَّئِمي أحضرَ الوغى
وأن أشهدَ اللَّذاتِ، هل أنتَ مُخْلِدي؟
فإن كنتَ لا تَسْطِيعُ دفعَ منيَّتي
فَدَعْني أبادِرْها بما ملكت يدي.

وَظُلْمُ ذوي القُربَى أشدُّ مَضاضَةً
على المرء مِن وقع الحُسامِ المهنَّدِ
أنا الرَّجُل الضَّرْبُ الذي تعرفونه
خَشَاشٌ كرأسِ الحيّةِ المتوقّدِ
فآليتُ لا ينفكّ كشْحي بطانةً
لِعضبٍ رقيق الشّفرتين مُهنّدِ
لعمرك ما أَمْري عَليَّ بِغُمّةٍ
نَهاري، ولا ليلي عَلَيّ بِسَرْمَدِ
أرى الموتَ أعداد النُّفوس ولا أرى
بعيداً غداً ـ ما أقرب اليومَ من غَدِ
ستُبدي لك الأيَّام ما كنتَ جاهلاً
ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تُزوِّدِ.

٢ ـ أيام الصبا

غَنينا وما نخشى التفرُّقَ، حقبةً
كِلانا غريرٌ ناعِمُ العيش باجِلُهْ
لياليَ أَقْتادُ الصِّبا ويقودُني
يجولُ بِنا رَيْعانُه ونُجاولُهْ.

٣ ـ أوجاع دفينة

خَليليّ! لا واللَّهِ ما القلبُ سالِمٌ
وإِن ظهرت مني شمائِلُ صاحِ
وإلاَّ، فما بالي ولم أشهد الوغى
أبيتُ كأنِّي مُثقَلٌ بجراحِ؟

٤ ـ صداقة

كلُّ خليلٍ كنتُ خالَلْتُهُ
لا تركَ اللَّه له واضِحه
كلّهُم أَرْوَغُ من ثعلبٍ
ما أشبَه اللَّيلةَ بالبارِحه.

٥ ـ قسمة

لنا يَومٌ ولِلْكِرْوانِ يومٌ
تطيرُ البائساتُ ولا نَطيرُ
فأمَّا يومُهنَّ فيوم نَحْسٍ
تُطارِدُهنَّ، بالحدَبِ، الصُّقورُ
وأمَّا يومنا ـ فنظلُّ رُكْباً
وقوفاً: ما نحلُّ وما نَسيرُ.

المتلمّس الضّبيعيّ

١ ـ الذل

ولا يُـقـيـم عـلـى خَـسْـفٍ يُـرادُ بـهِ
إلاَّ الأذَلاَّنِ: عَـيْـرُ الـحَـيِّ والـوَتَـدُ
هـذا عـلـى الـخَسْفِ مَـعـقـولٌ بـرُمَّـتِـهِ
وذا يُـشَـجُّ فَـلا يـبـكـي لـه أَحَـدُ.
وفـي الـبـلادِ، إذا مـا خِـفْـتَ نَـائِـرةً
مَـشْـهـورةً، عَـنْ وُلاةِ الـسُّـوءِ، مُـبْـتَـعَـدُ.

٢ ـ سهيل

وقـد أَضـاءَ سُـهَـيْـلٌ بـعـدمـا هَـجَـعُـوا
كـأنَّـه ضَـرَمٌ بـالـكـفِّ مَـقْـبـوسُ.

اسمه جرير. خال طرفة بن العبد. مات في بصرى (سورية) نحو ٦٥٩م، كما يقال.

٣ ـ الهجران

كـأَنِّـي شـارِبٌ يـوم اسـتـبـدُّوا
وحـثَّ بـهـم، وراء الـبـيـدِ، حـادي
عـقـاراً عُـتِّـقـت فـي الـدَّنِّ حـتَّـى
كـأَنَّ حَـبـابَـهـا حَـدَقُ الـجَـرادِ.

٤ ـ هم

فَـإِنْ يُـقْـبِـلـوا بـالـودّ نُـقْـبِـلْ بـمـثـلـهِ
وَإلاّ، فـإنّـا نـحـنُ آبـى وأَشْـمَـسُ.

الحارث بن حِلِّزة اليشكري

١ ـ اليأس

فـحـبـسـتُ فـيـهـا الـرَّكْـبَ أحـدِسُ فـي
كـــلِّ الأُمـــور، وكـــنـــتُ ذا حَـــدْسِ
ويَـئِـسْـتُ مِـمَّـا كـان يُـطْـمِـعُـنـي
فـيـهـا، ولا يُـسْـلـيـكَ كـالـيـأسِ
... لا مُـمـسِـكٌ لـلـمـالِ ـ يُـهـلِـكُـهُ:
سَـعْـدُ الـنُّـجـوم لـديـهِ كـالـنَّـحـسِ.

٢ ـ رحيل

آذَنَـــتْـــنـــا بـــبَـــيْـــنـــهـــا أَسْـــمـــاءُ
رُبَّ ثَـــاوٍ يُـــمَـــلّ مـــنـــه الـــثَّـــوَاءُ
وأتـــانـــا مـــن الـــحـــوادث والأَنـــبـــاءِ
خَـــطْـــبٌ نُـــعـــنَـــى بـــه وَنُـــسَـــاءُ

ليس هناك اتفاق على تاريخ موته قيل تُوفي نحو ٥٧٠م وقيل ٥٨٠م.

أَنّ إخـــوانـــنـــا الأراقِـــمَ يَـــغْـــلُـــون

عـــلـــيـــنـــا فـــي قِـــيـــلـــهـــم إِحْـــفَـــاءُ

يـخـلـطـون الـبـريء مِـنّـا بـذي الـذَّنْـبِ

ولا يـــنـــفـــعُ الـــخـــلِـــيَّ الـــخـــلاءُ

... أجـمـعـوا أمـرَهُـم عـشـاءً فـلـمَّـا

أصـبـحـوا، أصـبَـحـت لـهـم ضَـوْضَـاءُ

مِن مُنادٍ ومِن مُجيبٍ ومِن تَصْهالِ خَيلٍ،

خِـــــــــلالَ ذاكَ رُغـــــــــاءُ.

لا يُـقـيـم الـعـزيـزُ بـالـبَـلـدِ الـسَّـهـلِ

ولا يـــنـــفَـــع الـــذَّلـــيـــلَ الـــنَّـــجـــاءُ.

عمرو بن حِلِّزة اليشكريّ

مرثية أخ

ربَّـــمـــا قَـــرَّت عـــيـــونٌ بِـــشَـــجـــاً
مُـــرْمِـــضٍ قـــد سَـــخـــنـــتْ مـــنـــه عـــيـــونُ

والـــمـــلـــمَّـــاتُ ـ فـــمـــا أعـــجـــبَـــهـــا
لـــلـــمـــلـــمَّـــاتِ ظـــهـــورٌ وبـــطـــونُ.

لا يعرف تاريخ موته.

الأفْوَه الأوْدِيّ

١ ـ الحق

وإنِّي لأُعطي الحقَّ مَن لو ظلمتُهُ
أَقَرَّ وأَعْطاني الذي أنا طالِبُ
وآخذ حقِّي مِن رجالٍ أَعزَّةٍ
وإن كَرُمت أعراقُهم والمناسِبُ.

٢ ـ بعد الأرض

فينا مَعاشِرُ لم يَبْنُوا لِقومهم
وإن بنى قومُهم ما أَفْسَدوا عادُوا
لا يَرشُدونَ ولن يَرْعَوا لِمُرشِدِهم
فالغَيُّ منهم مَعاً والجهلُ مِيعادُ،

لا يصلحُ النَّاس فوضى لا سَراةَ لهم
ولا سَراةَ إذا جُهَّالُهم سادوا

اسمه صلاءة. يقال إنه مات نحو ٥٧٠م.

كيف الرَّشادُ إذا ما كنتَ في نَفَرٍ
لهم عن الرُّشدِ أَغْلالٌ وأَقْيَادُ
أَعطوا غُواتَهم جَهْلاً مقادَتَهم
فكلّهم في حِبالِ الغَيِّ مُنْقادُ،

حانَ الرَّحيلُ إلى قَوْمٍ، وإِن بَعُدوا
فيهم صَلاحٌ لِمُرتادٍ وإرشادُ
فسوف أجعلُ بُعْدَ الأَرض دونكم
وإِن دَنَت رَحِمٌ منكم وَميلادُ.

٣ ـ الحياة والحرب

إنَّما نِعمةُ قومٍ مُتْعَةٌ
وحياة المرء ثوبٌ مُسْتَعارُ،
... كَشِهاب القَذْف يرميكم بهِ
فارِسٌ في كفِّهِ للحرب نارُ
فارسٌ صَعْدَتُه مَسْمُومَةٌ
تخضبُ الرُّمحَ إذا طار الغُبَارُ
مُسْتَطيرٌ ليس من جَهْلٍ، وهَل
لأَخي الحِلْم على الحَرْبِ وقارُ؟

يحلمُ الجاهِلُ للسِّلْمِ، ولا
يَقِرُ الحِلْمُ إذا القومُ أغاروا.
جَحْفَلٌ أَوْرَقَ، فيهِ هَبْوَةٌ
ونجومٌ تتلظَّى وشرارُ
تَركَ النّاس لنا أكنافَهم
وتولَّوا لاتَ لم يُغْنِ الفرارُ،
وتَرَى الطَّيْرَ على آثارِنا
رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ
عنكمُ في الأرض! إنَّا مذْحِجٌ
ورويداً يَفْضَحُ اللَّيلَ النَّهارُ.

٤ ـ الموت

فَرَمُّوا له أَثوابَه وتَفَجَّعوا
وَرَنَّ مُرِنَّاتٌ وسارَ بهِ النَّفَرْ
إلى حُفْرةٍ يأوي إليها بِسَعْيهِ
فذلك بيتُ الحَقِّ، لا الصُّوفُ والشَّعَرْ،
وهالوا عليه التُّرْبَ رطْباً ويابِساً
أَلا كلّ شيءٍ ما سوى ذاك يُجْتَبَرْ،

وقــال الــذيــن قــد شَــجــوْتُ وسَــاءهــم
مَـكـانـي، ومـا يُـغْـنـي الـتَّـأَمُّـلُ والـنَّـظَـرْ؟:
قِـفـوا سَـاعـةً فـاسْـتَـمْـتِـعـوا مِـن أَخـيـكـمُ
بِـقُـرْبٍ وذكـرٍ صـالـحٍ حـيـن يُـدَّكَـرْ.

المرقّش الأَصغر

١ ـ فم الحبيبة

وما قهوةٌ صهباء كالمِسك ريحُها
تُعَلُّ على النَّاجود طوراً وتُنْزَحُ
ثوت في سَواءِ الدَّنِّ عِشرين حِجَّةً
يُطانُ عليها قرمدٌ وتُروَّحُ،
بأطيبَ مِن فيها، إذا جئت طارقاً
من اللَّيل، بل فُوها أَلذُّ وأَنْضَحُ.

٢ ـ ذكرى الحبيبة

صحا قلبهُ عنها، على أنَّ ذكرةً
إذا خطرَت، دارت به الأرضَ قائِما ـ

اسمه ربيعة. عم طرفة بن العبد. اشتهر بحبه لفاطمة بنت المنذر، وبجماله. مات، كما يروى، نحو ٥٧٠م.

أَلا حـبَّـذا وجـهٌ تـريـنـا بـيـاضَـهُ

ومـنـسـدلاتٍ كـالـمـثـانـي فـواحِـمـا،

أفـاطـمَ لـو أنَّ الـنِّـسـاء بـبـلـدةٍ

وأنـتِ بـأخـرى، لاتَّـبـعْـتُـكِ هـائِـمـا.

عبد اللَّه بن عَجْلان النَّهْدي

١ ـ امرأة

وحُـقَّـةِ مِـسْـكٍ مـن نـسـاءٍ لَـبِـسْـتُـهـا
شَـبـابـي، وكـأسٍ بـاكَـرتْـنـي شَـمُـولُـهـا
جَـديـدةِ سِـرْبـالِ الـشَّـبـابِ كـأنـهـا
سَـقِـيَّـةُ بَـرْدِيٍّ نَـمـتْـهـا غُـيـولُـهـا،
كـأنَّ دِمَـقْـسـاً أو فـروعَ غـمـامَـةٍ
عـلى مَـتْـنِـهـا حيثُ اسْتَقَرَّ جَديلُـهـا.

٢ ـ حياء

أشـارت إلـيـنـا فـي حَـيـاءٍ وَراعَـهـا
سَرَاةَ الضّحى مِنّي على الحيّ مَوْقِفُ
وقـالـت: تَـبـاعَـدْ يـابْـنَ عَـمّـي فـإنّـني
مُـنـيـت بِـذي صَـوْلٍ يَـغـارُ ويَـعـنُـفُ.

يُقال إنه الشاعر الوحيد الذي مات عشقاً. مات، كما يروى، حوالى ٥٧٤هـ.

عبد المسيح بن عَسَلَة الشيباني

١ ـ الجواد والوحش

لا ينفعُ الوحشَ منه أَنْ تُحَذِّرَهُ
كأَنَّه مُعْلَقٌ منه بِخُطَّافِ
إذا أُواضِعُ منه مَرَّ مُنْتَحِياً
مَرَّ الأَتيِّ على بَرْدِيِّهِ الطَّافي.

٢ ـ حرب

غَدوْنا إليهم والسُّيوفُ عِصيُّنا
بِأَيْمانِنا نَفْلي بِهِنَّ الجماجِما
وَمُسْتَلَبٍ مِن دِرْعِهِ وسِلاحِهِ
تركنا عليه الذِّئبَ يَنْهَسُ قائِما.

مات بحسب الرواية نحو ٥٧٥م.

حاتم الطَّائيّ

١ ـ حب وفروسية

... يُضيء لها البيتُ الظَّليلُ خصاصَهُ
إذا هِـيَ لـيـلاً حـاولَـتْ أنْ تَـبـسَّـمـا
إذا انْـقَـلـبـت فـوق الـحَـشِـيَّـةِ مَـرَّةً
تـرنَّـمَ وسْـواسُ الـحُـلـيِّ تـرنّـمـا...

ولـيـلٍ بَـهـيـمٍ قـد تَـسـرْبـلـتُ هَـوْلَـهُ
إذا الـلَّـيـلُ بـالـنِّـكْـسِ الـجَـبانِ تَـجَـهَّـمـا
ولن يكسبَ الصّعلوكُ حمداً ولا غِنىً
إذا هـو لـم يـركَـبْ مِـنَ الأَمـر مـعـظـمـا
ولـم يَـشْـهـد الـخـيـلَ الـمـغـيـرةَ بـالـضُّـحـى
يُـثِـرْن عَـجـاجـاً بـالـسَّـنـابـكِ أَقْـتَـمـا
عـلـيـهـنَّ فِـتْـيـانٌ كَـجِـنَّـةِ عَـبْـقَـرٍ
يـهـزُّون بـالأَيْـدي وشـيـجـاً مـقـوَّمـا،

اشتهر بكرمه وفروسيته، يُقال إنه مات نحو ٥٧٨م.

لحى اللَّه صُعلوكاً مُناه وهمُّه
من العيش أَن يلقى لبوساً ومطْعَما
ينامُ الضُّحى حتَّى إذا نومُه استوى
تَنَبَّه مثلوجَ الفؤادِ مورَّما.
ولِلّه صعلوكٌ يُساورُ هَمَّهُ
وَيمضي، على الأحداث والدَّهر، مُقْدِما
فَنَفْسَكَ أَكرِمْها، فإنّكَ إِنْ تَهُنْ
عليكَ فلن تُلفي لكَ الدَّهر مُكْرِمَا.

٢ ـ أخو الحرب(*)

رَأَتْني كأَشلاء اللِّجامِ، ولن ترى
أَخا الحرْبِ إلاَّ ساهِمَ الوجهِ أَغبرا
أَخو الحرب إِن عَضَّتْ به الحربُ عَضَّها
وإن شمَّرت عن ساقها الحربُ شمَّرا.

٣ ـ إلى عبد

أَوْقِدْ فإنَّ اللَّيلَ ليلٌ قَرُّ
والرِّيح يا موقِدُ ريحٌ صرُّ

(*) يروى أيضاً هذان البيتان لزيد الخيل الطائي.

عـــسى يــرى نــارَكَ مَــن يــمــرُّ ـ
إِن جَـلـبـتَ ضـيـفـاً فـأَنـتَ حُـرُّ.

٤ ـ حياة

وإنـي لأَسْـتـحـيـي مِـن الأَرض أَن أَرى
بـهـا الـنَّـابَ تـمـشي في عَـشـيَّـاتِـهـا الـغُـبْـرِ.

٥ ـ مجد السّبْي

ومـا أَنْـكـحـونـا، طـائـعـيـنَ، بـنـاتِـهـم
ولـكـن خـطـبـنـاهـا بـأسـيـافِـنـا قَـسْـرا
فــمــا زادَهــا فــيــنــا الــسِّــبــاءُ مَــذلَّــةً
ولا كُـلِّـفـتْ خَـبـزاً ولا طـبـخَـتْ قِـدْرا
ولـكـن خَـلـطْـنـاهـا بـخـيـر نـسـائِـنـا
فـجـاءت بـهـم بـيـضـاً وجـوهُـهـمُ زُهْـرا.

٦ ـ أخلاق

بـعـيـنـيّ عـن جـاراتِ قـومـيَ غَـفْـلَـةٌ
وفـي الـسَّـمْـعِ مِـنّـي عـن حَـديـثـهـم وَقْـرُ.

٧ ـ كرم

إذا ما صنَعْتِ الزّادَ، فَالْتمسي له
أكيلاً، فإني لست آكلُهُ وحدي،
أَخاً طارِقاً، أو جارَ بيتٍ، فإنني
أخاف مَذمّات الأحاديث مِن بَعْدي
وَإني لَعَبْدُ الضّيف ما دامَ ثاوياً
وما فِيَّ إلا تلك من شِيَمِ العَبْدِ.

٨ ـ سلوك

أُشَاورُ نفسَ الجُودِ حَتّى تُطيعَني
وأتركُ نفسَ البُخْلِ لا أَسْتَشِيرُها
وليس على نَاري حجابٌ يكنُّها
لِمُسْتَوْبصٍ ليلاً، ولكن أُنِيرُها
ومَا تَشْتكيني جارَتي غيرَ أَنّها
إذا غابَ عنها بَعلُها لا أَزُورُها.

٩ ـ عاذلة

. . . تلومُ على إعطائيَ المالَ، ضِلّةً،
إذا ضَنَّ بالمالِ البخيلُ وصَرَّدا

ذَرِيـــنـــي وحـــالـــي إنّ مـــالَـــكِ وافِـــرٌ
وكـــلّ امـــرئٍ جـــارٍ عـــلـــى مـــا تـــعـــوّدا
أَعـــاذِلَ، لا آلـــوكِ إلاّ خَـــلـــيـــقـــتـــي
فـلا تـجـعـلـي فَـوقـي لـسـانَـكِ مِـبْـرَدا.
... يقولون لي: أَهلكْتَ مالكَ، فَاقْتصِدْ
ومـا كـنـتُ لـولا مـا يـقـولـونَ، سـيّـدا.

١٠ ـ اختلاف

وإنّـي لَـعَـفُّ الـفَـقْـرِ، مُـشْـتَـرَكُ الـغِـنـى
وَوُدّكَ شَـــكْـــلٌ لا يـــوافـــقـــهُ شَـــكْـــلـــي
وأَجْـعَـلُ مـا لـي دون عِـرْضـيَ جُـنّـةً
لنفسي، فأَسْتغني بما كان من فَضلي.

عبد يَغُوث الحارثي

قبيل الموت

... فيا راكباً، إمَّا عَرضْتَ فَبَلِّغَنْ
ندامايَ مِن نجرانَ أَنْ لا تلاقِيا،
ولو شِئْتُ نَجَّتْني من الخيل نَهْدَةٌ
ترى خلفَها الحُوَّ الجيادَ توالِيا.
أقولُ، وقد شَدُّوا لِسَاني بِنسْعَةٍ
أمَعْشرَ تَيْمٍ، أَطلِقوا عن لِسانيا
فإن تقتلوني تقتلوا بِيَ سيّداً
وإن تُطلقوني تحرُبُوني بماليا.

... وظَلَّ نساء الحيِّ حوليَ رُكَّداً
يُراوِدْنَ مِنِّي ما تُريدُ نسائِيا

من الشعراء الفرسان. حين أسر، خير كيف يرغب أن يموت، فاختار أن يشرب الخمر ويقطع عرقه الأكحل ويموت نزفاً. مات على الأرجح نحو ٨٥٤م.

وقـد عـلِـمـت عِـرْسـي مُـلَـيْـكَـةُ أَنَّـنـي
أَنــا الــلَّـيْـثُ مَـعْـدواً عـلــيَّ وعـاديـا
وقد كنتُ نَحَّارَ الجَزُورِ ومُعْمِلَ المَطيِّ،
وأَمــضــي حــيــث لا حَــيَّ مــاضــيــا
وأَنْــحــرُ لِــلــشَّــرْب الــكــرِام مــطــيَّــتــي
وأَصْــدعُ بــيــن الــقَــيْــنَــتَــيْــن ردائــيــا.

عمرو بن كلثوم التغلبي

صورة «قومية»

أَلا هُبّي بِصَحْنكِ فَاصْبَحِينا
ولا تُبقي خمورَ الأَنْدَرِينا
مُشَعْشَعةً، كأنَّ الحُصَّ فيها
إذا ما الماءُ خالَطها سَخِينا
تَجورُ بذي اللُّبَانةِ عن هَواهُ
إذا ما ذاقَها حَتّى يَلِينا.
وَإنّا سَوف تُدْرِكُنا المنايَا
مُقدَّرةً لنا، ومُقَدَّرينا
وإنّ غداً وإنّ اليومَ رهْنٌ
وبعدَ غَدٍ بما لا تَعلمينا
... تُريكَ إذا دخلتَ على خلاءٍ
وقد أَمِنَتْ عيونَ الكَاشِحينا

كان فاتكاً شجاعاً مشهوراً بعزة النفس. قتل الملك عمرو بن هند. مات في الجزيرة (سورية) نحو ٥٨٤م.

ذِراعَــــيْ عَـــيْـــطَـــلٍ أَدْمــــاءَ بِـــكْـــرٍ
هَـجـانِ الـلَّـوْنِ، لـم تَـقْـرَأْ جـنـيـنَـا
وثـديـاً مِـثْـلَ حُـقِّ الـعـاجِ رَخْـصـاً
حَـصَـانـاً مِـن أكـفِّ الـلّامـسـيـنـا
وَمـأْكَـمـةً يَـضِـيـقُ الـبـابُ عـنـهـا
وكَـشْـحـاً قـد جـنـنـتُ بـه جُـنـونـا

أبَـا هِـنـدٍ فـلا تَـعْـجَـلْ عـلـيـنـا
وَأَنْـظِـرْنـا نـخـبّـرْكَ الـيـقـيـنـا
بِـأنّـا نُـورِد الـرّايـاتِ بـيـضـاً
ونـصـدرهـنّ حُـمْـراً قـد رَوِيـنـا
وأَيّـامٍ لـنـا غُـرٍّ طِـوَالٍ
عَـصَـيْـنـا الـمـلـكَ فـيـهـا أَنْ نَـدِيـنـا
مَـتَـى نَـنْـقُـلْ إلـى قَـوْمٍ رَحـانـا
يـكـونـوا فـي الـلّـقـاء لـهـا طـحـيـنَـا
نـعُـمُّ أُنـاسَـنـا ونـعِـفّ عـنـهـم
ونـحـمـل عـنـهـمُ مـا حـمَّـلـونـا
نُـطـاعِـنُ مـا تـراخـى الـنَّـاس عـنَّـا
ونـضـربُ بـالـسُّـيـوفِ إذا غَـشـيـنـا،

... وإنَّ الضِّغْن بعد الضِّغن يبدو

عليكَ، ويُخرج الدَّاءَ الدفينا.

كأنَّ سيوفَنا منَّا ومنهم

مخاريقٌ بأيدي لاعبينا

كأنَّ ثيابَنا مِنَّا ومنهم

خُضِبْنَ بأرجوانٍ أَوْ طُلينا

ألا لا يعلم الأَقوام أَنَّا

تَضعْضعْنا وأَنّا قد وَنِينا

ألا لا يَجهلَنْ أحدٌ علينا

فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا،

بِأيِّ مشيئةٍ، عَمّرَو بْنَ هندٍ

تُطيع بنا الوُشاةَ وتَزْدرينا؟

تهدّدنا وتُوعِدُنا، رويداً

متى كنّا لأمّكَ مَقْتَوينا؟

فإنّ قَنَاتَنا يا عَمْرو أعْيَتْ

على الأعداء قبلكَ أن تَلِينا

على آثارِنا بيضٌ حِسانٌ

نُحاذرُ أن تُقَسَّمَ أو تَهونا

أَخــذْن عــلــى بُــعــولــتــهــنَّ عــهــداً

إذا لاقــوا كــتــائــبَ مُــعــلــمــيــنــا،

لَــيَــسْــتَــلِــبــنَّ أفــراســاً وبِــيــضــاً

وأَسْــرى فــي الــحــديــد مُــقَــرَّنــيــنــا.

إذا مــا رُحْــنَ يــمــشــيــن الــهــويْــنــى

كــمــا اضْــطَــربــتْ مــتــونُ الــشَّــاربــيــنــا

يَــقُــتْــنَ جِــيــادَنــا ويــقــلــنَ: لــســتــم

بُــعــولَــتــنــا، إذا لــم تَــمْــنَــعــونــا...

كــأَنَّــا والــسُّــيــوف مُــسَــلــلاَّتٌ

ولــدنــا الــنَّــاس طــرّاً أَجْــمــعــيــنــا

وقــد عَــلِــمَ الــقــبــائِــلُ مِــن مَــعَــدٍّ

إذا قُــبَــبٌ بــأبــطــحــهــا بِــنِــيــنــا

بــأنّــا الــمُــطــعــمــون إذا قَــدرنــا

وأَنّــا الــمــهــلــكــونَ إذا ابْــتُــلِــيــنــا

وأَنّــا الــمــانــعــونَ لِــمــا أردنــا

وأنّــا الــنّــازلــون بــحــيــث شِــيــنــا

وأَنّــا الــتّــاركــون إذا ســخــطــنــا

وَأَنّــا الآخــذون إذا رضــيــنــا

وأَنّـــا الـــعـــاصـــمـــون إذا أُطِـــعْـــنـــا

وَأَنّـــا الـــعـــازفـــون إذا عُـــصِـــيـــنـــا

ونَـــشْـــربُ إن وردْنـــا الـــمـــاءَ صـــفـــواً

ويـــشـــربُ غـــيـــرنـــا كـــدراً وطـــيـــنـــا.

المثقِّب العبديّ

١ ـ النساء والرحيل

أَفـاطِـمَ قَـبـل بَـيْـنِـكِ، مَـتِّـعِـيـنـي
وَمَـنْـعُـكِ ما سـألْـتُ، كَـأَنْ تَـبِـيـنـي
... فـلا تَـعِـدي مـواعـد كـاذبـاتٍ
تـمـرّ بـهـا ريـاح الـصَّـيـف دونـي
فـإنـي لـو تـخـالـفـني شـمـالـي
خِـلافَـكِ ما وصـلـتُ بـهـا يـمـيـنـي.

ظـهـرنَ بِـكـلّـةٍ وسـدلْـنَ أخـرى
وثَـقّـبـن الـوصـاوصَ لـلـعـيـونِ
أَريْـنَ مـحـاسِـنـاً وكَـنَـنَّ أخـرى
مـن الأَجـيـادِ والـبَـشَـرِ الـمـصـونِ
ومـن ذَهَـبٍ يـلـوحُ عـلـى تَـريـبٍ
كـلـون الـعـاجِ لـيـس بـذي غُـضـونِ...

اسمه عائذ. يقال إنه مات نحو ٥٨٨م.

إذا ما قمتُ أَرْحَلُها بليلٍ
تَأَوّهُ آهةَ الرّجلِ الحزينِ ـ
تقولُ إذا درأتُ لها وضيناً
أهذا دِينُهُ أبداً وديني؟
أكلَّ الدَّهرِ حِلٌّ وارتحالٌ
أما يُبقي عليَّ وما يقيني؟

... إلى عَمْرٍو، ومِن عَمْرٍو أتتني
أخِي النَّجداتِ والحِلْمِ الرَّصينِ
فإمّا أن تكون أخي بِحَقٍّ
فأعرف مِنْكَ غَثِّيَ أو سَميني
وإلاّ فَاطّرِحْني واتَّخِذْني
عدوّاً أتّقيكَ وَتَتَّقيني
وما أدري، إذا يَمّمتُ أمراً
أريدُ الخيرَ، أيّهما يَليني:
أَأَلخيرُ الذي أنا أبتغيهِ
أَمِ الشرُّ الذي هو يبتغيني؟

٢ ـ حكم

لا تــقــولَــنّ، إذا مــا لــم تُــرِدْ
أَنْ تُــتِــمَّ الــوَعْــدَ فــي شــيءٍ، نــعــمْ
حــسَــنٌ قــولُ نــعــم مــن بَــعْــدِ لا
وقــبــيــحٌ قــولُ لا، بــعــد نَــعــمْ.
إنّ شَــرّ الــنّــاس مــن يــضــحــك لــي
حــيــن يــلــقــانــي وإن غــبــتُ شَــتَــمْ
وَلَــبَــعْــضُ الــصَّــفْــح والإعــراضِ عَــنْ
ذِي الــخَــنَــا، أَبْــقَــى، وإن كــانَ ظــلــمْ.
أجــعــل الــمــالَ لِــعــرضــي جُــنَّــةً
إنّ خــيــر الــمــال مــا أدَّى الــذِّمَــمْ.

٣ ـ حزن

فَــبِــتُّ أضــمُّ الــرّكــبــتَــيْــنِ إلــى الــحَــشَــا
كــأنّــيَ راقِــي حَــيَّــةٍ أو سَــلِــيــمُــهــا.
وَيَــعْــمَــلَــةٍ أَرْمــي بــهــا الــبِــيــدَ فــي الــسُّــرَى
يُــقَــطِّــع أَجْــوازَ الــفَــلاةِ رَسِــيــمُــهــا

أُمَـضّـي بـهـا الأهـوالَ فـي كـلّ قَـفْـرَةٍ

يُـنـادي صَـداهَـا آخـرَ الـلّـيـل بُـومُـهـا

أَنُـصُّ الـسُّـرَى فـيـهـا بـكـلّ هَـجـيـرةٍ

تـغـيّـر ألـوانَ الـرّجـالِ سَـمُـومُـهـا.

عَديّ بن زيد العَبَّاديّ

١ ـ نشيدٌ لِلزّوال

ويــــقــــول الــــعُــــداةُ: أَوْدَى عَــــدِيٌّ
وَعَــــدِيٌّ بِــــسُــــخْــــطِ رَبٍّ أَسِــــيــــرُ

أيّــهــا الــشّــامِــتُ الــمــعــيِّــرُ بــالــدَّهْــرِ
أأنــــتَ الــــمــــبــــرَّأُ الــــمــــوفــــورُ؟

أَمْ لــديــكَ الــعــهــدُ الــوثــيــقُ مــن الأيّــام،
بــــل أنــــتَ جــــاهِــــلٌ مَــــغــــرورُ

إِن يُــصِــبْــنــي بَــعــضُ الــهَــنــاتِ،
فــلا وانٍ ضَــعِــيــفٌ ولا أَكَــبُّ عَــثُــورُ

مَــــنْ رأيــــتَ الــــمــــنــــون خَــــلّــــدْنَ؟
أَمْ مَــنْ ذا عَــلــيــه مِــنْ أَنْ يُــضَــامَ خَــفِــيــرُ؟

عاش في بلاط الأكاسرة بالمدائن، وجعله كسرى أبرويز ترجمانه وكاتبه بالعربية. وهو العربي الأول الذي كتب بالعربية في ديوان كسرى. زار دمشق وقال فيها أول شعره. دعاه النعمان بن المنذر لزيارته، وما إن وصل حتى أمر بحبسه ثم قتله كما يروى نحو ٥٩٠م.

أين كِسْرى، كِسْرى الملوكِ أَنُوشُرْوان،
أَم أيـــن قَـــبـــلـــه ســـابـــورُ؟
وتَـــذكَّـــرْ رَبَّ الـــخَـــوَرْنَـــقِ،
إذ أَشْرفَ يـومـاً، ولِـلـهُـدَى تَـفـكـيـرُ
سَـــرَّهُ حـــالُـــهُ وكَـثْـرةُ مـا يـمـلـكُ
والـــبَـــحْـــرُ مُـــعْـــرِضـــاً والـــسَّـــدِيـــرُ
... فارعوى قلبهُ، فقالَ: وما غِبطةُ
حـــيٍّ إلـــى الـــمـــمـــات يَـــصـــيـــرُ
... ثـم صـاروا كـأنَّـهـم ورَقٌ جَـفَّ
فـــألـــوت بـــه الـــصَّـــبـــا والـــدَّبُـــورُ.

٢ ـ بكر العاذلون

بَـكَـرَ الـعـاذلـونَ فـي وَضَـحِ الـصُّـبـحِ
يـقـولـون لـي: أمـا تَـسْـتَـفـيـقُ؟
لـسـتُ أدري إذ أكـثـروا الـعَـذْلَ فـيـهـا
أعـــدوّ يـــلـــومـــنـــي أم صـــديـــقُ؟

ودعـوا بـالـصَّـبـوح يـومـاً فـجـاءت
قَـيـنـةٌ فـي يـمـيـنـهـا إبـريـقُ

قَدَّمته على عُقارٍ كعين الدِّيكِ
صفّى سلافَها الرَّاووقُ
... وطفا فوقَها فقاقيعُ كالياقوت
حُمْرٌ يزينها التَّصْفيقُ
ثم كان المزاجُ ماءَ سحابٍ
لا صدىً آجِنٌ ولا مَطروقُ.

٣ ـ نسيان

لم أَرَ مِثْلَ الفِتْيَانِ في غَبَنِ الأيّامِ
يَنْسُونَ ما عَواقِبُها
يَنْسون إخوانهم ومصرعهم
وكيف تَعْتَافُهم مخالِبُها
ماذا تُرَجّي النّفوسُ من طلَبِ الخَيْر
وحبّ الحياةِ كَارِبُها
تظنّ أَنْ لن يُصيبَها عنَتُ الدَّهر
ورَيْبُ المَنُونِ صَائِبُها.

٤ ـ عاذلة

... وعاذلةٍ هَبّت بِلَيْلٍ تلومني
فلمّا غَلَتْ في اللّوم قلت لها اقْصِدِي

أَعَـاذِلُ، إنّ الـجَـهْـلَ مـن لَـذّة الـفَـتَـى
وإنّ الـمـنـايـا لِـلـرّجـالِ بِـمَـرْصَـدِ
أَعـاذِلُ، مـا يُـدْريـكِ أَنّ مـنـيّـتـي
إلى ساعةٍ في اليوم أو في ضُحَى الغَدِ
ذَريـنـي، فَـإنّـي إنّـمـا لِـيَ ما مـضَـى
أمـامـيَ مِـنْ مـالـي إذا خَـفَّ عُـوَّدي
كـفَـى زاجـراً لـلـمـرء أَيَّـامُ دَهْـرِهِ
تَـروحُ لـه بـالـواعـظـاتِ وتـغـتـدي
عَنِ الـمَرْءِ لا تَـسْأَلْ، وَسَلْ عـن قـرينـهِ
فـكـلّ قـريـنٍ بـالـمُـقَـارنِ يَـقْـتَـدي.

الأَسود بن يعفر النَّهشلي

١ ـ صورة شخصية

. . . وكـان لـه، فـيـمـا أفـاد حـلائِـلٌ
عـجـلـنَ، إذا لاقـيـنَـه ـ قـلـنَ مَـرحـبـا
فـأصـبـحـنَ لا يـسـألـنَ عـنـه لـمـا بـهِ
أَصَـعَّـد فـي عُـلـوِ الـهـوى أم تـصـوَّبـا
طـوامـح بـالأَبـصـار عـنـه كـأَنَّـمـا
يَـريْـنَ عـلـيـه جُـلَّ أَدْهَـمَ أَجْـرَبـا.

٢ ـ الذئب

مَـعَـصَّـبٌ مـن صـبـاحٍ لا طـعـامَ لَـهُ
ولا رعـيَّـةَ إلاَّ الـطّـوفُ والـعَـسَـسُ.

٣ ـ أرض. . .

وسَـمْـحةِ الـمَـشْـي شِـمْـلالٍ قـطـعـتُ بـهـا
أَرضـاً يَـحَـار بـهـا الـهـادون ديـمـومـا

هو أعشى بني نهشل. كان ينادم النعمان بن المنذر. مات، على الأرجح نحو ٦٠٠م.

مَـهـامِـهـاً وخـروقـاً لا أنـيـسَ بـهـا
إلاَّ الـضَّـوابـحَ والأَصـداءَ والـبُـومـا.

٤ ـ ميعاد

أيـن الـذيـن بَـنـوا فـطـال بـنـاؤهـم
وتـمـتّـعـوا بـالأهـل والأَوْلادِ؟
جَـرتِ الـرّيـاح عـلـى مـكـان ديـارهـم
فَـكـأنّـمـا كـانـوا عـلـى مـيـعـادِ.

سلامة بن جندل السعدي

١ ـ ريقة امرأة

... وكـأنَّ ريـقـتَـهـا إذا نـبَّـهـتَـهـا
كـأسٌ يُـصـفِّـقُـهـا لِـشُـرْبٍ سَـاقِ
... يـنـسـى لـلِـذَّتـهـا إصـالـةَ حِـلْـمـه
فـيـظـلَّ بـيـن الـنَّـوم والإطـراقِ.

٢ ـ خيل الحرب

كـأنَّ الـمَـذاكـي حـيـن جَـدّ جـمـيـعُـنـا
رعـيـلٌ وعـولٍ خـلـفـهـنَّ وعـولُ
كـأنَّ عـلـى فُـرسـانِـهـا نَـضْـحَ عَـنْـدَمٍ
نـجـيـعٌ ومِـسْـكٌ بـالـنُّـحـور يـسـيـلُ
إذا خَـرَجـت مِـن غـمـرة الـمـوت رَدَّهـا
إلى الـموتِ صَـعْـبُ الـحـافَـتَـيْـنِ ظَـلـيـلُ.

من الشعراء الفرسان. يروى أنه مات حوالى ٦٠٠م.

ذو الإصبع العدْوانيّ

١ ـ صورة شخصية

إنّــي لَـعَـمْـرُكَ مـا بَـابـي بـذي غَـلَـقٍ
عـن الـصّـديـق ولا خـيـري بِـمَـمْـنُـونِ
وَلاَ لِـسَـانـي عـلـى الأَدنـى بِـمُـنْـطـلـقٍ
بِـالـفـاحـشـاتِ، ولا فَـتـكـي بِـمَـأْمُـونِ.
. . . عَفٌّ يؤوسٌ، إذا ما خِفتُ مِن بَلَدٍ
هُـونـاً، فـلـسـتُ بِـوقّـافٍ عـلـى الـهُـونِ،
والـلَّـهِ لـو كَـرهـت نـفـسـي مـصـاحَـبـتـي
لقلتُ، إذ كَرِهتْ قُربي، لـهـا: بِـيـنـي.

اسمه حرثان من الشعراء الفرسان، اشترك في غارات كثيرة. مات، كما يقال، نحو ٦٠٠م.

٢ ـ صورة شخصية

أُكْـرِمُ الـضَّـيـفَ والـنّـزيـلَ وإن بِـتّ

خَـمـيـصـاً، يـضـمُّ بـعـضـيَ بَـعْـضـي،

أطـعـنُ الـفـارسَ الـمـدجَّـجَ بـالـرُّمـح،

فَـأُلْـقـيـهِ لـلـيـديـنِ، وأَمْـضـي.

عبيد بن الأبرص الأسدي

١ ـ المنزل البغيض

وَحَنَّت قُلُوصي بعد وَهْنٍ وهَاجَها
مع الشّوق يوماً بالحجاز وَميضُ
فقلتُ لها: لا تَضْجَري، إنَّ منزِلاً
نَأَتْني به هِندٌ إليَّ بَغيضُ.

٢ ـ زوجة

... زَعمت أَنَّني كبرتُ وأَنِّي
قَلَّ مالي وضَنَّ عنِّي المَوالي
وصَحا باطلي وأصبحت كَهْلاً
لا يؤَاتي أمثالها أمثالي

عاش ومات فقيراً. سجنه النعمان بن المنذر وقرر أن يقتله. سأله أن يمدحه، قبل قتله، ليعفو عنه، فرفض عبيد قائلاً: «أما أنا وأسير لديك، فلا». فقال له: «نردك إلى أهلك ونلتزم رفدك». فأجابه: «أما على شرط المديح، فلا». ثم رواه من الخمر، تلبية لطلبه، وقطع له عرقه الأكحل فأخذ دمه يسيل حتى مات. مات كما يرجح، نحو ٦٠٠م.

أَن رأَتْــنــي تَــغـيَّــرَ الـلَّــون مـنِّــي

وعــلا الــشَّــيــبُ مـفـرقـي وقـذالـي،

... فَـاتْـرُكـي مَـطَّ حـاجـبـيـكِ وعـيـشـي

مَـعَـنـا بـالـرَّجـاءِ والـتَّـأْمـالِ

وبِـحَـظٍّ مـمّـا نـعـيـشُ، ولا تـذْهَـبْ

بـكِ الـتُّـرَّهـاتُ فـي الأَهـوالِ.

٣ ـ نساء

... ومِلْن إليـنا بالسَّـوالفِ والحِلى

وبالقولِ فيما يَشْتهي المَرحُ الخالي

كأَنَّ الصَّبا جاءت بريحِ لطيمةٍ

من المِسْكِ ـ لا تُسْطاعُ بِالثَّمَنِ الغالي.

٤ ـ امرأة

تُدْفي الضَّجيعَ إذا يَشْتُو، وتُخْصِرُه

في الصَّيفِ، حين يطيبُ البردُ لِلصَّاحي

تخال ريقَ ثناياها إذا ابتَسمت

كَمِزْج شَهْدٍ بأَتْرُجٍّ وتُفَّاحِ

كأَنَّ سُنَّتَها في كلِّ داجيةٍ

حين الظَّلامُ بهيمٌ، ضوءُ مصباحِ.

٥ ـ وصيّة

فــلا تَــجْــزَعــوا لِــحِــمَــامٍ دنَــا
فَــلِــلْــمــوتِ مَــا تَــلِــدُ الــوالِــدهْ.

٦ ـ تأمّلات

تَــصْــبــو فَــأنّــى لــكَ الــتّــصــابــي
أَنَّــى، وقــد راعَــكَ الــمــشــيــبُ
وكــلّ ذي نِــعْــمــةٍ مَــخْــلُــوسٌ
وكــلّ ذي أمَــلٍ مــكــذوبُ
وكــلّ ذي إبــلٍ مــوروثٌ
وكــلّ ذي سَــلَــبٍ مَــسْــلــوبُ
وكــلّ ذي غَــيْــبــةٍ يــؤوبُ
وغــائــبُ الــمــوتِ لا يــؤوبُ
أَعــاقِــرٌ مِــثْــلُ ذاتِ رِحْــمٍ
أَمْ غــانِــمٌ مِــثْــلُ مَــن يَــخِــيــبُ
سَــاعِــدْ بــأرْضٍ إذا كــنــتَ فــيــهــا
ولا تَــقُــلْ إنّــنــي غــريــبُ.

الشَّدَّاخ الكنانيّ

إلى خزاعة

قــاتِــلــي الــقــومَ يــا خُــزَاعَ ولا
يــدخــلْــكُــمُ مِــن قِــتــالــهــم فَــشَــلُ
ألــقــومُ أمــثــالــكــم ـ لــهــم شَــعَــرٌ
فــي الــرَّأسِ، لا يُــنْــشَــرون إن قُــتــلــوا،
أكــلَّــمــا حــاربَــت خُــزاعَــةُ
تَــحــدُونــي كــأنــي لأمِّــهِــم جَــمَــلُ؟

من حكام العرب في الجاهلية.

عنترة العبسيّ

١ ـ فروسية

أَثني عليَّ بما عَلمتِ، فإنني
سَمْحٌ مُخالَقتي، إذا لم أُظْلَمِ
وإذا ظُلمتُ فإنّ ظُلميَ باسِلٌ
مُرٌّ مَذاقَتُه كطعم العَلقَمِ
وإذا شَربت فإنني مُسْتَهْلِكٌ
مالي، وعِرْضيَ وافِرٌ لم يُكْلَمِ
وإذا صحوت فما أُقصّر عن ندىً
وكما علمتِ شمائِلي وتكرّمي
هَلاّ سألتِ الخَيْل يا ابْنةَ مالكٍ
إن كنتِ جاهِلَةً بما لم تَعْلمي
يُخبِرْكِ من شَهد الوقيعةَ أنّني
أَغْشى الوَغى وأعفُّ عند المَغْنَمِ

اشتهر بفروسيته، اجتمع في شبابه بامرئ القيس. مات نحو ٦٠٠م، كما يرجح.

ووَددْتُ تـقـبـيـلَ الـسّـيـوفِ لأنّـهـا
لَـمَـعَـتْ كـبـارقِ ثـغـركِ الـمـتـبَـسِّـمِ
وَمُـدجَّـجٍ كَـرِهَ الـكـمـاةُ نِـزالَـهُ
لا مُـمْـعـنٍ هَـربـاً ولا مُـسْـتَـسْـلـمِ
جـادت لـه كـفّـي بـعـاجـلِ طَـعْـنـةٍ
بـمـثـقَّـفٍ صَـدْق الـكَـعُـوبِ، مُـقـوَّمِ
فَـشَـكَـكْـتُ بـالـرُّمـح الأصـمّ ثـيـابَـه
لـيـس الـكـريـمُ عـلـى الـقَـنـا بِـمُـحـرَّمِ
يَـدْعـون عـنـتـرَ والـرّمـاحُ كـأنّـهـا
أَشْـطـانُ بـئـرٍ فـي لَـبـانِ الأَدْهـمِ
مـا زِلـتُ أرمـيـهـم بِـثُـغْـرَةِ نـحـرهِ
ولَـبـانـهِ، حـتّـى تَـسـربَـلَ بِـالـدَّمِ
فـازورَّ مِـن وقْـعِ الـقَـنـا، فـزجـرتُـهُ
فـشـكـا إلـيَّ بـعَـبـرةٍ وتَـحـمـحـمِ ـ
لـو كـان يـدري مـا الـمـحـاورةُ اشـتـكـى
ولـكـان، لـو عـلـم الـكـلامَ، مُـكـلِّـمـي،
ولـقـد شـفـى نـفـسـي وأَبْـرَأَ سـقـمَـهـا
قِـيـلُ الـفـوارسِ: ويـكَ، عـنـترَ، أَقْـدِمِ.

٢ ـ ثياب

ولـمَّـا تَـجـاذَبْـنـا الـسّـيـوف وأُفْـرِغـت
ثِـيـابُ الـمـنـايـا، كـنـتُ أوَّلَ لابـسِ.

٣ ـ شجرة الموت

إنَّ الـمـنـيَّـةَ، يـا عـبـيـلـةُ، دوحَـةٌ
وأنـا ورمـحـي أصـلُـهـا وفـروعُـهـا ـ
يـا عَـبْـلَ، لـو أنَّ الـمـنـيَّـة صُـوِّرت
لـغَـدا إلـيَّ سـجـودُهـا وركـوعُـهـا.

٤ ـ حب الجبان(*)

أُحـبُّـكِ، يـا ظـلـومُ، فـأنـتِ عـنـدي
مـكـانَ الـرُّوحِ مـن جَـسَـدِ الـجـبـانِ
ولـو أنّـي أقـولُ: مـكـانَ روحـي،
خـشـيـتُ عـلـيـكِ بـادرةَ الـطِّـعـانِ.

٥ ـ تخويف

بَـكـرَت تُـخـوّفـني الـحـتـوفَ كـأنـني
أصـبـحـتُ عـن غَـرَض الـحـتـوفِ بـمـعـزلِ

(*) يروى كذلك هذان البيتان لأبي دلف العجلي (توفي ٢٢٥هـ).

فـأجـبـتُـهـا: إنّ الـمـنـيّـةَ مَـنْـهَـلٌ
لا بُـدّ أن أُسْـقَـى بـكـأسِ الـمَـنْـهَـلِ
وإذا حُـمِـلْـتُ عـلـى الـكـريـهـةِ لـم أقـلْ
بـعـد الـكـريـهـةِ لـيـتـنـي لـم أَفْـعَـلِ
ولـقـد لـقـيـتُ الـمـوتَ يـومَ لـقـيـتُـه
مُـتَـسـرْبِـلاً، والـسّـيـفُ لـم يَـتَـسَـرْبَـلِ.

٦ ـ بكاء

كـيـف الـسّـلـوُّ، ومـا سـمـعـتُ حَـمـائِـمـاً
يَـنـدبْـنَ، إلاّ كـنـت أوّلَ مُـنـشِـدِ؟
ولـقـد حـبـسْـتُ الـدّمـعَ، لا بُـخْـلاً بـهِ
يـوم الـوداعِ عـلـى رسـوم الـمَـعْـهـدِ
وسـألـتُ طَـيْـرَ الـدَّوْحِ، كـم مِـثـلي شَـجَـا
بـأنـيـنـهِ، وحـنـيـنـهِ الـمـتـردِّدِ
نـاديـتُـه، ومَـدامـعـي مُـنْـهـلَّـةٌ:
أيـن الـخَـلـيُّ مِـنَ الـشـجـيّ الـمُـكْـمَـدِ؟
رَفَـعُـوا الـقِـبـابَ عـلـى وجـوهٍ أشـرقَـتْ
فـيـهـا، فـغـيَّـبـتِ الـسُّـهَـا فـي الـفَـرْقـدِ

وَاسْتوكَفُوا ماءَ العيون بِأعْينٍ
مكحولَةٍ بالسّحر، لا بِالإثْمدِ
والشّمس بين مُضرَّجٍ ومُبلَّجٍ
والغُصنُ بين مُوشَّحٍ وَمُقلَّدِ
يَطْلعْنَ بين سَوالفٍ وَمعاطفٍ
وقلائدٍ من لؤلؤٍ وزبرجُدِ
قالوا: اللّقاءُ غَداً بِمُنعَرَج اللّوى
وَاطُولَ شوقِ المُستَهام إلى غَدِ.

قسّ بن ساعدةِ الإياديّ

الشمس

تـجـري عـلـى كَـبـدِ الـسَّـمـاء كـمـا

يـجـري حِـمـامُ الـمـوتِ فـي الـنَّـفْـسِ. . .

كان أسقف نجران. يُعدّ أحكم حكماء العرب. اشتهر بالخطابة. مات كما يقال نحو ٦٠٠م.

مالك بن حريم الهمداني

١ ـ امرأة

... فحدَّثتُ نفسي أَنَّها أو خيالها
أَتانا عشاءً حين قمنا لِنهجعا
فقلتُ لها: بِيتي لدينا وعَرِّسي
وما طَرقت بعد الرّقادِ لِتنفَعا...

أهيمُ بها، لم أَقْضِ منها لُبانةً
وكنتُ بها، في سالفِ الدَّهر، مُوزَعا
كأَنَّ جَنى الكافور، والمسكَ خالِصاً
وبَرْدَ النَّدى والأَقحوانَ المنَزَّعا
وقَلْتاً قَرَتْ فيه السَّحابةُ ماءها
بأنيابِها، والفارِسيَّ المُشَعْشَعا.

كان يلقب «مفزع الخيل». عاش في القرن السادس الميلادي.

٢ ـ الفقير

يـرى دَرَجـاتِ الـمـجـد لا يَـسـتـطـيـعُـهـا

ويـقـعـدُ وسْـطَ الـقـوم لا يـتـكـلَّـمُ.

أبو ثمامة الضبّي

١ ـ الظلم العادل

أَتسألني السَّويَّةَ وَسْطَ زَيْدٍ
ألا إِنَّ السَّويَّةَ أن تُضاموا
فَجارُكَ عند بيتكَ لحمُ ظَبْيٍ
وجاري عند بيتيَ لا يُرامُ.

٢ ـ فرار

أَفِرُّ مِن الشرّ في رَخْوَةٍ
فكيفَ الفِرارُ إذا مَا اقْترَبْ؟

اسمه البراء. شاعر فارس. عاش في القرن السادس الميلادي.

أبو صعترة البولانيّ

١ ـ صورة شخصية

أودُّهــــمُ ودّاً، إذا خــــامَــــر الــــحَــــشــــا
أضـاءَ عـلـى الأَضـلاعِ، والـلَّـيـلُ دامِـسُ.

٢ ـ فراسة

فـمـا نُـطـفـةٌ مِـن حَـبِّ مُـزْنٍ تـقـاذَفَـتْ
بـهِ جَـنْـبَـتـا الـجُـودِيِّ، والـلَّـيـل دامِـسُ
بِأَطـيَـب مِـن فـيـهـا ـ ومـا ذقْـتُ طـعـمَـهُ
ولـكـنـني، فـي مـا تـرى الـعـيـنُ، فـارِسُ.

عاش في القرن السادس الميلادي.

أعشى باهلة

مرثية أخ

. . . مَن ليس في خيره مَنٌّ يكدّره
على الصَّديقِ، ولا في صفوهِ كَدَرُ
يمشي ببيداءَ لا يمشي بها أحدٌ
ولا تُحَسُّ بها عينٌ ولا أَثَرُ
كأَنَّه بعد صدق القوم أنفسهم
بالبأس، يلمعُ من أقدامهِ الشَّرَرُ
وليس فيه، إذا اسْتَنْظَرْتَه، عَجَلٌ
وليس فيه، إذا ياسَرْتَه، عُسُرُ،
. . . ورَّادُ حربٍ، شِهابٌ يُسْتَضاءُ بهِ
كما يُضيءُ سواد الظّلمةِ القمرُ
لا يأمَنُ النَّاس مُمْساهُ ومُصْبَحَه
في كلِّ فَجٍّ، وإن لم يَغْزُ، يُنْتَظَرُ.

اسمه عامر، عاش في القرن السادس الميلادي.

باقِل الرَّبْعيّ

يلومون...

يــلــومــونَ فــي حُــمْــقــهِ بــاقِــلاً
كــأَنَّ الــحــمــاقَــةَ لــم تُــخْــلَــقِ
فــلا تُــكــثــروا الــعــذلَ فــي عَــيَّــهِ
فَــلَــلْــعــيُّ أَجــمــلُ بــالأحــمــقِ
خُــروج الــلِّــســان وفَــتْــح الــبَــنــانِ
أحــبُّ إلــيَّ مــن الــمــنْــطِــقِ.

يقال «أعيا من باقل». عاش في القرن السادس الميلادي.

ثعلبة بن عمرو

١ ـ العدو

وإن يَـلْـقَـنـي بـعـدهـا، يَـلْـقَـنـي
عـلـيـه مـن الـذلِّ، ثـوبٌ قَـشـيـبْ.

٢ ـ سؤال

أَمِـنْ حـذَرٍ آتـي الـمـهـالِـكَ سَـادِراً
وأيّـةُ أَرْضٍ لـيـس فـيـهـا مَـتـالِـفُ؟

عاش في القرن السادس الميلادي.

حاجِز الأزْدي

ألا عللاني

أَلا عَـلِّـلانــي، قــبـل نَـوْحِ الـنّــوادبِ
وقــبـل بُـكـاءِ الـمُـعْـوِلاتِ الـقـرائـبِ
وقــبــل ثَــوائــي فــي تُــرابٍ وجَـنْـدَلٍ
وقـبـل نُـشـوزِ الـنَّـفـسِ فـوق الـتَّـرائـبِ،
فـإن تَـأْتِـنـي الـدُّنـيـا بِـيَـوْمـي فُـجـاءةً
تَـجِـدْني، وقـد قَـضَّـيْـتُ مـنـهـا مـآربـي.

من الشعراء الصعاليك. عداء يسابق الخيل. عاش في القرن السادس الميلادي.

عبيد بن ماويّة الطائيّ

صورة شخصية

... فـــإنِّـــي لَـــذُو مِـــرَّةٍ مُـــرَّةٍ
إذا رَكِـــبـــت حَـــالَـــةٌ حـــالَـــهـــا
أُقَـــدِّم بـــالـــزَّجْـــرِ قَـــبـــل الـــوعـــيـــد
لِـتَـنْـهـى الـقـبـائِـلُ جُـهَّـالـهـا،

وقـــافـــيـــةٍ مـــثـــلِ حَـــدِّ الـــسِّـــنـــانِ
تـــبـــقـــى ويَـــذْهَـــبُ مَـــن قـــالَـــهـــا
تَـــجـــوَّدتُ فـــي مـــجـــلـــسٍ واحـــدٍ
قِـــراهـــا... وتِـــسْـــعـــيـــن أمـــثـــالَـــهـــا.

عاش في القرن السادس الميلادي.

قُرَيْط بن أُنَيْف العنبري

صورة وصفية

قَـومٌ إذا الـشَّـرّ أبـدى نَـاجِـذيْـهِ لـهـم
طـارُوا إلـيـه زَرافـاتٍ وَوُحـدانـا
لا يَـسـألـونَ أخـاهـم حـيـن ينـدبُـهـم
فـي الـنَّـائِـبـاتِ عـلـى مـا قـال بُـرْهـانـا.

عاش في القرن السادس الميلادي.

قَيْس بن الحِدادِيَّة

١ ـ بعد الغزو

وأُبْنا بإبلِ القوم تُحْدى، ونِسْوَةٍ
يُبَكِّينَ شِلْواً، أو أسيراً مجرَّحا، ـ
غَدَاةَ سقينا أرضهم من دِمَائِهم
وَأُبْنَا بِأُدْمٍ كُنّ بالأمس وُضَّحَا
لَقد عَلمت أَفْناءُ بكرِ بن عامرٍ
بِأَنَّا نَذُودُ الكاشِحَ المتَزحْزِحا
وأَنَّا بلا مَهْرٍ، سوى البيضِ والقنا،
نُصيبُ بِأَفْناء القبائلِ مَنْكَحَا.

٢ ـ الحب والرحيل

بَكَتْ مِن حديثٍ بَثَّه وأَشَاعَهُ
ورصَّعهُ واشٍ مِنَ القوم راصِعُ ـ

كان شجاعاً كثير الغارات، ماجناً خليعاً. تبرأت منه قبيلته، وتعهدت في سوق عكاظ ألا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة عليه. عاش في القرن السادس الميلادي.

وكـيـف يَـشـيـعُ الـسِّـرُّ مـنِّـي ودونـه
حِجابٌ، ومن دون الحجابِ الأَضالِـعُ!
فَـلاَ يَـسْـمَـعَـنْ سِـرّي وسِـرّكِ ثـالـثٌ
أَلا كـلُّ سِـرٍّ جَـاوَزَ اثـنـيْـنِ شـائِـعُ
ومـا راعَـنـي إلاَّ الـمُـنـادي: أَلا اظْـعَـنُـوا
وإلاَّ الـرَّواغـي، غُـدوَةً، والـقَـعـاقِـعُ
فَـجـئـتُ كـأَنِّـي مُـسْـتَـضـيـفٌ وسـائِـلٌ
لأخِـبـرَهـا كـلَّ الـذي أنـا صـانِـعُ
فـقـالـت: تَـزَحـزَحْ، ما بِنا كُبْرُ حاجَةٍ
إلـيـكَ، ولا مِـنَّـا لِـفـقـركَ راقِـعُ...

كـأَنَّ فـؤادي بـيـن شِـقَّـيْـن مِـن عَـصـاً
حِـذارَ وقـوعِ الـبَـيْـنِ، والـبَـيْـنُ واقِـعُ
وقـالـت، وعـيـنـاهـا تَـفـيـضـانِ عـبـرةً
بَـأَهْـلـيَ، بَـيِّـنْ لـي مـتـى أنـتَ راجِـعُ؟
فـقـلـتُ لـهـا: تَـالـلَّـهِ يَـدْري مُـسَـافِـرٌ
إذا أَضْـمـرَتْـهُ الأَرضُ، مـا الـلَّـه صـانِـعُ؟
فَـشَـدَّت عـلـى فـيـهـا الـلِّـثـامَ وأَعْـرَضَـتْ
وأَقْـبَـلَ بـالـكُـحْـلِ الـسَّـحـيـقِ، الـمدامِـعُ

وإنّـــي لـــعـــهـــد الـــودِّ راعٍ، وإنَّــــنـــي
بِوَصْلكِ، ما لم يَطْوِني الموتُ، طامِـعُ.

٢ ـ أم مالك

وبُـدِّلْـتُ مِـن جَـذْواكِ، يـا أُمَّ مـالـكٍ
طـوارِقَ هَـمٍّ يَـحْـتَـضِـرْنَ وِسـادِيـا
وأَصبـحـت بـعـد الأُنْـسِ لابِـسَ جُـبَّـةٍ
أُسَاقـي الـكُـماةَ الـدَّارعـينَ الـعـواليا، ـ
فَـيَـومـايَ: يـومٌ فـي الـحـديـدِ مُـسَـرْبَـلاً
ويــومٌ مـع الـبـيـضِ الأَوانِـس لاهِـيـا
فـلا مُـدْرِكـاً حَـظِّـي لـدى أُمّ مـالِـكٍ
ولا مُـسْـتَـريـحـاً فـي الـحـيـاةِ فَـقـاضِـيـا.

الْمُتَنَخِّل الْهُذَليّ

١ ـ الهوان

إنَّ الـهـوانَ ـ فـلا يـكـذِبْـكـمـا أحـدٌ ـ
كـأَنَّـه فـي بـيـاضِ الـجـلـد تَـحْـزِيـزُ.

٢ ـ صورة وصفية

كـأَنَّ مـزاحِـفَ الـحـيَّـاتِ فـيـه
قُـبـيـلَ الـصُّـبـحِ، آثـارُ الـسِّـيـاطِ.

٣ ـ أبو مالك

أبـو مـالـكٍ قـاصِـرٌ فـقـرَهُ
عـلـى نـفـسـهِ، ومُـشـيـعٌ غِـنـاهُ.

اسمه مالك. عاش في القرن السادس الميلادي.

الْمُثَلَّم بن رياح المرِّي

صورة وصفية

تـصـيـحُ الـرّديـنـيَّـات فـيـنـا وفـيـهـم
صِـيـاحَ بـنـاتِ الـمـاء أَصـبـحْـن جُـوَّعـا

لَـفَـفْـنـا الـبـيـوتَ بـالـبـيـوتِ فـأصـبـحـوا
بـنـي عَـمِّـنـا، مَـن يَـرْمِـهـم يَـرْمِـنـا مَـعـا.

عاش في القرن السادس الميلادي.

مُجَمِّع بن هلال

تمتع

... وخَيْلٍ كأسْرابِ القَطا قد وَزَعْتُها
لَـهـا سَـبَـلٌ فـيـهِ الـمـنـيَّـةُ تَـلْـمَـعُ
شَـهِـدْتُ، وغُـنْـمٍ قـد حَـوَيْـتُ ولَـذَّةٍ
أتَـيـتُ ـ ومـاذا الـعـيشُ إلاَّ الـتَّـمَـتُّـعُ؟

... وعـاثِـرةٍ يـومَ الـهُـيَـيْـمَـى رأيـتُـهـا
وقـد ضَـمَّـهـا مِـنْ داخلِ الـقَـلـب مَـجْـزَعُ
تـقـولُ وقـد أَفْـرَدتُـهـا مِـن حـلـيـلِـهـا
تَـعـسْـتَ كـمـا أَتْـعَـسْـتَـنـي يـا مُـجَـمِّـعُ.

من الشعراء الفرسان. عاش في القرن السادس الميلادي.

مُحْرِز بن المكَعْبر الضَبِّي

دنانير

وإِنّـي لَـراجِـيـكـم، عـلـى بطْءِ سـعـيـكـم
كـمـا فـي بـطـونِ الـحـامـلاتِ رَجَـاءُ،

فَـهـلاَّ سـعـيـتُـمْ سَـعْـيَ عُـصْـبَـةِ مـازنٍ
وهـل كُـفَـلائـي فـي الـوفـاءِ سَـواءُ
لـهـم أَذْرُعٌ بـادٍ نـواشِـرُ لـحـمـهـا
وبـعـضُ الـرِّجـال فـي الـحـروبِ غُـثَـاءُ
كـأنَّ دَنـانـيـراً عـلـى قَـسَـمـاتِـهـمْ
وإن كـان قـد شَـفَّ الـوجـوهَ لِـقـاءُ.

عاش في القرن السادس الميلادي.

الهَذْلول بن كعب العَنْبَريّ

المرأة والفارس(*)

تـقـولُ وصـكَّـت نـحـرَهـا بـيـمـيـنِـهـا
أَبـعْـلِـيَ هـذا بـالـرَّحـى، الـمـتـقـاعِـسُ؟

فـقـلـتُ لـهـا: لا تَـعْـجَـبـي وتـبـيَّـنـي
بَـلائـي، إذا الـتـفَّـتْ عـلـيَّ الـفـوارِسُ

أَلَـسْـتُ أَرُدّ الـقِـرْنَ، يـركـبُ رَدْعَـهُ(**)
وفـيـه سِـنـانٌ ذو غِـرارَيْـنِ، يـابِـسُ

وأَقْـري الـهـمـومَ الـطَّـارقـاتِ حَـزامَـةً
إذا كَـثُـرت لـلِـطَّـارقـاتِ الـوسـاوِسُ،

إذا هـاب أَقْـوامٌ، تَـجـشَّـمـتُ هَـوْلَ مـا
يـهـابُ حُـمـيَّـاه الألَـدُّ الـمُـداعِـسُ.

عاش في القرن السادس الميلادي.

(*) تنسب أيضاً هذه الأبيات لأعرابي من بني سعد، وكان قد تزوج امرأة رأته يوماً يطحن لضيوفه؛ فضربت صدره قائلة باستغراب: أهذا زوجي؟ فرد بهذه الأبيات. وتنسب كذلك لأبي محلم السعدي.

(**) يركب ردعه: يخر صريعاً لوجهه.

لَعَمْرُ أبيك الخَيرِ، إنِّي لَخادمٌ
لِضَيْفي، وإني إنْ ركبتُ لَفارِسُ
وإِنِّي لأَشْري الحمدَ أَبْغي رَبَاحَهُ
وَأَتْركُ قِرْني وهو خزيانُ ناعِسُ.

علقمة الفحل

١ ـ امرأة

مُنعَّمةٌ، لا يُستطاع كلامُها
على بابِها، من أن تُزارَ، رقيبُ
إذا غاب عنها البعل لم تُفْشِ سرَّه
وتُرضي إياب البعل، حين يؤُوبُ.
فإنْ تَسْألوني بالنّساء فإنني
بَصِيرٌ بأدواء النّساء طبيبُ
إذا شَابَ رَأسُ المرء أو قلَّ مالُه
فليس له من ودّهنَّ نصيبُ
يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حيث عَلِمْنَهُ
وَشَرْخُ الشّبابِ عندهنّ عجيبُ.

. . .

كان صديقاً لامرئ القيس ومنافساً له. فضلت مرة زوجة امرئ القيس علقمة في وصف الخيل، فغضب وطلقها فتزوجها علقمة. توفي كما يظن نحو ٦٠٣م.

تَخَشْخَشُ أَبدان الحديدِ عليهمِ
كما خَشْخَشَت يَبْس الحَصادِ جَنوبُ ـ
تجودُ بنفسٍ لا يُجاد بمثلِها
وأنتَ بها، عند اللقاء، خَصيبُ
وأَنتَ الذي آثارهُ في عدوِّهِ
من البؤس والنّعمى، لهنَّ نُدوبُ.

٢ ـ خمرة

قَدْ أشهدُ الشَّرْبَ، فيهم مِزْهَرٌ رَنِمٌ
والقوم تصرعهم صهباء خُرطومُ
تَشفي الصداع ولا يُؤْذيكَ صالِبُها
ولا يُخالِطها في الرأسِ تدويمُ
عَانِيَّةٌ، قرقَفٌ، لم تُطَّلَعْ سِنَةً
يُجِنّها مُدمَجٌ بالطِّينِ، مختومُ.

٣ ـ كأنّني

كأَنّني لم أقلْ يوماً لعاديةٍ:
شُدّوا، ولا فِتْيَةٍ في موكبٍ: سِيرُوا.

المنخَّل اليَشْكُرِيّ

١ ـ يوم المنخَّل

ولقد دخلتُ على الفَتاةِ الخِدْرَ في اليوم المطيرِ
أَلْكاعبِ الحسْناء ترفلُ في الدِّمقْسِ وفي الحريرِ،
فدفعتُها فتدافَعَتْ مشْيَ القَطاةِ إلى الغديرِ،
وعطفْتُها فتَعطَّفَتْ كتعطّفِ الظَّبي الغَريرِ،
فَدَنَتْ وقالت: يا مُنَخَّلُ ما بِجِسمكَ من حَرورِ

ما شَفَّ جِسمي غيرُ حبِّكِ فاهْدَئي عنِّي وسيري...
وَأُحبّها وتُحبّني ويُحبّ ناقتَها بعيري.

... يا ربَّ يومٍ للمُنخَّل، قَدْ لَهَا فيه، قصيرِ
ولقد شرِبتُ من المدامة بالصَّغير وبالكبيرِ

اتهمه النعمان بن المنذر بامرأته المتجردة، فأغرقه أو دفنه حياً، أو أخفاه، ويضرب به المثل لمن هلك ولم يعرف له خبر. مات كما يروى نحو ٦٠٣م.

ولقد شربتُ الخمرَ بالخيل الإناثِ وبالذكورِ
ولقد شربت الخمرَ بالعَبْد الصَّحيحِ وبالأَسيرِ،
فإذا انتشيتُ فإنني ربُّ الخوَرْنَقِ والسَّديرِ
وإذا صحوْتُ فإنني ربُّ الشُّويْهَةِ والبعيرِ..

٢ ـ امرأة

ديارٌ للّتي قَتَلتْكَ غَضْباً
بلا سيْفٍ يُعَدُّ، ولا نِبالِ
بِطَرْفٍ ميِّتٍ في عين حَيٍّ
له خَبَلٌ يزيد على الخَبالِ.

٣ ـ قَتْل

جَرّدَ السَّيفَ ثائِراً بأخيهِ
يَقتلُ الكَهْلَ مِنهمُ والغُلامَا
فَملأْنا الدِّلاءَ حَتّى عُرَاها
عَلَقاً بَرَّدَ القلوبَ السِّقامَا.

النابغة الذبياني

١ ـ فرسان

كِليني لِهَمٍّ يا أُميمةُ، ناصبِ
وَليلٍ أقاسيهِ بَطيءِ الكواكبِ
تَطاولَ حتّى قلتُ: ليس بِمُنْقَضٍ
وليس الذي يَرْعى النّجومَ بآيبِ
وَصدْرٍ أَراحَ اللَّيل عازِبَ همّهِ
تضاعفَ فيه الحزنُ من كلّ جانبِ.
إذا ما غزوا بالجيشِ، حلّقَ فوقهم
عصائبُ طَيْرٍ تهتدي بعصائبِ
جوانحَ قَد أَيْقَنَّ أنَّ قَبيلَهُ
إذا ما التقى الجَمْعانِ أَوّلُ غالبِ.
فهم يتساقون المنيَّةَ بينَهم
بأيديهمِ بيضٌ رِقاقُ المضاربِ

اسمه زياد. أقام في بلاط المناذرة والغساسنة. ردّ عليه شعره مالاً كثيراً. كان حكماً في الشعر، في سوق عكاظ. مات كما يرجح نحو ٦٠٤م.

ولا عيبَ فيهم، غير أنَّ سيوفَهم
بِهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ...
يصونونَ أجساداً قديماً نعيمُها
بِخالصة الأَردانِ خُضْرِ المناكبِ
ولا يحسبونَ الخيرَ لا شَرَّ بعدَهُ
ولا يحسبونَ الشرَّ ضَرْبةَ لازِبِ.

٢ ـ امرأة

نظَرت بِمُقلة شادنٍ مُتربِّبِ
أَحْوَى، أَحمِّ المقلتيْنِ، مُقلَّدِ
مَخْطوطةُ المَتْنَيْن، غيرُ مُفاضَةٍ
رَيّا الرّوادفِ، بَضَّةُ المتجرَّدِ
قَامتْ تَراءَى بين سِجْفَيْ كِلّةٍ
كالشّمس يومَ طلوعها بالأسْعُدِ
أو دُرّةٍ صَدفيّةٍ غَوّاصُها
بَهِجٌ، متى يَرها يَهِلَّ ويَسْجُدِ
سَقَط النَّصيفُ، ولم تُرد إسْقاطَهُ
فَتناولَتْهُ واتَّقَتْنا باليدِ ـ

بِـمُـخَـضَّـبٍ رَخْـصٍ كـأَنَّ بـنـانَـهُ
عَـنَـمٌ عـلـى أغـصـانـهِ لـم يـعـقُـدِ،
نـظـرَتْ إلـيـكَ بـحـاجَـةٍ لـم تَـقْـضِـهـا
نَـظَـرَ الـسَّـقـيـمِ إلـى وُجـوهِ الـعُـوَّدِ
كـالأُقـحـوانِ، غَـداةَ غِـبِّ سـمـائـهِ
جَـفَّـت أعـالـيـه وأسـفـلـهُ نَـدِي
زَعَـمَ الـهُـمـامُ بـأَنَّ فَـاهَـا بـارِدٌ
عَـذْبٌ مُـقَـبَّـلـهُ شَـهِـيُّ الـمِـوْرِدِ
زَعَـمَ الـهُـمـامُ، ولـم أَذقْـهُ، أَنَّـه
عَـذْبٌ إذا مـا ذُقْـتَـهُ، قُـلـتَ: ازْدَدِ
زَعَـمَ الـهُـمـامِ، ولـم أَذقْـهُ، أَنَّـه
يُـشْـفَـى بِـرَيّـا رِيـقِـهـا الـعَـطِـشُ الـصَّـدِي
أخـذَ الـعَـذارَى عِـقْـدَهـا فـنـظـمْـنَـهُ
مِـنْ لُـؤْلـؤٍ مُـتَـتَـابـعٍ مُـتِـسَـرِّدِ
لَـوْ أَنَّـهـا عـرضَـتْ لِأَشْـمـطَ راهِـب
عَـبَـدَ الإلَـهَ، صَـرُورَةٍ(*)، مُـتَـعَـبِّـدِ

(*) صَرُورة: عازب.

لَـرَنَـا لِـبَـهْـجَـتِـهـا وحـسْـنِ حَـديـثـهـا
وَلــخـــالَــهُ رُشْــداً، وإن لــم يَــرْشُـــدِ.
فإذا لـمستَ، لـمسْتَ أَخْثمَ(*) جاثِماً
مُـتَـحـيّـزاً بـمـكـانـهِ، مِـلْءَ الـيـدِ
وإذا طَـعـنْـتَ، طَـعـنْـتَ في مُـسْـتَـهْـدَفٍ
رَابـي الـمَـجَـسَّـةِ بـالـعـبـيـر مُـقـرْمَـدِ.
لا مَــرْحــبــاً بــغـــدٍ، ولا أَهْـــلاً بــهِ
إن كــان تَـفْـريــق الأحـبَّــةِ فــي غَــدِ.

٣ ـ نساء

. . . فَـآبَ بِـأبْـكـارٍ وعُــونٍ عـقـائـلٍ
أَوانِـسَ، يـحـمـيـهـا امـرؤٌ غـيـرُ زاهـدِ
يُـخـطِّـطْـنَ بِـالـعـيـدانِ في كـلِّ مـقـعـدٍ
وَيَــخْــبَــأْنَ رمّـــانَ الــثّــديِّ الــنّـــواهــدِ.

٤ ـ وجه نعم

. . . أَيَّـام تُـخـبـرنـي نُـعْـمٌ وأُخْـبِـرُهـا
مـا أكـتـمُ الـنَّـاس مـن حَـاجـي وأَسْـراري

(*) الأخثم: العريض المرتفع.

لـولا حـبـائِـلُ مِـن نُـعْـمٍ عـلـقـتُ بـهـا
لأَقْـصـرَ الـقـلـب عـنـهـا أيَّ إقـصـارِ،
. . . نُبِّئْتُ نُعْماً على الـهـجرانِ عاتبةً
سـقْـيـاً ورعـيـاً لـذاك الـعـاتـب الـزَّاري
بـيـضـاء كـالـشَّـمـسِ وافَـت يـومَ أَسْـعُـدِهـا
لـم تـؤذِ أهـلاً ولـم تـفْـحِـش عـلـى جـارِ
والـطِّـيـب يـزداد طـيـبـاً أن يـكـون بـهـا
فـي جـيـد واضـحـة الـخـدَّيـنِ مِـعْـطـارِ
تُـسْـقي الـضَّـجيع إذا اسـتَـسْـقى بـذي أُشُرٍ
عَـذْبِ الـمَـذاقـةِ، بـعـد الـنَّـوم، مـخْـمـارِ
كـأنَّ مَـشْـمـولـةً صِـرْفـاً بِـريـقـتـهـا
مـن بـعـد رَقْـدتِـهـا أو شـهـد مُـشْـتـارِ. . .

أَلـمـحـةٌ مـن سَـنـا بـرقٍ رأى بَـصَـري
أم وجـه نُـعْـمٍ بـدا لـي أم سـنـا نـارِ
بـل وجـهُ نُـعْـمٍ بـدا والـلَّـيـلُ مُـعْـتَـكِـرٌ
فـلاح مـن بـيـن أثـوابٍ وأسْـتـارِ.

٥ ـ أشجار النخيل

... مِن الـوارداتِ الـماءَ بالقـاعِ تَسْتقـي
بـأَعْـجـازِهـا، قـبـل اسْـتِـقـاءِ الـحـنـاجـرِ.

٦ ـ وشاية

... أتَـاكَ امْـرؤٌ مُـسْـتَـبـطِـنٌ لِـيَ بِـغْـضَـةً
لَـهُ مِـن عـدوٍّ، مـثـلُ ذلـك، شَـافِـعُ
أتَـاكَ بـقـولٍ هَـلْـهَـلِ الـنَّـسْـجِ كـاذبٍ
ولـم يـأتِ بـالـحـقِّ الـذي هـوَ نـاصِـعُ
أتـاكَ بـقـولٍ لـم أكـن لأقـولَـهُ
ولـو كُـبِّـلـتْ فـي سـاعِـديَّ الـجـوامِـعُ.
أَتُـوعِـد عَـبْـداً لـم يـخـنْـكَ أمـانـةً
وتَـتْـركُ عـبـداً ظـالـمـاً وهـو ضـالِـعُ؟
... فـإنَّـكَ كـاللَّـيـل الـذي هـو مُـدْركـي
وإن خِـلـتُ أَنَّ الـمُـنْـتـأَى عـنـكَ واسِـعُ
وأَنـتَ ربـيـعٌ يُـنْـعِـش الـنَّـاسَ سَـيْـبُـهُ
وسـيـفٌ أُعـيـرَتْـهُ الـمـنـيَّـةُ قـاطِـعُ...

٧ ـ استعلاء

... حلفْتُ، فلم أتركْ لنفسكَ ريبةً
وليس وراء اللّه للمرء مَذْهَبُ
لَئِن كنتَ قَد بُلِّغْتَ عنّي خيانةً
لَمُبْلِغكَ الواشي أَغشُّ وأكْذَبُ
ولكنني كنتُ أمْرَأً لِيَ جانبٌ
مِنَ الأَرضِ فيه مُسْتَرادٌ ومَذْهَبُ
ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما أتيتُهم
أُحكَّمُ في أموالِهم وأُقَرَّبُ
فَلا تَتْركنّي بالوعيدِ، كأنّني
إلى النّاسِ مَطْلِيٌّ به القارُ، أَجْرَبُ
فإنّك شمسٌ والملوك كواكبٌ
إذا طلعت، لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ
وَلستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلمُّه
على شَعَثٍ، أيّ الرّجالِ المُهذَّبُ؟

٨ ـ فارس(*)

أَلـطَّـاعِـنُ الـطَّـعـنـةَ يـومَ الـلِّـقـا
يَـنْـهـلُ مـنـهـا الأسَـلُ الـنَّـاهِـلُ
والـقـائـلُ الـقـولَ الـذي مـثـلُـهُ
يُـمـرع مـنـه الـبـلَـدُ الـمـاحِـلُ.

٩ ـ امرأة...

... فـلـو كـانـت، غَـداةَ الـبَـيْـنِ، مَـنَّـتْ
وقـد رفـعـوا الـخـدورَ عـلـى الـخـيـامِ،
لـفـزتُ بـنـظـرةٍ، فـرأيـتُ مـنـهـا
وراءَ الـخِـدْرِ، بـدراً فـي الـغَـمـامِ ـ
تَـرائِـبَ يَـسْـتَـضـيءُ الـحَـلْـي فـيـهـا
كَـجـمـرِ الـنَّـار يُـزْري بـالـظَّـلامِ.

(*) في رواية أن البيتين منحولان وليسا للنابغة.

طُفيل بن عوف الغَنَوِيّ

١ ـ العلم

فـمـا بَـرِحـوا حـتَّـى رأوا فـي ديـارهـم
لـواءً كـظـلِّ الـطَّـائـرِ الـمـتـقـلِّـبِ.

٢ ـ فارس.

... إذا خرجت يوماً، أعيدتْ كأنَّـهـا
عـواكـف طـيـرٍ فـي الـسَّـمـاء تَـقَـلَّـبُ
إذا اسْتُعْجلتْ بالرَّكض سدَّ فروجَـهـا
غُـبـارٌ تَـهـاداه الـسّـنـابـكُ، أَصْـهـبُ.

... ففـاز بِنَهْبٍ، فيه منهم عَقيلةٌ
لـهـا بَـشَـرٌ صـافٍ ورَخْـصٌ مُـخَـضَّـبُ
فـلا تـذهـبُ الأحـسـاب مِـن عُـقْـرِ دارِنـا
ولـكـنَّ أشـبـاحـاً مـن الـمـالِ تَـذهـبُ.

كان يسمى «المحبر» لحسن شعره. قيل إنه مات نحو ٦١٠م.

٣ ـ الغارة

. . . وغـارةٍ كـجـراد الـرِّيـحِ، زعـزعـهـا
مِخراقُ حربٍ، كنصل السَّيفِ، مَسْلولُ
. . . بِساهِـمِ الـوجـهِ لـم تُقْـطَـعْ أباجِلُه
يُـصـانُ، وهْـو لـيـومِ الـرَّوْعِ مـبـذولُ.

سُليك بن السُّلَكة السَّعدي

١ ـ الممنَّعة

يَـعـافُ وصـالَ ذاتِ الـبـذل قـلـبـي
وأَتَّـبـعُ الـمـمـنَّـعـةَ الـنُّـوارا.

٢ ـ شيب

أَشَـابَ الـرّأسَ أَنّـيَ، كـلَّ يـومٍ
أرَى لـي خـالـةً وسَـط الـرّجـالِ
يَـشُـقّ عَـلـيَّ أن يَـلْـقَـيْـنَ ضَـيْـمـاً
ويـعـجـزُ عـن تَـخُـلِّـصّـهـنَّ مـالـي.

كان أسود (أمه سوداء حبشية). من الصعاليك العدائين الفاتكين. مات في أوائل القرن السابع الميلادي.

٣ ـ حَتّى

وَما نِلتُها حَتّى تَصعلَكْتُ حِقْبةً
وكُدْتُ، لأسباب المنيّةِ، أُعْرَفُ
وِحتّى رأيتُ الجوعَ بِالصّيف ضَرّني
إذا قمتُ تَغْشاني ظِلالٌ، فَأُسْدِفُ.

زهير بن أبي سلمى المزنيّ

١ ـ أفكار وصور

... فلمّا عرفتُ الدّارَ، قلتُ لِربْعِها
ألاَ انْعِمْ صباحاً، أيّها الرّبعُ وَاسْلَمِ
تَبصَّرْ خليلي، هَلْ تَرى مِن ظَعائنٍ
تَحمَّلْنَ بالعَلْياءِ مِن فَوْقِ جُرْثُمِ(*)
وَفيهنَّ مَلْهَى لِلَّطيفِ، ومنظَرٌ
أنيقٌ لِعيْنِ النّاظرِ المتوسِّمِ
بَكَرْنَ بكوراً واسْتَحرْنَ بِسُحْرَةٍ
فهنّ ووادي الرَّسِّ كاليدِ لَلفَمِ
كأنَّ فُتَاتَ العِهْنِ في كلّ منزلٍ
نَزلْنَ بهِ، حَبُّ الفَنَا لم يُحطَّمِ.
...

مات على الأرجح، نحو ٦٠٩م.

(*) العلياء: الأرض العالية. جرثم: موضع ماء.

ومـا الـحـرب إلاّ مـا عـلـمـتـم وذُقـتـمُ
وَمـا هُـوَ عـنـهـا بـالـحـديـث الـمُـرجَّـمِ
مَـتَـى تَـبـعـثُـوهـا، تَـبـعـثُـوهـا ذمـيـمـةً
وتَـضْـرَ، إذا ضَـرّيـتـمُـوهـا، فَـتَـضْـرَمِ
فَـتـعْـركُـكـمْ عَـرْكَ الـرَّحـى بـثِـفَـالِـهـا(*)
وتَـلْـقَـحْ كِـشَـافـاً(**) ثُـمّ تُـنْـتَـجْ فَـتُـتْـئِـمِ

...

سَـئـمـتُ تـكـالـيـفَ الـحـيـاةِ، ومَـن يَـعِـشْ
ثـمـانـيـن حـولاً، لا أَبـا لـكَ، يَـسْـأَمِ
رأيـتُ الـمـنـايـا خَـبْـطَ عَـشْـواءَ، مَـن تُـصِـبْ
تُـمِـتْـهُ، ومَـنْ تُـخْـطِـئْ، يُـعَـمَّـر فـيَـهْـرمِ
وأعـلـمُ مـا فـي الـيـوم والأَمْـسِ قـبـلـه
ولـكـنّـنـي عـن عِـلْـمِ مـا فـي غَـدٍ عَـمِ
ومَـنْ لـم يُـصَـانـعْ فـي أمـورٍ كـثـيـرةٍ
يـضَـرَّسْ بـأنـيـابٍ، ويُـوطَـأْ بـمـنْـسِـمِ(***)

(*) الثّفال: الجلد، أو الخِرْقة تكون تحت الرَّحى.

(**) تلقح كِشَافاً: تحمل في عامين متوالين.

(***) المنسِم: خُف البعير.

ومَن يَجعلِ المعروفَ من دون عِرْضهِ
يَضِرْهُ، ومَنْ لا يَتَّقِ الشْتْمَ يُشْتَمِ
ومَنْ يَكُ ذا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بفضلهِ
على قومهِ، يُسْتَغْنَ عنه وَيُذْمَمِ
ومَن لا يَذُدْ عن حوضهِ بسِلاحهِ
يُهَدَّمْ، ومَنْ لا يَظلمِ النّاسَ يُظْلَمِ
ومَنْ هابَ أسْبَاب المنايا يَنَلْنَهُ
ولو رَامَ أَسْبابَ السْماءِ بِسُلَّمِ
ومَنْ يَغْترِبْ يحسب عدوّاً صديقَهُ
ومَن لا يُكرّم نفسهُ لا يُكرّمِ
ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ
وإن خالَها تخفى على النّاسِ، تُعلَمِ.

٢ ـ الموعد الأخير

تزوَّدْ إلى يوم الممات فإنه
ولو كرهته النَّفس، آخر موعدِ.

٣ ـ صور وصفية

... وأبيضَ فَيّاضٍ، يداه غمامَةٌ
على مُعْتَفيهِ، ما تُغِبُّ فواضِلُهْ

أَخِي ثِقَةٍ لا تُتْلِفُ الخمرُ مالَهُ
ولكنّه قد يُهلِكُ المالَ نائِلُهْ
تراهُ إذا ما جئتهُ، متهلِّلاً
كأنَّك تعطيه الذي أنت سائِلُهْ.

٤ ـ رؤية

أراني، إذا ما بِتُّ، بِتُّ على هوىً
وأَنِّي، إذا أصبحتُ، أصبحتُ غاديا
إلى حفرةٍ أُهدى إليها، مُقيمةٍ
يحثُّ إليها سائِقٌ من ورائِيا.

٥ ـ صورة شخصية

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وجوهُها
وأَنْديةٌ ينتابُها القولُ والفِعلُ
وإن جئتَهم، أَلفيتَ حول بيوتهم
مجالِس قد يُشْفَى بأحلامها الجَهلُ.

٦ ـ سكارى

وقد أغدو على شَرْبٍ كِرامٍ
نَشاوى واجدينَ لما نَشاءُ

لـــــهـــــم راحٌ وراووقٌ ومِـــسْـــــكٌ
تُــعَــلُّ بِــهــا جــلــودُهُــم ومــاءُ
يــجــرُّون الــبــرودَ وقــد تَــمَــشَّــت
حُــمَــيَّــا الــكــأْسِ فــيــهــم والــغِــنــاءُ
تَــمــشَّــى بَــيــن قَــتْــلــى قــد أُصِــيــبَــتْ
نــفــوســهُــم، وَلــم تُــهْــرَق دمــاءُ.

٧ ـ احتمال

فَــقِــرِّي فــي بــلادكِ ـ إنَّ قَــومــاً
مــتــى يَــدَعُــوا بــلادهُــمُ يــهُــونُــوا.

٨ ـ ضفادع

... يُحيل في جَدولٍ تحبو ضفادِعهُ
حَبْوَ الجواري، تَرَى في مائهِ نُطُقَا(*)
يَخرجْنَ مِن شَرَباتٍ ماؤها طَحِلٌ
على الجُذوعِ يَخَفْنَ الغَمَّ والغَرَقَا.

(*) النّطُق: تموّجات الماء.

٩ ـ رجل (هَرِم بن سِنان)

. . . وذاك أَحـزمـهـم رأيـاً، إذا نَـبـأٌ
من الـحـوادثِ غَـادَى الـنّـاسَ أو طَـرقَـا
فَـضْـلَ الـجـيادِ عـلـى الـخَـيْـلِ الـبـطاءِ فـلا
يُـعـطـي بـذلـك مـمـنـونـاً ولا نَـزِقَـا
إِنْ تَـلْـقَ يـومـاً عـلـى عِـلاّتـهِ هَـرِمـاً
تَـلْـقَ الـسَّـمـاحـةَ مـنـه والـنَّـدى خُـلُـقَـا
هـذا، ولـيـس كـمـن يَـعـيـا بـخـطّـتـهِ
وَسْـطَ الـنّـديّ إذا مـا نـاطِـقٌ نَـطـقَـا
لـو نـالَ حـيٌّ مـن الـدّنـيـا بـمـنـزلـةٍ
وَسْـطَ الـسَّـمـاءِ، لـنـالـت كـفُّـه الأُفـقَـا.

الحصين بن الْحُمام المرِّي

١ ـ شعر

وقـــافـــيـــةٍ غـــيـــر إنْـــســـيَّـــةٍ
قَـــرضْـــتُ مـــن الـــشـــعـــر أمـــثـــالَـــهـــا
شَـــرودٍ، تَـــلـــمَّـــعُ بـــالـــخـــافِـــقـــيْـــنِ،
إذا أُنـــشِـــدتْ، قـــيـــلَ: مَـــن قـــالَـــهـــا؟

٢ ـ صورة شخصية

. . . فـلـسـتُ بـمـبـتـاعِ الـحـيـاة بـذلَّـةٍ
ولا مُـرْتَـقٍ مِـن خـشـيـة الـمـوت سُـلَّـمـا،
تـأخَّـرتُ أَسْـتـبـقـي الـحـيـاةَ فـلـم أَجِـد
لِـنـفـسـي حـيـاةً مـثـلَ أن أَتـقـدَّمـا.

يُعدّ من أوفياء العرب. وكان يقال له: «مانع الضيم». مات نحو ٦١٢م.

موسى بن جابر الحنفي

محالفة السيوف

ولـمَّـا نَـأَتْ عَـنَّـا الـعـشـيـرة كـلُّـهـا
أَنَـخْـنـا، فـحـالَـفْـنـا الـسُّـيـوفَ عـلـى الـدَّهـرِ
فـمـا أَسْـلَـمـتْـنـا عـنـد يـوم كـريـهـةٍ
ولا نـحـنُ أَغـضـيـنـا الـجـفـونَ عـلـى وِتْـرِ.

جاء في «معجم الشعراء» للمرزباني، أنه جاهلي نصراني، يلقب «أزيرق اليمامة»، ويعرف بـ «ابن ليلى».

كَعْب بن سعد الغَنَوِيّ

١ ـ صورة شخصية

. . . أراكَ امْرَأً ترمي بنفسِكَ عامِداً
مراميَ تَغْتال الرِّجالَ بِغُولِ
ومَن لم يَزَلْ يُرجى بغيبٍ إيابُه
يجوبُ ويَغْشى هَوْلَ كلِّ سبيلِ.

. . . أَلم تَعلمي أَنْ لا يُراخي منيَّتي
قُعودي، ولا يُدني الوفاةَ رحيلي،
فإنّك والموتُ الذي ترهبينَه
عليَّ، وما عَذَّالَةٌ بِعَقُولِ
كداعي هَديلٍ لا يُجابُ إذا دعا
ولا هو يَسلُو عن دعاء هَديلِ. . .

يسمى «كعب الأمثال» لكثرة ما في شعره من الأمثال. مات نحو ٦١٢م.

وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه عفافةً

لأُوثِرَ في زادي عليَّ أكيلي

وشخصٍ دَرأتُ الشمسَ عنه براحتي

لأَنظرَ قبل اللَّيلِ أين نُزُولي

... وعوراءَ قد قِيلتْ فلم أَسْتمع لها

وما الكِلْمَةُ العوراءُ لي بقَبولِ

ولن يلبث الجهَّالُ أن يتهضَّموا

أخا الحِلْم، ما لم يَسْتَعن بجهولِ

ولستُ بِمُبْدٍ للرِّجال سريرتي

وما أنا عن أسرارهم بِسَؤُولِ

ولستُ بلاقي المرء أزعم أَنَّه

خليلٌ وما قلبي له بخليلِ.

٢ ـ مرثية أخ

... أَخٌ كان يَكفيني وكان يُعينني

على نائباتِ الدَّهر حين تَنُوبُ

فلو كان مَيْتٌ يُفتدى لَفديتُه

بما لم تكن عنه النُّفوسُ تطيبُ،

أَخي ما أخي ـ لا فاحِشٌ عند بيتِه
ولا وَرَعٌ عند اللِّقاءِ هيوبُ
حليف النَّدى، يدعو النَّدى فيجيبهُ
سريعاً، ويدعوه النَّدى فيُجيبُ
أخو شَتَواتٍ، يعلم الحَيُّ أنه
سَيكثرُ ما في قِدْرِهِ ويطيبُ.

... كأنَّ بيوت الحيِّ ما لم يكن بها
بَسابِسُ قُفْرٌ ما بِهِنَّ عَريبُ
كعاليةِ الرُّمح الرُّدينيِّ لم يكن
إذا ابتدرَ الخيلَ الرِّجالُ، يخيبُ.
إذا قَصَّرت أيدي الرِّجال عنِ العُلى
تناول أقصى المكرماتِ شبيبُ.

غَنينا بخيرٍ حقبةً ثمَّ جَلَّحتْ
علينا التي كلَّ الأَنام تُصيبُ
فأبقت قليلاً ذاهباً وتجهَّزتْ
لآخِرَ، والراجي الحياةَ كذوبُ

وأعـلـم أَنَّ الـبـاقـيَ الـحـيَّ مـنـهـمُ
إلـى أَجَـلٍ أَقْـصـى مـداه قـريـبُ
لـقـد أَفْـسـدَ الـمـوتُ الـحـيـاةَ وقـد أتـى
عـلـى يـومـهِ، عِـلْـقٌ عـلـيَّ حـبـيـبُ.

صَخْر بن الشَّريد

الأم والزوجة

أرى أُمَّ صَـخْـرٍ مـا تـجـفُّ دمـوعُـهـا
ومـلَّـت سُـلـيـمـى مَـضْجَـعـي ومـكـانـي

ومـا كـنـتُ أخـشـى أن أكـونَ جِـنـازةً
عـلـيـكِ، ومـن يـغـتَـرُّ بـالـحَـدَثـانِ

فـأيّ امـرىءٍ سـاوى بـأُمٍّ حـلـيـلـةً
فـلا عـاش إلاَّ فـي شَـقـاً وهـوانِ

أهـمُّ بـأمْـرِ الـحـزْم لـو أَسْـتَـطـيـعُـه
وقـد حِـيـلَ بـيـن الـعَـيْـرِ والـنَّـزَوانِ

لَـعـمـري، لـقـد أيـقـظْـتُ من كـان نـائِـمـاً
وأسـمـعـتُ مَـن كـانـت لـه أُذُنـانِ.

هو أخو الخنساء. خرج في إحدى غزواته فمرض وطال مرضه. وكان قومه إذا سألوا امرأته سلمى عنه أجابت: «لا هو حي فيرجى، ولا ميت فينسى». وكان يسمعها، بينما كانت أمه تجيب: «أصبح سالماً بنعمة اللَّه». وقيل إنه حين شفي علق امرأته بعود حتى ماتت. مات نحو ٦١٣م.

عروة بن الورد العبسيّ

١ ـ صورة شخصية

... وسـائلـةٍ أيـن الـرَّحـيـلُ، وسـائـلٍ
ومـن يـسـأل الـصّـعـلـوك أيـن مـذاهِـبُـهْ
مَــذاهِــبُــهُ أنَّ الــفِــجــاجَ عــريــضــةٌ
إذا ضَــنَّ عــنــه بــالــفــعــالِ أقــارِبُــهْ،
فـلا أتـركُ الإِخـوانَ، مـا عـشـتُ، لـلِـرَّدى
كـمـا أنَّـه لا يـتـرك الـمـاء شـارِبُـهْ.

٢ ـ علم

وقـد عَـلِـمـت سُـلـيـمـى أَنّ رَأْيـي
ورأيَ الـبُـخْـلِ مُـخـتـلِـفٌ شَـتِـيـتُ
وأَنّــي لا يُــريــنــي الــبُــخْــلَ رأيٌ
سَــواءٌ إن عَــطِــشْــتُ وإنْ رَوِيــتُ

يلقب عروة الصعاليك، لأنه كان يجمعهم ويطعمهم ويتدبر أمورهم حين يخفقون في غزواتهم. يلقب أيضاً، «مانع الضيم». توفي مقتولاً في بعض غاراته حوالى ٥٩٤م وقيل ٦١٦م.

وَأُكْـفَـى مـا عـلـمـتُ بـفـضْـل عِـلْـمٍ
وأســألُ ذا الــبـيَــانِ، إذَا عَــمِــيــتُ.

٣ ـ شحوب الحق

أتــهــزأ مــنِّــي أن ســمــنــتَ وأن تــرى
بوجهي شحوبَ الحقِّ، والحقّ جاهِدُ ـ
وإنــي امْــرؤٌ عــافــي إنــائِــيَ شِــرْكَــةٌ
وأنــتَ امْــرؤٌ عــافــي إنــائِــكَ واحــدُ
أُقَــسِّــمُ جــســمــي فــي جــســومٍ كــثــيــرةٍ
وأحــســو قَــراحَ الــمــاء والــمــاءُ بــارِدُ.

٤ ـ إذا قيل

إذا قِـيـل يَـابْـنَ الـوَرْدِ: أَقْـدِمْ إلـى الـوغـى
أجـبْـتُ، فـلاقَـانـي كَـمِـيٌّ مُـقَـارِعُ
بِـكـفّـي مِـنَ الـمـأثـور كـالـمـلـح لـونـه
حـديـثٌ بـإخـلاص الـذكُـورة قـاطِـعُ
فـلا أنـا مِـمّـا جـرّت الـحـربُ مُـشْـتَـكٍ
ولا أنَـا مِـمّـا أحـدثَ الـدّهـرُ جـازِعُ.

٥ ـ الجبان والبطل

... ذَريني أُطوِّفْ في البلادِ، لعلَّني
أُخلّيكِ، أو أُغنيكِ عن سوء مَحْضَري
فَإن فازَ سَهْمٌ للمنيّةِ لم أكن
جَزُوعاً، وهل عن ذاكَ مِن مُتَأَخَّرِ؟
وإن فَازَ سَهْمي كَفّكمْ عن مقاعدٍ
لكم، خلف أدبار البيوتِ، ومَنْظَرِ.

...

لحَى اللّه صُعلوكاً، إذا جُنّ ليلهُ
مُصافِي المُشَاشِ(*)، آلِفاً كلّ مَجْزَرِ
... يعدُّ الغنى من دهرهِ كلّ ليلةٍ
أصابَ قِراها من صديقٍ مُيَسَّرِ
ينامُ عشاءً ثمَّ يُصبح طاوياً
يَحُتُّ الحصى عن جَنبهِ المتعفِّرِ
قليل التماس الزَّادِ، إلاَّ لنفسهِ
إذا هو أمسى كالعريشِ المجوَّرِ

(*) المُشَاش: رؤوس العظام اللّينة.

يُعين نساء الحَيِّ ما يَسْتَعِنَّه

فَيُمسي طليحاً كالبعير المُحسَّرِ.

ولكنَّ صعلوكاً صحيفةُ وجههِ

كضوء شهاب القابسِ المتنوِّرِ

... فذلك إن يَلْقَ المنيَّةَ يَلْقَها

حميداً، وإن يَسْتَغْنِ يوماً، فَأَجْدِرِ.

٦ ـ هُم

هُمُ عَيَّروني أنّ أمّي غريبةٌ

وهل في كريمٍ ماجدٍ مَا يُعيَّرُ؟

وقد عيّروني المال حين جمعتهُ

وقد عيّروني الفقرَ، إذْ أنا مُقْتِرُ

ولا أنتمي إلا لجارٍ مُجاورٍ

فما آخِرُ العيش الذي أَتنظَّرُ؟

٧ ـ ومن يك مثلي

وَمَن يَكُ مثلي ذا عيالٍ ومُقتِراً

مِنَ المالِ، يَطْرحْ نفسَه كلَّ مَطْرحِ

لِيبلغَ عذراً أو يُصيبَ رغيبةً
ومُبلغُ نَفْسٍ عذرَها مثلُ مُنْجِحِ.

٨ ـ الغنى والفقر

دَعيني للْغنى أسعى فإنِّي
رأيتُ النَّاسَ شرُّهُمُ الفقيرُ
ويُقْصيهِ النَّدِيُّ وتزدريهِ
حليلتُه، ويَنْهرُه الصَّغيرُ،
ويُلفَى ذو الغنى وله جلالٌ
يَكادُ فؤَادُ صاحبهِ يطيرُ
قليلٌ ذنبهُ، والذَّنب جَمٌّ
ولكن للغنى رَبٌّ غَفورُ.

٩ ـ أم حسان

أرى أُمَّ حسَّانَ الغَداة تلومُني
تخوِّفني الأعداءَ، والنَّفسُ أَخْوَفُ
لَعلَّ الذي خوِّفتِنا من أمامِنا
يُصادِفهُ في أهلهِ المتخلِّفُ،

إذا قلتُ قد جاءَ الغنى حال دونَهُ
أبو صِبْيَةٍ يشكو المفاقِرَ، أعجفُ...

١٠ ـ أقاويل

تقولُ: ألا أَقْصِرْ مِن الغَزْو واشْتكَى
لها القولَ طَرْفٌ أحور العَيْنِ دامِعُ
ويدعونني كهلاً، وقد عشتُ حِقْبةً
وهُنّ عن الأَزْواج نحوي نَوازِعُ
فما شاب رأسي من سنينٍ تتابعَتْ
طِوالٍ، ولكن شَيّبتْهُ الوقائعُ.

١١ ـ دعيني أطوف(*)

دَعيني أُطَوِّف في البلاد لَعلَّني
أُفيد غِنىً فيه لذي الحقِّ محملُ،
أليس عظيماً أن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ
وليس علينا في الحقوقِ مُعوَّلُ؟
فَإن نحن لم نملك دفاعاً بحادثٍ
تُلِمُّ به الأَيَّام، فالموتُ أجملُ.

(*) في رواية أن الأبيات رقم ٧ تنسب ليزيد بن خذاق العبدي.

١٢ ـ صورة شخصية

بُنيتُ على خُلْقِ الرِّجالِ بأعظمٍ
خِفافٍ تثَنَّى تحتهنَّ المفاصِلُ
وقَلْبٍ جلا عنه الشُّكوكَ، فَإن تَشَأْ
يُخبِّرْكَ ظهرَ الغيبِ ما أنتَ فاعلُ.

١٣ ـ تراث

وذي أَمَلٍ يرجو تراثي وإنَّ ما
يصير له منه، غداً، لقليلُ
ومالِيَ مالٌ غير درعٍ، ومِغْفَرٌ
وأبيضُ مِن ماء الحديدِ صقيلُ.

١٤ ـ سأم

أليسَ ورَائي أن أَدِبَّ على العَصَا
فيَشْمتَ أعدائي، ويَسْأَمَني أهلي؟
لعلّ انطلاقي في البلادِ وبغيتي
وشَدّي حيازيمَ المطيّةِ بالرّحْلِ
سيدفعني يوماً إلى ربِّ هجمةٍ
يُدافع عنها بالعقوقِ وبالبُخْلِ.

وَرْد الجَعْدِيّ

وردية النجد

إذا تُـرِكـتْ وَرْدِيَّـةُ الـنَّـجـدِ، لـم يـكـن
لِـعـيـنـيـكَ مـمـا يـشـكـوانِ طَـبـيـبُ
وإنِّـي لأَخْـشـى أن يـعـودَ عـلـيـهـمـا
قَـذىً كـان فـي جَـفْـنَـيـهـمـا وغُـروبُ
وكـانـت رِيـاح الـشَّـامِ تُـبْـغَـضُ مَـرَّةً
فـقـد جـعـلَـت تـلـك الـرِّيـاحُ تَـطـيـبُ،

كـأَنَّ فـؤادي كـلَّـمـا خـفـتُ روعـةً
مِـن الـبَـيْـنِ بـازٍ، مـا يـزالُ، ضَـروبُ
سَـمـا بـالـخَـوافـي واسْـتَـمـرّ بـسـاقـهِ
عـلـى الـصَّـيْـد سَـيْـرٌ بـالأُكُـفِّ نَـشـوبُ.

يكنى «الوقاف». جاهلي. لا ترجمة له.

أوس بن حجر

١ ـ السحاب(*)

يـا مَـن لِـبَـرْقٍ أبـيـتُ الـلَّـيـلَ أرقـبـهُ
فـي عـارضٍ كـمُـضـيءِ الـصُّـبْـحِ لَـمَّـاحِ
دانٍ مُـسِـفٍّ فـويـقَ الأَرضِ هَـيْـدَبُـهُ
يـكـادُ يـدفـعـهُ مَـن قـام، بـالـرّاحِ.

٢ ـ دفاع عن الجبن(**)

... ولـمَّـا دَخـلْـنـا تـحـت فَـيْءِ رمـاحـهـم
خَبطْتُ بِكفِّي، أطلب الأَرض باللَّمسِ
ولـيـس يُـعـابُ الـمرءُ مـن جـبْـنِ يـومـهِ
وقـد عُـرِفـت مـنـه الـشَّـجـاعـة بـالأمـسِ.

مات نحو ٦٢٠م.

(*) ينسب أيضاً هذان البيتان لعبيد بن الأبرص الأسدي.

(**) ينسبان أيضاً لعمرو بن معد يكرب، ولعبد اللّه بن عنقاء الجهمي.

٣ ـ شعراء

وقد رامَ بَحْري، بعد ذلك طامِياً
مِنَ الشُّعراءِ كلُّ عَوْدٍ ومُقْحَمِ
ففَاؤُوا، ولو أَسْطُو على أمّ بعضهم
أَصَاخَ فلم يُنصِتْ ولم يتكلَّمِ.

٤ ـ الألمعيّ

... ألأَلمعيّ الذي يظنُّ لك الظنَّ
كَأَنْ قد رَأى وقد سَمِعا.
أَوْدَى، وهل تنفعُ الإشاحَةُ مِنْ
شيءٍ لِمن قد يُحاوِلُ البِدَعا؟

٥ ـ ليلة

جُدِلْتُ على ليلةٍ ساهِرَهْ
بصحراءِ شَرْجٍ إلى ناظِرَهْ
تُزَاد ليالِيَّ في طُولِها
فليست بِطَلْقٍ ولا ساكِرَهْ
أَنوءُ بِرِجْلٍ بها ذِهْنُها
وأعيت بها أختها الغَابِرَهْ.

٦ ـ صعود الجبل

. . . فَأَشْرطَ فيها نفسهُ وهو مُعْصِمٌ
وألقى بأسْبابٍ له وتوكَّلا
وقد أكلت أظفارهُ الصَّخر كلَّما
تَعَيَّا عليه طول مَرْقىً، تَسَّهلا
فما زال حتى نالها وهو مُعصِمٌ
على موطنٍ لو زَلَّ عنه، تَفَصَّلا.

٧ ـ لهو

وقد أنتحي للجهل يوماً وتَنْتحي
ظعائِنُ لَهْوٍ، وُدّهُنَّ مُسَاعِفُ
نَواعِمُ ما يَضْحكن إِلاّ تبسّماً
إلى اللّهو قد مالَتْ بِهنّ السَّوالِفُ.

٨ ـ الكتابة بالماء

سأرقمُ بالماء القُراح إليكمُ
على نأيكم، إن كان للماء راقِمُ.

٩ ـ دار الحزم

أقـيـم بـدار الـحَـزْمِ مـا دامَ حـزمُـهـا
وأَحْـرِ، إذا حـالَـتْ، بـأن أَتـحـوَّلا
وأسـتـبـدلُ الأمـرَ الـقـويَّ بـغـيـرهِ
إذا عَـقْـدُ مـأفـونِ الـرّجـالِ تـحـلَّـلا.

١٠ ـ الغد

ولـسـتُ بِـخـابـئٍ أبـداً طـعـامـاً
حِـذارَ غَـدٍ، لـكـلّ غَـدٍ طَـعـامُ.

قيس بن الخطيم الأَوْسيّ

١ ـ صورة شخصية

وكنتُ امْرَأً لا أسمعُ الدَّهرَ سُبَّةً
أُسَبُّ بها، إلاَّ كشَفْتُ غطاءَها

فإِنِّيَ في الحرب الضّرُوسِ موكَّلٌ
بإقدامِ نَفْسٍ ما أُريدُ بقاءَها

إذا سَقِمتْ نفسي إلى ذي عداوةٍ
فإنِّي بِنَصْلِ السَّيفِ باغٍ دواءَها

متى يَأْتِ هذا الموت لا تَبْقَ حاجَةٌ
لِنفسيَ إلاَّ قد قضيْتُ قَضاءَها.

٢ ـ عصر السُّوء

أرَى كثرةَ المعروفِ يُورِثُ أَهْلهُ
وسَوَّد عصرُ السُّوءِ غَيْرَ المُسَوّدِ

بقي على جاهليته ولم يسلم. أسلمت امرأته فكان يصدها ويعبث بها، ويأتيها وهي ساجدة فيقلبها على رأسها. مات نحو ٦٢٠م.

وَإِنّي لأَغنى النّاسِ عن مُتكلِّفٍ

يرَى النّاس ضُلاَّلاً وليس بِمُهْتَدِ

كثير المُنَى بالزّادِ لا خير عنده

إذا جاعَ يوماً يَشتكيه ضُحَى الغَدِ

مَتى ما تَقُدْ بالباطلِ الحقَّ يَأْبَهُ

وإن قُدت بالحق الرَّواسِيَ تَنْقَدِ.

٣ ـ امرأة

تبدَّت لنا كالشَّمس تحت غمامةٍ

بدا حاجِبٌ منها وضنَّت بِحاجِبِ،

... وكنتُ امرأً لا أبعث الحربَ ظالماً

فلمَّا أبوا، أَشْعلتُها كلَّ جانِبِ

... رِجالٌ متى يُدْعوا إلى الموت يُرْقِلوا

إليه كَإرقالِ الجِمالِ المَصاعبِ

إذا فَزِعوا مدُّوا إلى الليلِ صارِخاً

كموج الأتِيِّ المُزْبدِ المتراكبِ،

أُجالدهم، يوم الحديقةِ، حاسِراً

كأنَّ يدي بالسَّيف مِخراق لاعبِ.

ولـمَّـا هَـبـطْـنـا الـحـرْثَ، قـال أمـيـرُنـا:

حَـرامٌ عـلـيـنـا الـخـمـرُ مـا لـم نُـضـاربِ

فـــســـامَـــحـــهُ مِـــنَّـــا رِجـــالٌ أعـــزَّةٌ

فـمـا بَـرِحـوا حـتـى أُحِـلّـت لِـشـاربِ.

رضـيـتُ لِـعـوفٍ أن تـقـول نـسـاؤُهـم

ويَـهـزأنَ منهـم: لـيـتَـنـا لـم نُـحـاربِ...

٤ ـ بنو الأوس

إنَّ بَـــنـــي الأَوْسِ، حـــيـــن تَـــسْـــتَـــعِـــرُ

الـحـربُ، لَـكَـالـنَّـارِ تـأكـلُ الـحـطَـبـا

قـالـت بـنـو الأوس مِـن عَـفـافِـهِـمُ:

مُـــرُّوا ولا تـــأخـــذوا لـــهـــم سَـــلَـــبـــا.

٥ ـ وصل

إِذَا قَـصُـرَت أَسْـيـافُـنـا كـانَ وَصْـلُـهـا

خُـطـانـا إلـى أعـدائِـنـا، فَـنُـضـارِبُ.

٦ ـ فارس

أبـــلـــجُ لا يـــهـــمُّ بـــالـــفـــرارِ ـ
قـــد طـــابَ نـــفـــســـاً بـــدخـــولِ الـــنَّـــارِ.

٧ ـ عَمْرة

. . . فـإن تُـمْـسِ، شـطَّـت بـهـا دارُهـا
وبـــاح لـــك الـــيـــوم هِـــجْـــرانُـــهـــا
فـــمـــا روضَـــةٌ مِـــن ريـــاض الـــقَـــطـــا
كـــأنَّ الـــمـــصـــابـــيـــحَ حَـــوْذَانُـــهـــا
بـــأحـــســـنَ مـــنـــهـــا، ولا مُـــزْنَـــةٌ
دَلُـــوحٌ تـــكـــشَّـــفَ إدجـــانُـــهـــا
وعَـــمْـــرَةُ مِـــن سَـــروَاتِ الـــنِّـــســـاءِ
تَـــنْـــضَـــحُ بـــالـــمِـــسْـــكِ أَرْدانُـــهـــا.

٨ ـ امرأة

تَـــغْـــتَـــرِقُ الـــطَّـــرْفَ وهـــيَ لاهِـــيَـــةٌ
كـــأنَّـــمـــا شَـــفَّ وجـــهَـــهَـــا نُـــزُفُ،
تـــنـــامُ عـــن كـــبْـــرِ شـــأنِـــهـــا فـــإذا
قـــامـــت رويـــداً، تـــكـــادُ تَـــنْـــغَـــرِفُ

حَوْراءُ جَيْداء يُسْتَضاء بِها
كأَنَّها خُوطُ بانةٍ قَصِفُ،
ولا يَغِثُّ الحديث ما نَطقت
وهْو بِفيها ذو لَذَّةٍ طَرِفُ
تخزُنه وهو مُشْتَهى حَسَنٌ
وَهْو إذا ما تَكلَّمت أُنُفُ،
كأنَّها دُرَّةٌ أحاط بها الغَوَّاصُ
يَجلو عن وَجْهِها الصَّدَفُ.

٩ ـ صورة وصفية

مَعاقِلُهم آجامُهم ونساؤُهم
وأَيْمانُنا بالمَشْرفيَّةِ، مَعْقِلُ.

١٠ ـ فروسيّة

أمرُّ على الباغي فيغلظُ جانبي
وذو القَصْدِ أَحْلَوْلِي لَهُ وأَلِينُ.

١١ ـ الفقر والغنى

وكلّ شديدةٍ نزلت بحيٍّ
سيأتي بعد شدّتها رخاءُ

فـقـل لِـلـمـتّـقـي عـرَضَ الـمـنَـايَـا:

تَــوَقَّ، ولــيــس يــنــفــعــكَ اتّــقــاءُ

فـلا يُـعـطـى الـحـريـصُ غِـنـىً لـحِـرْصٍ

وقــد يُــنْــمَــى لــذي الـعَـجْـزِ الـثَّـراءُ

غـنـيّ الـنّـفـس مـا اسْـتـغـنـى غـنِـيٌّ

وفـقـر الـنّـفـس، مـا عَـمُـرت شـقـاءُ

ومــا بــعــض الإقــامــة فــي ديــارٍ

يــكــون بــهــا الــفــتــى إلاّ عــنَــاءُ

ولــم أرَ كــامــرئٍ يــدنــو لِــخــسْــفٍ

لــه فــي الأرض سَــيْــرٌ وانْــتِــواءُ

وبــعــضُ خــلائــق الأقــوام داءٌ

كـداء الـكـشـحِ لـيـس لـه شِـفَـاءُ.

مَنظور بن سُحَيْم

هجاء زوجة

ذهبْتُ إلى الشَّيْطانِ أخطبُ بنتَهُ
فأَوْقَعها من شقْوَتي في حِباليا
فأَنْقَذني منها حِماري وجُبَّتي
جَزى اللَّه خيراً جُبَّتي وحِماريا.

... وعِرْضِيَ أبْقى ما ادَّخرتُ ذَخِيرةً
وبَطْنِيَ أَطْويهِ كطَيِّ ردائيا.

حلق شعر امرأته فشكته إلى الوالي فاعتقله وجلده، وكان له حمار وجبة فقدمهما له، فأطلق سراحه. مات في الربع الأول من القرن السابع الميلادي.

عمرو بن قنْعاس المراديّ

استباق الموت

... وكـــنـــتُ إذا أرى زِقّـــاً مـــريـــضـــاً
يُـــنـــاح عـــلـــى جِـــنـــازتِـــه بـــكـــيـــتُ،
وغـــصـــنٍ لـــيـــسَ مـــن شَـــجَـــرٍ رطـــيـــبٍ
هـــصـــرتُ إلـــيَّ مـــنـــه، فـــاجـــتـــنـــيْـــتُ
ومـــــاءٍ لـــــيـــــس مـــــن عِـــــدٍّ روَاءٍ
ولا مـــاء الـــسَّـــمـــاءِ، قـــد اســـتـــقـــيْـــتُ
ولـــحـــمٍ لـــم يـــذقـــه الـــنَّـــاس قـــبـــلـــي
أكـــلـــتُ عـــلـــى خَـــلاءٍ وانـــتـــقـــيْـــتُ
ونـــــارٍ أُوقِـــــدت مـــــن غـــــيـــــر زَنْـــــدٍ
أثـــرتُ جـــحـــيـــمـــهـــا ثـــم اصـــطـــلـــيـــتُ،
... مَـــتـــى مـــا يـــأتِـــنـــي أَجَـــلـــي يَـــجـــذْنـــي
شـــبـــعـــتُ مـــن الـــلَّـــذاذةِ واشـــتـــفَـــيْـــتُ.

ذكره المرزباني في معجمه باسم عمرو بن قعاس (بحذف النون) المرادي وقال إنه جاهلي.

الرَّبيع بن ضَبُع الفَزارِيّ

مرثية الشباب

فــــارقَــــنــــا قــــبــــل أن نُــــفــــارِقَــــه
لــمَّــا قَــضــى مِــن جِــمــاعِــنــا وطَــرا،
أصــبــحْــتُ لا أحــمــلُ الــسِّــلاح ولا
أمــلــكُ رأس الــبــعــيــرِ إن نَــفَــرا
والــذِّئــبَ أخــشــاه إن مَــررْتُ بــهِ
وحــدي، وأخــشــى الــرّيــاحَ والــمــطَــرا.

من الشعراء الفرسان. مات نحو ٦٢٥م.

أميَّة بن أبي الصَّلْت الثَّقفيّ

١ ـ صورة وصفية

أَأذكـرُ حَـاجَـتـي أم قـد كَـفـانـي
حـيـاؤكَ؟ إنّ شـيـمـتـكَ الـحـيـاءُ
كـريـمٌ، لا يُـغـيِّـرهُ صـبـاحٌ
عـن الـخُـلُـقِ الـسَّـنِـيّ ولا مَـسـاءُ.
فـأرضـكَ، كـلّ مَـكْـرُمـةٍ بَـنَـتْـهـا
بـنـو تَـيْـمٍ وأنـتَ لـهـا سـمَـاءُ.

٢ ـ سفينة نوح

... بـمـا حَـمَـلَـتْ سَـفـيـنـتُـه، وأَنْـجَـتْ
غَـداةَ أَتَـاهُـمُ الـمـوتُ الـقُـلابُ
عَـشِـيَّـةَ أرسـلَ الـطُّـوفـان، تـجـري
وفـاض الـمـاءُ ـ لـيـس لـه جِـرابُ،

يروى أنه كان «يطمع بالنبوة»، وأنه لما بلغه ظهور النبي «اغتاظ وتأسف» قال وهو يموت: «أعلم أن الحنيفية حق، ولكن الشك يداخلني في محمد». مات نحو ٦٢٨م = ٥هـ.

عـلـى أَمْـواجِ أَخْـضَـرَ ذي حَـبـيـكٍ
كـأَنَّ سُـعـار زاخـرهِ الـهِـضـابُ
وأُرْسِـلـت الـحَـمـامَـةُ بـعـد سَـبْـعٍ
تَـدلُّ عـلـى الـمـهـالـكِ، لا تَـهـابُ
... وأَغْـلاقُ الـكـواكـبِ مُـرْسـلاتٌ
تَـرَدَّدُ، والـريِّـاحُ لـهـا رِكـابُ.

٣ ـ الشمس

والـشَّـمـس تـطـلـعُ كـلَّ آخـر لـيـلـةٍ
حَـمْـراء، مـطـلـع لـونـهـا مـتـورِّدُ
تَـأبـى، فـلا تـبـدو لـنـا في رِسْـلِـهـا
إلاَّ مُـعَـذّبـةً، وإلاَّ تُـجْـلَـدُ.

٤ ـ الأرض

هـيَ الـقـرارُ، فـمـا نَـبْـغـي لـهـا بَـدَلاً
مـا أَرْحَـمَ الأَرضَ، إلاَّ أَنَّـنـا كُـفُـرُ.

٥ ـ عصافير

فَـإِن تَـسْـأَلـيـنـا: كـيـف نَـحـنُ؟ فـإنـنـا
عَـصـافـيـرُ مِـن هـذا الأَنـامِ الـمـسَـحَّـرِ.

٦ ـ مريم

... فلا هِيَ هَمَّتْ بالنِّكاحِ ولا دَنَتْ
إلى بَشَرٍ منها بفرْجٍ ولا فَمِ ـ
وقالت له: أنّى يكونُ، ولم أَكُنْ
بَغِيّاً، ولا حُبْلى ولا ذات قَيِّمِ؟
وقال لها مَنْ حولَها: جِئْتِ مُنْكراً
فَحَقٌّ بِأَنْ تُلْحَيْ عليهِ وتُرْجَمي
فأدركها مِن رَبِّها ثَمَّ رَحْمَةٌ
بِصدقِ حديثٍ مِن نبيٍّ مُكَلِّمِ ـ
فقال لها: إِنِّي مِنَ اللَّه آيَةٌ
وَعَلَّمني، واللَّه خَيرُ مُعلِّمِ
وأُرْسِلْتُ ـ لم أُرْسَلْ غَوِيّاً ولم أكنْ
شَقِيّاً، ولم أُبْعَثْ بِفحْشٍ ومأثَمِ.

٧ ـ إبراهيم

ـ «يا بُنَيّ إني نذرتُكَ لِلّه شَحِيطاً،
فاصْبِرْ، فِدىً لكَ حالي»
فأجابَ الغلامُ أن قالَ فيهِ:
«كلّ شيءٍ لِلّه غيرُ انتحالِ

أَبَــتــي، إنــنــي جــزيــتُــكَ بــالــلّــهِ
تَــقِــيّــاً بــه عــلــى كــلّ حــالِ
فَــاقْــضِ مــا قــد نَــذرْتَ لَــلّــه وَاكْــفُــفْ
عــن دمــي أن يَــمَــسَّــهُ سِــرْبَــالــي
وَاشْدُدِ الصَّفْدَ، لا أَحِيدُ عن السّكّينِ
حَــيْــدَ الأســيــرِ ذي الأغْــلالِ»
ـ «إنّــنــي آلَــمُ الــمَــحَــزَّ وإنّــي
لا أَمَــسُّ الأَذْقَــانَ ذاتَ الــسِّــبــالِ».
ولــه مُــديَــةٌ تَــخَــايَــلُ فــي الــلَّــحْــم
هُــذامٌ، حَــنِــيّــةٌ كــالــهــلالِ.
بــيــنــمــا يَــخْــلــعُ الــسَّــرابــيــلَ عــنــهُ
فَــكَّــهُ رَبُّــه بِــكــبْــشٍ جُــلالِ
قــال: «خُــذْهُ، وأَرْسِــلِ ابْــنــكَ، إنّــي
لِــلّــذي قــد فــعــلــتــمــا غــيــرُ قَــالِ».
والِــدٌ يَــتّــقِــي وآخَــرُ مــولــودٌ
فَــطــارَا مــنــه بِــسَــمْــعِ مَــقــالِ
ربّــمــا تــجــزعُ الــنّــفــوسُ مِــنَ الأَمْــر
لَــهُ فَــرْجَــةٌ كَــحَــلِّ الــعِــقَــالِ.

الأعشى الكبير

١ ـ الحب والسّفر

... فَلَئِن شَطَّ بي المزارُ لقد
أغدو قليلَ الهمومِ، ناعمَ بالِ

إذ هِيَ الهمُّ والحديث، وإذ تعَصي
إليَّ الأَميرَ ذا الأَقوالِ ـ

فَاذهبي ما إليكِ أدركني الحلم،
عَداني عن ذكركم أشغالي

... فوقَ ديمومةٍ تَغَوَّلُ بِالسَّفْرِ،
قفارٍ إلاَّ من الآجالِ.

٢ ـ الآخرون

سَأوصي بَصِيراً إن دنوتُ مِن البِلَى
وصَاةَ امرِئٍ قَاسَى الأمورَ وجَرَّبا

اسمه ميمون. نشأ راوية لخاله المسيب بن علس. طاف أنحاء الجزيرة العربية، مادحاً الملوك والأشراف. مات حوالى ٦٢٩م = ٧هـ.

بِأَنْ لا تَبغَّ الوُدَّ مِن مُتَباعِدٍ
ولا تَنْأَ عن ذي بِغْضَةٍ إن تَقَرَّبا
فإنّ القريبَ مَنْ يُقرِّب نفسه
لَعمرُ أبيك الخيرَ لا مَنْ تنسَّبا

. . .

وَرُبَّ بَقيعٍ لو هَتفْتُ بجوّهِ
أتَاني كريمٌ ينفض الرّأسَ مُغضَبا
أرَى رجلاً منكم أَسِيفاً كأنّما
يضمُّ إلى كَشْحَيْهِ كفّاً مُخضَّبا
وَما عنده مجدٌ تليدٌ ولا له
مِن الرّيح فَضْلٌ لا الجنوبُ ولا الصَّبا
وإنّي وما كَلّفتموني وربِّكم
لَيعلمُ من أَمْسَى أعقَّ وأَحْرَبا
لَكَالثَّورِ، والجِنِّيُّ يضربُ ظَهرهُ
وما ذنبهُ أَنْ عافَتِ(*) الماء مشربا

. . .

(*) الضمير عائد إلى قطيع البقر الذي يقوده الثور.

ومَن يُطعِ الواشين لا يتركوا لهُ
صديقاً وإن كان الحبيبَ المقرَّبا

. . .

علوتكمُ والشيب لم يَعْلُ مَفْرِقي
وهاديتمُوني الشّعر كهلاً مُجرَّبا.

٣ ـ خِطّة

. . . فَظللتُ أَرعاها، وظَلَّ يحوطها
حتى دنوتُ إذا الظَّلامُ دَنا لها
فرميتُ غفلةَ عينهِ عن شاتِه
فأصبْتُ حبَّةَ قلبِها، وطِحالَها
حَفِظ النَّهارَ وباتَ عنها غافِلاً
فَخلَت لصاحب لذَّةٍ وخلا لَها.

٤ ـ الحبيبة والتشرد

وَدِّع هُريرةَ، إنَّ الرَّكْب مرتحلُ
وهل تُطيق وداعاً، أيُّها الرَّجلُ؟
كأنَّ مِشْيَتها من بيتِ جارتِها
مَرُّ السَّحابةِ، لا رَيْثٌ ولا عجَلُ

يـكـاد يـصـرعُـهـا، لـولا تـشـدُّدهـا

إذا تـقـومُ إلـى جـاراتِـهـا، الـكـسَـلُ.

مـا روضَـةٌ مـن ريـاض الـحـزن مـعـشـبـةٌ

خـضـراء، جـاد عـلـيـهـا مُـسْـبِـلٌ هَـطِـلُ

يـضـاحـك الـشَّـمـس مـنـهـا كـوكـبٌ شَـرِقٌ

مُـؤَزَّرٌ بـعـمـيـمِ الـنّـبـتِ مُـكـتَـهِـلُ

يـومـاً، بـأطـيـبَ مـنـهـا نَـشْـرَ رائـحـةٍ

ولا بـأَحْـسَـنَ مـنـهـا، إذ دنـا الأُصُـلُ.

عُـلِّـقْـتُـهـا عَـرضـاً وَعُـلِّـقـت رجـلاً

غـيـري، وعُـلّـق أُخْـرى غـيـرَهـا الـرّجـلُ

وعُـلِّـقَـتْـهُ فـتـاةٌ مـا يُـحـاوِلـهـا

مِـن أهـلـهـا مَـيّـتٌ يَـهْـذِي بـهـا وَهِـلُ

... فـكـلـنـا مُـغْـرَمٌ يَـهـذي بـصـاحـبـهِ

نـاءٍ ودانٍ ومـخـبـولٌ ومُـخْـتَـبِـلُ.

قـالـت هـريـرة لـمَّـا جِـئـتُ زائـرَهـا

ويـلـي عـلـيـكَ وويـلـي مـنـكَ يـا رجـلُ

يـا مـن يـرى عـارِضـاً قَـدْ بِـتُّ أَرقـبُـهُ

كـأَنَّـمـا الـبـرق فـي حـافـاتـهِ الـشُّـعَـلُ

لـم يُـلْـهِـنـي الـلّـهـوُ عـنـه حـيـن أرقـبُـه
ولا الـلَّـذاذَةُ مِـن كـأسٍ ولا الـكـسَـلُ.

... وبَلْدةٍ مثل ظَهر التّرْسِ مُوحِشةٍ
لـلـجِـنِّ بـالـلَّـيـلِ فـي حـافـاتِـهـا زَجَـلُ
جـاوَزْتُـهـا بـطـلـيـحٍ جَـسْـرةٍ سُـرُحٍ
فـي مِـرْفَـقـيـهـا، إذا اسْـتَـعـرضـتَـهـا، فَـتَـلُ
وقـد أقـودُ الـصِّـبـا يـومـاً فَـيـتـبَـعُـنـي
وقـد يُـصـاحـبـنـي ذو الـشِّـرَّةِ الـغَـزِلُ
... في فِتْيةٍ كسيوف الهند قد عَلموا
أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيلُ
نـازَعْـتُـهـم قُـضُـبَ الـرّيـحـان مُـتَّـكَـأً
وقـهـوةً مُـزَّةً راووقُـهـا خَـضِـلُ
لا يَـسْـتَـفـيـقـونَ مـنـهـا، وهْـي راهِـنـةٌ،
إلاَّ بِـهـاتِ، وإن عـلُّـوا وإن نَـهِـلُـوا.
... لأَعْـرِفَـنَّـكَ إن جَـدَّ الـنَّـفـيـرُ بـنـا
وشُبَّتِ الحَرْبُ بالطُّوَّافِ واحتملوا،
كـنـاطـحٍ صـخـرةً يـومـاً لِـيَـفـلِـقَـهـا
فـلـم يَـضِـرْهـا وَأَوْهـى قَـرْنَـهُ الـوَعِـلُ.

... قالوا: الرُّكوبَ، فقلنا تلك عادتُنا
أو تـنـزلـون، فـإنَّـا مَـعْـشَـرٌ نُـزُلُ.

٥ ـ الهجران

... فَبانَتْ، وفي الصَّدر صَدعٌ لها
كـصَدْعِ الـزُّجاجـةِ ـ ما يَلْتَئِمْ.

٦ ـ مؤامرة

أَتَانـي يُـؤَامِـرُنـي فـي الـشَّـمـولِ لـيـلاً،
فـقـلـتُ لـه: غَـادِهـا
فـقُـمـنـا ولَـمَّـا يَـصِـحْ ديـكُـنـا
إلـى جَـوْنَـةٍ عـنـد حَـدَّادِهـا
فـقـلـنـا لـه: هـذه، هـاتِـهـا
بـأَدْمـاءَ فـي حـبـلِ مُـقْـتـادِهـا
فـقـال تـزيـدونـنـي تِـسْـعَـةً
ولَـيـسـتْ بِـعـدْلٍ لأَنـدادِهـا
فـقُـلـت لِـمِـنْـصَـفِـنـا أَعْـطِـهِ
فـلـمَّـا رأى حَـضْـرَ شُـهَّـادِهـا
فـقـامَ فَـصَـبَّ لـنـا قـهـوةً
تُـسَـكِّـنُـنـا بـعـد إرعـادِهـا

كُـمـيْـتـاً تَـكـشَّـفُ عـن حُـمْـرَةٍ
إذا صَـرَّحـت بـعـد إزْبـادِهـا،
فَـجـالَ عـلـيـنـا بـإبْـريـقـهِ
مُـخَـضَّـبُ كـفٍّ بـفِـرْصَـادِهـا
... فَـرُحْـنـا تُـنَـعِّـمُـنـا نَـشْـوةٌ
تَـجـورُ بـنـا بـعـد إِقْـصـادِهـا.

٧ ـ خيل ورماح

... عـلـى جُـرْدٍ مـسـوّمـةٍ
عـوابـسَ تـعـلـك الـلُّـجُـمـا
تَـخـالُ ذوابـلَ الـخـطّـيِّ فـي
حـافـاتِـهـا، أَجَـمـا.

٨ ـ الآخر

... فـلـسـتُ بِـمُـبـصـرٍ شَـيـئـاً يـراهُ
ولـيـس بـسـامـعٍ مـنِّـي حِـواري.

٩ ـ رجاء

إن كـنـتِ لا تَـشْـفـيـن غُـلّـة عـاشِـقٍ
صَـبٍّ يُـحـبّـكِ، يـا جُـبَـيْـرةُ، صـادي

فَـانْـهـيْ خـيـالَـكِ أن يـزورَ فـإنَّـه
فـي كـلِّ مـنـزلـةٍ يـعـودُ وِسـادي.

١٠ ـ امرأة

... وقـد أراهـا بـيـن أَتْـرابِـهـا
فـي الـحـيّ ذي الـبَـهْـجَـةِ والـسَّـامـرِ
كَـدُمْـيـةٍ صُـوّر مـحـرابُـهـا
بِـمُـذْهَـبٍ فـي مَـرْمَـرٍ مـائـرِ
عَـهْدي بـهـا في الـحـيِّ قـد سُرْبِـلـتْ
هـيـفـاءَ مـثـل الـمُـهـرةِ الـضَّـامـرِ
قـد نَـهَـدَ الـثَّـديُ عـلـى صَـدْرِهـا
فـي مُـشْـرِقٍ ذي صَـبَـحٍ نـائـرِ
لـو أَسْـنَـدتْ مـيْـتـاً إلـى نـحـرِهـا
عـاش ولـم يُـنْـقَـل إلـى قـابـرِ
حـتَّـى يـقـولَ الـنَّـاس مـمَّـا رأوا
يـا عَـجَـبـاً لـلـمـيِّـتِ الـنَّـاشِـرِ.

١١ ـ صورة وصفية

تـبـيـتـونَ في الـمـشْـتَـى مِلاءً بـطـونُـكُـمْ
وجـاراتُـكـم غَـرْثـى يَـبِـتْـنَ خـمـائِـصـا

يُـراقِـبْـنَ مِـن جـوعٍ خِـلالَ مَـخَـافـةٍ
نـجومَ الـسَّـماءِ الطَّـالعاتِ الشَّـواخِـصـا.

١٢ ـ امرأة

تُـرْضِـيـكَ مِـن دَلٍّ ومـن — حُـسْـنٍ تُـخـالِـطُـه غَـرارَهْ
بيضاء ضَحْوَتُها وصفراءُ — الـعـشـيَّـةِ كـالـعَـرَارهْ
وسَبَتْكَ، حين تبسَّمت — بـيـن الأَريـكـةِ والـسِّـتـارهْ
بـقَـوامِـهـا الـحـسَـنِ الـذي — جَـمَـع الـمـدادةَ والـجـهـارَهْ
وبـجـيـدِ مُـغْـزلـةٍ إلـى — وجـهٍ تـزيّـنـهُ الـنّـضـارهْ
ومَـهـاً تـرفُّ غـروبـهُ — يشْفي المتيَّم ذا الـحـرارهْ
وغـدائـرٍ سـودٍ عـلـى — كـفَـلٍ تـزيّـنـهُ الـوثـارَهْ،
وإذا تُنازِعكَ الحديثَ ثَنَتْ — وفـي الـنَّـفـس ازورارَهْ.

١٣ ـ الجنِّي

حَبـاني أخـي الـجِـنِّـيُّ، نـفـسـي فـداؤُه
بـأفـيـحَ جـيَّـاشِ الـعـشـيَّـاتِ خِـضْـرِمِ
وقـال: أَلا فـانْـزلْ عـلـى الـمـجـد سابقاً
لـك الـخـيرُ قَـلِّـد، إذ سبـقـتَ، وأَنْعِـمِ.

١٤ ـ خمرة

وكـأسٍ كـعـيـن الـدِّيـكِ بـاكـرتُ حَـدَّهـا
بـفـتـيـانِ صـدقٍ والـنَّـواقـيـس تُـضـربُ
سُـلافٍ، كـأنَّ الـزَّعـفـرانَ وعَـنْـدمـاً
يُـصـفّـق فـي نـاجـودِهـا، ثـمَّ تُـقـطَـبُ
لـهـا أَرَجٌ فـي الـبـيـتِ عـالٍ كـأنَّـمـا
أَلَـمَّ بـهِ مـن تَـجْـرِ داريـنَ أركُـبُ.

١٥ ـ أرَق

أَرِقْـتُ، ومـا هـذا الـسُّـهـادُ الـمـؤرِّقُ؟
ومـا بِـيَ مِـن سُـقْـمٍ، ومـا بِـيَ مَـعْـشَـقُ

. . .

وقـد أقـطـعُ الـيـومَ الـطّـويـلَ بِـفـتْـيـةٍ
مَـسـامـيـحَ تُـسْـقَـى، والـخِـبـاءُ مُـروَّقُ
وَرادعـةٍ بـالـمـسـك صـفـراءَ عـنـدنـا
لِـجَـسّ الـنّـدامـى فـي يـد الـدّرع مَـفْـتَـقُ
إذا قلـت: غَـنِّـي الـشَّـرْبَ، قـامـت بِـمزهـرٍ
يـكـادُ، إذا دارت لـه الـكـفُّ، يـنـطـقُ.

. . .

وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قد قطعتُ بِجَسْرَةٍ
إذا خَبَّ آلٌ فوقه يَترقْرقُ
هِيَ الصّاحِبُ الأدنى وبيني وبينها
مَجوفٌ عِلافيٌّ وقِطْعٌ ونُمْرقُ
وَتُصبح مِن غِبّ السُّرَى وكأنّما
ألمّ بها مِن طائفِ الجنّ أَوْلَقُ

. . .

وإنّ امْرأً أَسْرَى إليكِ، ودونه
فيَافٍ تَنُوفاتٌ وبيداءُ خَيْفَقُ
لَمحقوقةٌ أن تَسْتَجيبي لصوتهِ
وأن تَعلَمي أنّ المُعَانَ مُوفَّقُ

. . .

جِمَاعُ الهوَى في الرُّشْد أَدْنى إلى التُّقَى
وتَرْكُ الهوَى في الغَيّ أَنْجَى وأوفَقُ
إذا حاجةٌ وَلّتْكَ لا تَستطيعُها
فخذْ طرَفاً من غيرها حين تَسبِقُ
فذلك أَدنى أن تنال جسيمَها
وَلَلْقَصْدُ أَبْقَى في المسيرِ وأَلْحقُ

أتـــزعـــمُ لِـــلأكْـــفـــاءِ مـــا أنـــتَ أهـــلـــهُ
وتَـخـتـالُ، إذْ جـارُ ابْـنِ عـمّـكَ مُـرْهَـقُ؟

١٦ ـ صورة وصفية

وهُـــمُ مـــا هُـــمُ، إذا عـــزَّتِ الـــخـــمـــرُ
وقـــامـــت زِقـــاقُـــهـــم والـــحِـــقـــاقُ
ألْمُـهـيـنـيـن مـا لَـهـم لـزمـان الـسُّـوء،
حـــتـــى إذا أفـــاقَ، أفـــاقـــوا ـ
لـم يـزدهـم سـفـاهَـةً شـربـةُ الـكـأس
ولا الـــلَّـــهـــو بـــيـــنـــهـــم والـــسِّـــبـــاقُ.

١٦ ـ الجنِّي

... وأخونُ غفلةَ قومِها — يـمـشـون حـول قِـبـابِـهـا
حـذراً عـلـيـهـا أن تُـرى — أوأنْ يُـطـافَ بـبـابِـهـا،
فـبـعـثـتُ جـنّـيـاً لـنـا — يـأتـي بـرجـعِ جـوابِـهـا
فمشى، ولم يَخْشَ الأَنيس، — فـزارَهـا وخَـلا بِـهـا،
... صَنَعٌ بلينِ حديثها — فـدنـتْ عُـرى أسـبـابِـهـا
فدخلْتُ، إذ نام الرَّقيبُ، — فَـبِـتُّ دونَ ثـيـابِـهـا.

١٨ ـ امرأة

إذا ما عَلاها فارِسٌ مُتبذِّلٌ
فنعمَ فراش الفارسِ المتبذِّلِ.

١٩ ـ تعب الحبّ

لا شيءَ ينفعني من دون رؤْيَتِها:
هل يشتفي وامِقٌ، ما لم يُصِبْ رَهَقا؟

٢٠ ـ الدّاء الدواء

وكأسٍ شربتُ على لَذّةٍ   وأخرى تَداويتُ مِنها بِها
لكي يعلمَ النّاس أَنّي امرؤٌ   أتيتُ المعيشةَ مِن بَابِها
وَشاهِدُنا الوردُ والياسمينُ   والمُسْمِعاتُ بِقُصَّابِها
مَضَى لي ثمانونَ من مولدي   كذلك تفصيلُ حُسّابِها
فأصبحتُ وَدّعتُ لهوَ الشّبابِ، والخَنْدريسَ لأصحابِها.

جِرانُ العَوْدِ النُّميْرِيّ

١ ـ الضرّتان

لقد كان لي عن ضرَّتينِ ـ عَدِمْتُني ـ
وعمَّا أُلاقي منهما مُتَزحزَحُ
هُما الغول والسِّعلاة، حَلْقِيَ منهما
مُخَدّشُ ما بين التّراقي مُجرَّحُ،
لقد عالَجتْني بالنِّصاء(*)، وبيتُها
جَديدٌ، ومن أثوابِها المِسْكُ يَنْفَحُ
إذا ما انتصيْنا فانْتَزعْتُ خِمارَها
بدا كاهِلٌ نَهْدٌ ورأسٌ صَمَحْمَحُ(**)
تُداورني في البيتِ حتَّى تُكِبّني
وعَينيَ من نحو الهِراوةِ تلمحُ

قيل اسمه المستورد، وقيل عامر. يُقال إنه سمع القرآن واقتبس منه كلمات وردت في شعره. وهكذا يرجح أنه مات نحو ٦٣٠م = ٨هـ.

(*) النصاء: الأخذ بالناصية.

(**) الصمحمح: الأصلع.

وقد عَلَّمتْني الوقْذَ(*) ثم تجرُّني

إلى الماء، مَغْشِيّاً عليَّ، أُرَنِّحُ

أقول لِنَفْسي: أين كنتِ؟ وقد أرى

رِجالاً قياماً، والنِّساءُ تُسَبِّحُ...

خُذا نِصْفَ مالي، واتْرُكا لِيَ نِصفَهُ

وبِينا بِذَمٍّ، فالتَعزُّبُ أروحُ.

أقول لأصحابي ـ أُسِرّ إليهمُ:

لِيَ الويلُ! إن لم تَجْمَحا(**)، كيف أجمحُ؟

أأتركُ صِبياني وأهلي وأَبْتَغي

مَعاشاً سواهم، أم أَقِرُّ فَأُذْبَحُ؟

أُلاقي الخَنا والبَرْحَ من أُمّ حازمٍ

وما كنت ألقى من رُزَيْنَةَ أبْرحُ

تُصبّرُ(***) عينيها، وتعصبُ رأسَها

وتغدو غدوّ الذِّئب، والبومُ يَضْبَحُ

(*) الوقذ: الضرب حتى الإشراف على الموت.

(**) إن لم تجمحا، إن لم تهربا ـ أي زوجتاه الضرتان.

(***) تُصبِّر عينيها: تجعل حولهما صِبْغاً.

تَرى رأسَها في كلِّ مَبْدَى ومَحْضرٍ
شَعاليلَ، لم يُمْشطْ ولا هو يُسْرَحُ

وإن سَرَّحته كان مثل عقاربٍ
تشولُ بأذنابٍ قِصارٍ وتَرْمَحُ

تَخَطَّى إليَّ الحاجِزينَ مُدِلَّةً
يكاد الحَصى من وطْئِها يَتَرضَّحُ(*)

لها مِثلُ أظفار العُقابِ ومَنْسِمٌ
أَزَجُّ كظُنْبوبِ(**) النَّعامةِ أروحُ

إذا انْفَلتت من حاجزٍ لَحِقَتْ بهِ
وجبْهتُها من شِدَّة الغَيْظِ تَرشَحُ.

ولمَّا التقينا غُدْوةً طال بيننا
سبابٌ وقذفٌ بالحجارةِ مِطْرَحُ(***)

أتانا ابنُ روقٍ يَبْتَغي اللَّهوَ عندنا
فكاد ابنُ روقٍ بين ثوبيه يَسْلَحُ.

(*) يترضح، يتكسر.

(**) أزج: مقوس. الظنبوب: حرف عظم الساق.

(***) مطرح، مبعد.

٢ ـ ليلة اليأس

فَبتُّ كأنَّ العينَ أَفْنانُ سِدْرةٍ
عليها سَقيطٌ من نَدى اللَّيل يَنطُفُ

أُراقِبُ لوحاً من سُهيلٍ كأنَّه
إذا ما بدا من آخِر اللَّيلِ يَطْرِفُ،

بدا لجِرانِ العَوْدِ والبحر دونَهُ
وذو حَدَبٍ من سَرْو حِمْيَر مُشرِفُ.

فلا وجدَ إلاَّ مثلَ يوم تلاحَقت
بنا العِيسُ، والحادي يَشُلُّ ويعنُفُ

فما لَحِقتْنا العِيسُ حتى تناضَلَتْ
بِنا، وقَلانا الآخِرُ المتَخلِّفُ

حُمِدْتَ لنا حتَّى تَمناكَ بعضُنا
وأَنتَ امرؤٌ يَعْروكَ حَمدٌ فَتُعْرَفُ

رفيعُ العُلَى في كلِّ شَرْقٍ ومَغربٍ
وقولُكَ ذاكَ الآبِدُ المتَلَقَّفُ،

وفيكَ، إذا لاقيتَنا، عَجْرفيَّةٌ
مراراً، وما نَسْطيعُ مَن يَتَعجْرفُ

تَميلُ بكَ الدُّنيا ويغلبُكَ الهوى
كما مال خَوَّارُ النّقا المتَقَصِّفُ
ونُلْقى كأنّا مَغنَمٌ قد حويتَه
وترغَبُ عن جَزْلِ العَطاءِ وتُسْرِفُ
فموعدكَ الشَّطّ الذي بينَ أَهلِنا
وأَهلك، حتى تسمع الدِّيك يهتفُ
وتكفيكَ آثاراً لنا حيث نلتقي
ذيولٌ نُعَفِّيها بهنَّ ومطْرَفُ
فَنُصبحُ لم يُشْعَرْ بنا، غَير أَنَّنا
على كلِّ ظنٍّ يحلفون ونحلفُ.

فلمَّا هبطنَ السَّهْلَ، واحْتلْنَ حِيلةً
ومن حيلةِ الإنسانِ ما يَتَخوَّفُ
حَمَلْنَ جِرانَ العَوْدِ حتَّى وَضَعْنَهُ
بعلياءَ في أرجائِها الجِنّ تَعْزِفُ،
فلمَّا التَقيْنا، قلنَ أَمسى مُسَلَّطاً
فلا يَسْرِفَنَّ الزَّائِرُ المُتَلَطِّفُ
وقلنَ: تَمَّتعْ ليلةَ اليأس هذِهِ
فإنَّك مَرْجومٌ غداً أو مُسَيَّفُ

وأَحْـرَزْنَ مِـنِّـى كـلّ حُـجْـزَةِ مِـئْـزرٍ
لـهـنَّ، وطـاحَ الـنَـوْفَـلـيُّ الـمزخـرَفُ
فَـبِـتْـنـا قُـعـوداً والـقـلـوبُ كـأَنَّـهـا
قَـطـاً شُـرَّعُ الأشـراكِ مـمّـا تَـخَـوَّفُ
عـلـيـنـا الـنَّدى طـوراً، وطـوراً يـرشُّـنـا
رَذَاذٌ سـرى مـن آخـر الـلَّـيـل أَوْطَـفُ
ومـا أُبْـنَ حـتَّـى قُـلْـنَ: يـا لـيـتَ أَنَّـنـا
تُرابٌ، وليتَ الأَرضَ بالنَّاس تُخْسَفُ!

٣ ـ الحب والموت

كِـلانـا نَـسْـتَـمـيـتُ إذا الـتـقـيـنـا
وأبـدى الـحـبُّ خـافِـيـةَ الـضَّـمـيـرِ
فـتـقـتـلـنـي وأقـتـلـهـا ونـحـيـا
ونـخْـلِـط مـا نُـمـوِّتُ بـالـنّـشـورِ.

٤ ـ الحب الهارب

أَلا لـيـتَـنـا، مِـن غـيـر شـيءٍ يُـصـيـبـنـا
بِـتَـهـلُـكَ ـ لا عـيـنٌ تُـحِـسُّ ولا ذِكْـرُ
أَلا لـيـتَـنـا طـارت عـقـابٌ بـنـا مـعـاً
لـهـا سَـبَـبٌ عـنـد الـمـجـرَّةِ، أو وِكْـرُ.

٥ ـ الصّبابة والليل

يـكـادُالـقـلـبُ، مِـن طَـرَبٍ إلـيـهـا
ومـن طـول الـصَّـبـابـةِ يُـسْـتَـطـارُ
يـظَـلُّ مـجـنَّـبَ الـكـنـفـيْـنِ، يـهـفـو
هُـفـوَّ الـصَّـقـرِ أَمْـسَـكـهُ الإسـارُ.

تـردّ بِـفـتْـرةٍ عـضـديـكَ عـنـهـا
إذا اعـتُـنِـقَـتْ ومـال بـهـا انْـهـصـارُ
يـكـاد الـزَّوجُ يـشـربُـهـا إذا مـا
تـلـقَّـاهـا بـنـشـوتِـهـا انـبـهـارُ
شـمـيـمـاً تُـنـشـرُ الأَحـشـاءُ مـنـه
وحـبّـاً لا يُـبـاعُ ولا يُـعـارُ.
إذا نـادى الـمـنـادي، بـات يـبـكـي
حِـذارَ الـصُّـبـح، لـو نـفـعَ الـحـذارُ
ووَدَّ الـلَّـيـلَ زِيـدَ عـلـيـهِ لـيـلٌ
ولـم يُـخـلَـقْ لـه أبـداً نـهـارُ.

دُريْد بن الصِّمّة

١ ـ غواية الحرب

... أمرتُهمُ أمري بمنعرج اللّوى
فلم يَسْتبينوا الرُّشْدَ إلاَّ ضُحى الغَدِ
فلمَّا عَصَوْني كنت مِنهم، وقد أرى
غوايتهم، وأَنَّني غيرُ مُهْتدِ
وَما أنا إلاَّ من غَزِيَّة، إن غوت
غويت، وإن ترشُد غزيّة أَرْشُدِ.

... دعاني أخي، والخيل بيني وبينه،
فلمَّا دعاني لم يَجدْني بِقُعْددِ،
أَخي، أَرضعتْني أمّهُ بِلُبَانها
بِثَديْيْ صفاءٍ بيننا لم يُجَدَّدِ

يروى أنه كان أكثر الشعراء الفرسان غزواً وأبعدهم أثراً. غزا نحو مئة غزوة ما أخفق في واحدة منها. هو ابن أخت عمرو ابن معد يكرب. أدرك الإسلام ولم يسلم. طلب الزواج بالخنساء وهو مسن فرفضته. مات نحو ٦٣٠م = ٨هـ.

فـجـئـتُ إلـيـهِ والـرِّمـاح تـنـوشُـه
كـوقـعِ الـصِّـيـاصـي فـي الـنَّـسـيـج الـمـمـدَّدِ.

... تنادوا، فقالوا أَرْدتِ الخيل فارِساً
فـقـلـت: أعـبـدُ الـلَّـه ذلـكـمُ الـرَّدي؟

وَإنْ يـك عـبـدُ الـلَّـه خـلّـى مـكـانَـه
فـمـا كـان وقّـافـاً ولا طـائـش الـيـدِ

إذا هَـبَـط الأَرضَ الـفـضـاء تـزيّـنَـتْ
لـرؤيـتـهِ كـالـمـأتـمِ الـمـتـبـدِّدِ.

... صَبا ما صَبا حتى علا الشَّيبُ رأسَه
فـلـمَّـا عـلاه، قـال لـلـبـاطـلِ: ابْـعـدِ

وطـيَّـب نَـفْـسـي أنـنـي لـم أقـل لـه
كـذبتَ، ولـم أبـخـل بـمـا مـلـكـت يـدي.

٢ ـ تقسيم الدهر

أَبَـى الـقَـتْـلُ إلاّ آلَ صِـمَّـةَ أَنَّـهـم
أَبَـوْا غـيـره والـقَـدْرُ يَـجْـري إلـى الـقَـدْرِ

... فـإمَّـا تَـرَيْـنـا، مـا تـزال دمـاؤُنـا
لـدى واتـرٍ يَـسْـعَـى بـهـا آخـرَ الـدَّهـرِ

فَإنّا لَلَحْمُ السَّيف، غيرَ نكيرةٍ
ونُلحمُه حيناً، وليس بذي نُكْرِ،
يُغارُ علينا واترينَ فَيُشتَفى
بِنا، إِن أُصِبْنا، أو نُغير على وِتْرِ
قَسَمْنا بذاك الدَّهرَ شطريْنِ بيننا
فما يَنْقضي إلاَّ ونحنُ على شَطْرِ.

٣ ـ صحو

يَا نديميَّ اسْقِياني خمرةً
ودَعاني أُبْصر الشَّيئينِ شَيَّا
بين رَوْضٍ، ونباتٍ عَرْفهُ
طيّبٌ أَهْدَى لنا مِسْكاً زَكيّا
ففؤادي قد صَحا مِن سُكرهِ
واشْتَفَى الدّاءُ الذي كان دَوِيّا.

٤ ـ انتصار على الدهر

... ولِي جَنَانٌ شديدٌ لَو لَقيتُ بهِ
حوادثَ الدَّهر، مَا جَارَتْ على بَشَرِ
عُمْري معَ الدَّهر موصولٌ بآخِرهِ
وإنّما فضلُه بِالشّمس والقَمرِ

. . .

خُلِقْتُ للحرب أُحْمِيها إذا بَردَتْ
وأَجْتَني مِن جَناها يانعَ الثَّمَرِ

والنّاسُ صِنْفَانِ: هذا قلبهُ خَزَفٌ
عند اللّقاءِ، وهذا قُدَّ من حَجرِ.

٥ ـ عصافير

إذا غلبتُمْ صديقاً تبطشونَ بهِ
كما تهدّمَ في الماءِ الجماهيرُ(*)

. . .

كأنّ وِلدانَهم لمّا اختلطنَ بهم
تحت العجاجَةِ بالأيدي عصافيرُ.

٦ ـ شيخوخة

. . . كأنّني خَرِبٌ قُصّت قوادِمهُ
أو جثّةٌ من بُغاثٍ في يَدَيْ خَصِرِ

يُمضون أمرهمُ دوني وما فقدوا
مِنّي عزيمةَ أمرٍ، ما خَلا كِبَري.

(*) الجماهير: جمع جمهور: الرّمل الكثير المتراكم.

٧ ـ امرأة[*]

. . . وتـزعـم أَنّـني شـيـخٌ كـبـيـرٌ
وما نـبّـأتُـها أَنّـي ابْـنُ أمـسِ

وما قَـصُـرت يـدي عـن عُـظْـمِ أمْـرٍ
أَهِـمُّ بـه، ولا سَـهْـمـي بِـنِـكْـسِ

. . .

فـلا تـلَـدِي، ولا يـنـكـحْـكِ مِـثْـلـي
إذا مـا لَـيـلَـةٌ طـرَقَـتْ بِـنَـحْـسِ.

(*) هي الخنساء الشاعرة.

الْمُزرّد بن ضِرَار الغطفاني

فروسية

... خَروجُ أضاميمٍ، وأحصَنُ مَعْقِلٍ
إذا لم تكن إلاَّ الجيادَ معاقِلُ

يُرى طامِحَ العَينين، يرنو كأنَّه
مُؤانِسُ ذُعْرٍ، فهو بالأُذْنِ خاتِلُ،

وجَوْبٌ(**) يُرى كالشَّمسِ في طَخْيَةِ الدُّجى
وأبيضُ ماضٍ في الضَّريبةِ قاصِلُ(***)

سُلافُ حديدٍ ما يَزال حسامُه
ذَليقاً، وقَدّتْه القرونُ الأَوائِلُ

اسمه يزيد. من الشعراء الفرسان. أخو الشماخ. كان هجاء أقسم لا ينزل به ضيف إلا هجاه، ولا يتنكب بيته إلا هجاه أيضاً. مات نحو ٦٣١م = ١٠هـ.

(*) الأضاميم: جماعات الخيل.

(**) الجوب: الترس.

(***) القاصل، القاطع.

وأَمْلسُ هِنْديٌّ متى يَعْلُ حدُّهُ
عُرَى البَيْضِ، لا تَسْلَمْ عليه الكواهِلُ

إذا ما عدا العادي به نحو قِرْنهِ
وقد سامَهُ قولاً: فدتْكِ المناصِلُ
أَلستَ نقِيّاً، ما تَليقُ بك الذُّرى
ولا أنتَ، إن طالَتْ بك الكفُّ، ناكِلُ
حُسامٌ خَفِيُّ الجَرْسِ عند اسْتِلالهِ
صَفيحتُه مِمَّا تنقَّى الصَّياقلُ،
ومُطَّرِدٌ(*) لَدْنُ الكُعوب كأنَّما
تَغَشَّاه مُنْباعٌ(**) مِن الزَّيتِ سائِلُ
له فارِطٌ ماضي الغِرار(***) كأنَّه
هِلالٌ بدا في ظُلمة اللَّيل ناحِلُ،

... على حين أنْ جُرِّبْتُ واشتَدَّ جانبي
وأُنْبِحَ منّي رهْبَةً مَن أُناضِلُ

(*) المطرد: اللين ويقصد الرمح.
(**) المنباع: السائل.
(***) الفارط: السنان. الغرار: الحد.

وجاوزتُ رأسَ الأربعين فأصبحت
قَناتِيَ، لا يُلفى لها الدَّهر عادِلُ،

زَعيمٌ لِمن قاذفْتُه بأوابدٍ
يُغنِّي بها السَّاري وتُحدى الرَّواحِلُ
تُكَرُّ، فلا تزدادُ إلاَّ اسْتِنارةً
إذا رازَتِ الشِّعْرَ الشِّفاهُ العوامِلُ
فَمن أَرْمِه منها بِبيتٍ يَلحْ بهِ
كَشامَةِ وَجْهٍ ـ ليس للِشَّام غاسِلُ.
.. وأَيْقَنَ، إذ ماتا بجوعٍ وخيبَةٍ
وقال له الشَّيطانُ إنك عائِلُ
فَطوَّف في أصحابه يَسْتثيبُهم
فآبَ، وقد أَكْدَتْ عليه المسائِلُ
إلى صِبْيةٍ مثلِ المَغالي وخِرْمِلٍ(*)
روَادٍ(**)، ومِن شرِّ النِّساءِ الخَرامِلُ
فقال لها: هل مِن طَعامٍ فإنني
أذمّ إليكِ النَّاس، أمُّكِ هابِلُ

(*) المغالي: السهام غير المجدية. الخرمل: الحمقاء.

(**) الرواد: الشريرة التي تطوف في بيوت جاراتها ولا تقعد في بيتها.

فقالت: نعم، هذا الطويّ[*] وماؤُه

ومحترِقٌ مِن حائلِ الجِلْدِ قاحِلُ

فلمَّا تناهت نفسهُ من طعامهِ

وأمسى طليحاً ما يعانيهِ باطِلُ

تَغَشَّى، يريد النَّومَ، فضلَ ردائهِ

فأعيا على العينِ الرَّقادَ البَلابِلُ.

(*) الطوي: البئر.

عامر بن الطّفيل

١ ـ طعام

وجـئـنـا بـالـنـسـاء، مـردَّفـاتٍ
وأَذْوادٍ، فـكـنَّ لـنـا طـعـامـا.

٢ ـ غارة

لـلَّـه غـارتُـنـا، والـمَـحْـلُ قـد شَـجـيـت
مـنـه الـبـلادُ، فـصـار الأُفْـقُ عـريـانـا.

٣ ـ مجد

وقـد نـال آفـاق الـسَّـمـاواتِ مـجـدُنـا
لـنـا الـصَّـحـوُ مِـن آفـاقِـهـا، وغـيـومُـهـا.

من أشهر فرسان العرب. حارب المسلمين ورفض أن يسلم على يدي النبي فقد كان يعتبر نفسه نداً له. ويروى أن قيصر كان إذا قدم عليه قادم من العرب، سأله: ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟ فإن ذكر نسباً، كرمه وعظم عنده. مات بالطاعون حوالى ٦٣٢م = ١١هـ.

٤ ـ لوم

... وأُنبِئتُ قومي أَتْبعوني مَلامَةً
لعلَّ منايا القوم مِمَّا أُكَلَّفُ
فإن تَكُ أَفراسٌ أُصِبْنَ وفِتْيَةٌ
فإنِّي لَجَرَّافٌ بِهنَّ مُجرَّفُ.

٥ ـ ضيافة

... فلو كان جمعٌ مثلنا، لم يَبزَّنا
ولكن أتانا كلُّ جِنٍّ وخابلِ
فبتنا، ومن ينزل به مثلُ ضيفنا
يَبِتْ عن قِرى أضيافه غيرَ غافلِ.

٦ ـ سيادة

... فما سوَّدتني عامِرٌ عن وِرَاثةٍ
أَبَى اللّه أن أسْمُو بأمٍّ ولا أَبِ.

عمرو بن بَرَّاقَة الهَمْدانِيّ

ليل الصعاليك

تقول سُليمى: لا تَعَرَّضْ لِتلْفَةٍ
وليلُك عن ليل الصَّعاليكِ نائِمُ
وكيف ينامُ اللَّيلَ مَن جُلُّ مالِهِ
حسامٌ كَلَوْنِ الملح أبيضُ صارِمُ؟
أَلم تَعلمي أَنَّ الصَّعاليك نومُهم
قليلٌ إذا نام الخلِيُّ المسالِمُ.

إذا اللَّيلُ أَدْجَى واكفهرَّت نجومُه
وصاحَ من الإفراط بُومٌ جَواثِمُ
ومالَ بأصحاب الكرى غَالِباتُه،
فإنِّي على أَمر الغِواية حازِمُ،
متى تَجمعِ القلب الذكيَّ وصارماً
وأَنْفاً حَمِيّاً، تَجْتَنِبْكَ المظالِمُ.

من الصعاليك الفرسان، مات نحو ٦٣٢م = ١١هـ.

مالك بن نويرة اليربوعيّ

المعركة

... وكان لهم في أهلهم ونسائِهم
مَبيتٌ، ولم يَدْروا بما يجدلُ الغَدُ
فما فَتِئوا حتَّى رأونا كأَنَّنا
مع الصّبحِ، آذِيٌّ من البحر مزبدُ
تُدرُّ العروقَ الآبياتِ ظُباتُنا
وقد سَنَّها طَرٌّ ووقْعٌ ومبردُ
يَقعْنَ معاً فيهم بأيدي كماتِنا
كأَنَّ المنونَ للأَسنَّةِ موعِدُ
فَأقررتُ عيني حين ظلوا كأنَّهم
ببطنِ الإيَادِ، خُشْبُ أَثْلٍ مُسَنَّدُ

من الشعراء الفرسان. كان يقال: «فتى ولا كمالك». كانت فيه غطرسة وخيلاء. ارتد عن الإسلام، فقتل نحو ٦٣٤م = ١٢هـ.

صريعٌ عليه الطَّيرُ تَنْتِخُ عينه
وآخرُ مكبولٌ، يميلُ، مُقيَّدُ ـ
لَدُنْ غُدوةً حتى أتى اللَّيلُ دونهم
ولا تنتهي عن ملئِها منهمُ يَدُ.

أبو خِراش الْهُذَليّ

١ـ عهد الدار

فـلـيـسَ كـعـهـدِ الـدَّار يـا أُمَّ مـالِـكٍ
ولـكـن أحـاطَـتْ بـالـرِّقـابِ الـسَّـلاسِـلُ
فـأصـبـحَ إخـوان الـصَّـفـاء كـأنَّـمـا
أَهـالَ عـلـيـهـم جـانِـبَ الـتُّـرْبِ هـائِـلُ.

٢ ـ أخو جِنّة. . .

شـديـدُ الأَسـى بـادي الـشُّـحـوب كـأَنَّـنـي
أخـو جِـنَّـةٍ يَـعْـتـادُهُ الـخَـبْـلُ فـي الـجِـسْـمِ.

٣ ـ صورة شخصية

أَفَـاطِـمَ، إِنِّـي أسـبـقُ الـحـتْـفَ مـقـبـلاً
وأتـركُ قِـرْنـي فـي الـمـزاحـفِ يَـسْـتـدمـي
وإنـي لأَهـدي الـقـومَ فـي لـيـلـة الـدُّجـى
وأَرمي، إذا ما قيل: هل مِن فتىً يرمي؟

اسمه خويلد، صحابي. نهشته حية فمات نحو ٦٢٦م = ١٥هـ.

ربيعة بن مقروم الضبيّ

١ ـ الهوان

ودارِ هَــوانٍ أنــفــنــا الــمُــقــامَ بــهــا
فــحــلــلــنــا مَــحــلاً كــريــمــا ـ
إذا كــان بــعــضــهــمُ لــلــهــوانِ
خــلــيــطَ صــفــاءٍ وأُمّــاً رؤومــا.

٢ ـ عناقيد

قامت تُريك، غَداةَ البَيْنِ، مُنْسَدِلاً
تَخالُهُ فوق مَتْنَيْها العناقيدا.

٣ ـ الخصم

... وكــنــتُ إذا قَــريــنــيَ جــاذبــتْــهُ
حــبــالــي، مــاتَ أو تَــبِــعَ الــجِــذابَــا.

مات حوالى ٦٣٧م = ١٦هـ.

العبَّاس بن مِرداس السُّلَميّ

١ـ الأعداء

... سَمَوْنا لهم تِسْعاً وعشرين ليلةً
نجوبُ من الأَعراض قَفْراً بَسابِسا
فلم أَرَ مثلَ الحيِّ حَيّاً مُصبَّحاً
ولا مثلَنا، لمَّا التقينا، فوارِسا،
إذا ما شَدَدْنا شدَّةً نصَبوا لها
صدور المذاكي والرِّماح المداعسا

إذا الخيلُ جالت عن صريعٍ نُكرّها
عليهم، فما يرجعْنَ إلاَّ عوابسا
ولو مات منهم مَن جرحنا لأَصبحتْ
ضِباعٌ، بِأكنافِ الأَراكِ، عرائِسا(*)

هو ابن الخنساء من الشعراء الفرسان. مات نحو ٦٣٠م = ٨هـ.

(*) في الخرافات العربية أن الضبع تقعد على ذكر القتيل حين ينتفخ.

٢ ـ في المعركة

إذا هِـي صَـدَّت نـحـرَهـا عـن رمـاحِـهـم
أُقَـدِّمُـهـا حـتَّـى تَـنـعَّـلَ بِـالـدَّمِ
ومـا زال مـنـهـم رائِـغٌ عـن سـبـيـلـهـا
وآخَـرُ يـهـوي لـلـيـديـن ولِـلـفـمِ.

٣ ـ توق

أشـدّ عـلـى الـكـتـيـبـةِ لا أُبـالـي
أَفـيـهـا كـان حَـتْـفِـيَ أمْ سـواهـا
ولـي نـفـسٌ تـتـوقُ إلـى الـمـعـالـي
سـتـتـلـفُ، أو أبـلِّـغـهـا مُـنـاهـا.

عمرو بن شأس الأَسدي

امرأة

إذا نــحــنُ أَدْلَــجــنــا، وأنــتِ أمــامَــنــا

كــفــى لــمــطــايــانــا بــوجــهــكِ هَــادِيــا.

مات نحو ٦٤٠م = ٢٠هـ.

أبو سفيان بن الحارث

هداية

لــعــمــركَ إنــي يــوم أحــمــل رايــةً
لِـتـغـلـبَ خـيـلُ الـلاَّتِ خـيـلَ مـحـمَّـدِ
لَـكـالـمُـدْلـجِ الـحـيـرانِ أظـلـم لـيـلـهُ
بـعـيـداً أرجّـي حـيـن أهـدي وأَهـتـدي
هــدانــيَ هــادٍ غــيــر نَــفــســي وقــادَنــي
إلــى الــلَّــهِ مــن طَــرَّدْتُ كــلَّ مُــطــرَّدِ.

اسمه المغيرة. توفي نحو ٦٤٠م = ٢٠هـ.

عمرو بن معد يكرب الزّبيدي

١ ـ فرد

ذَهَبَ الذين أُحبّهم
وبقيتُ، مثل السَّيفِ، فَرْدا.

٢ـ الأعداء

... فلم نقتل شِرارَهُم، ولكن
قتلنا الأَفضلينَ ذوي السِّلاحِ
فَأَثْكَلْنا الحليلةَ مِن بنيها
وخَلَّينا الخريدةَ لِلنّكاحِ.

٣ ـ نساء

أُمشِّي حولها وأَطوفُ فيها
وتُعجبني المحاجِرُ والفروعُ
إذا يَضحكْنَ أَو يَبْسمنَ يوماً
ترى بَرَداً أَلَحَّ بِهِ الصَّقيعُ

من الشعراء الفرسان. مات نحو ٦٤٢م = ٢١هـ.

كـــأَنَّ عـــلـــى عَـــوَارِضِـــهِـــنَّ راحـــاً
يُـــفَـــضُّ عـــلـــيـــه رُمَّـــانٌ يَـــنـــيـــعُ.

٤ ـ إرادة

... أريــدُ حــيــاتــه ويــريــد قَــتــلــي
عــذيــركَ مــن خَــلــيــلِــكَ مــن مُــرَادِ.

٥ ـ خُلق

... وَآوِي إلـــى فَـــرْعِ جُـــرثـــومـــةٍ
وَعـــزٍّ يَـــفُـــوتُ يـــدَ الـــنّـــاهـــشِ
تـــمـــتّـــعْـــتُ ذاكَ، وكـــنـــتُ امْـــرأً
أَصُـــدُّ عـــن الـــخُـــلـــقِ الـــفـــاحـــشِ.

٦ ـ قريش

إذا قُـــتِـــلْـــنـــا ولا يَـــبـــكـــي لـــنـــا أحَـــدُّ
قـــالـــت قـــريـــشٌ: ألا، تـــلـــك الـــمـــقـــاديـــرُ
نُـــعـــطَـــى الـــسَّـــوِيّـــةَ مـــن طَـــعْـــنٍ لـــه نَـــفَـــذٌ
ولا ســـويّـــةَ، إذْ تُـــعـــطَـــى الـــدّنـــانـــيـــرُ.

٧ ـ قريش، أيضاً

. . . وكانت قريشٌ تَحمل الخمرَ مرّةً

تِجَاراً، فأضحت تحملُ السُّمَّ مُنْقَعَا.

الشمّاخ بن ضرار الغَطفاني

امرأة

وسـيـطـةُ قـومٍ صـالـحـيـن يـكـنّـهـا
من الـحـرِّ، فـي دار الـنَّـوى، ظـلُّ هـودجِ
مـنـعّـمـةٌ لـم تـلـقَ بـؤسَ مـعـيـشـةٍ
ولـم تَـغْـتَـزِل يـومـاً عـلـى عـود عَـوْسَـجِ
هضيمُ الحشى، لا يملأ الكفَّ خصرُها
ويُـمْـلأُ مـنـهـا كـلُّ حِـجْـلٍ ودُمـلـجِ.

يَـقـرُّ بـعـيـنـي أَن أُنَـبَّـأَ أَنَّـهـا
وإن لـم أَنَـلْـهـا، أَيِّـمٌ لـم تَـزَوَّجِ،
وكـنـتُ، إذا لاقـيـتُـهـا، كـان سـرُّنـا
لـنـا، بـيـنـنـا، مـثـلَ الـشِّـواءِ الـمُـلَـهْـوَجِ.

اسمه معقل، وقيل الهيثم. كان يحب امرأة تدعى كلبة تزوجها أخوه فمات الشماخ ولم يكلمه. هجا عشيرته وأضيافه. مات نحو ٦٤٣م = ٢٢هـ.

الخنساء

١ ـ القبر

وقائلةٍ، والنَّعشُ قد فات خطوَها
لِتدركَهُ: يا لهفَ نفسي على صَخْرِ
ألَا ثكلتْ أُمُّ الذين مشوا بهِ
إلى القبر ـ ماذا يحملون إلى القَبْرِ!

٢ ـ غصنان(*)

كنَّا كَغُصْنينِ في جرثومةٍ بَسَقا
حيناً، على خير ما يُنْمى له الشَّجَرُ
حتى إذا قيل: قد طالت عروقُهما
وطاب غرسُهما، واسْتَوثقَ الثَّمرُ
أَخْنى على واحدٍ ريبُ الزَّمانِ وما
يُبقي الزَّمانُ على شيءٍ ولا يَذَرُ.

اسمها تماضر. لُقبت الخنساء تشبيهاً لها بالبقرة الوحشية في جمال عينيها. مات سنة ٦٤٥م = ٢٤هـ.

(*) أبيات تنسب أيضاً لصفية الباهلية.

٣ ـ الأب والابن

جــارى أَبَــاهُ فــأقــبــلا وهُــمــا
يَــتَــعــاورانِ مُــلاءَةَ الــفَــخْــرِ
حــتَّــى إذا نَــزَتِ الــقــلــوبُ وقــد
لُــزَّت هــنــاكَ الــعُــذْرُ بــالــعُــذْرِ
وعَــلا هُــتــافُ الــنَّــاس: أَيُّــهــمــا؟
قــال الــمــجــيــبُ هــنــاك: لا أدري،
بــرزت صــحــيــفــةُ وجــه والــدهِ
ومَــضــى عــلــى غُــلْــوائــهِ يــجــري
أَوْلَــى فــأولــى أَن يــســاوِيَــهُ
لــولا جَــلالُ الــسِّــنِّ والــكِــبْــرِ
وهُــمــا كــأَنَّــهــمــا، وقــد بَــرزا،
صَــقْــرانِ قــد حَــطَّــا عــلــى وكْــرِ.

٦ ـ الذكرى والتعزية

يــذكِّــرنــي طــلــوعُ الــشــمــس صــخــراً
وأَذكــره لــكــلِّ غــروبِ شــمْــسِ
ولــولا كــثــرة الــبــاكــيــن حــولــي
عــلــى إخــوانــهــم، لَــقَــتَــلْــتُ نــفْــسي.

٥ ـ الزمان والناس

إنَّ الـزَّمـانَ، ومـا يَـفْـنـى، لـه عَـجَـبٌ
أَبْـقـى لـنـا ذَنَـبـاً واسْـتُـؤْصِـلَ الـرَّاسُ
أَبـقـى لـنـا كـل مـجـهـولٍ وفَـجَّـعَـنـا
بـالـحـالِـمـينَ، فـهـم هَـامٌ وأَرْمـاسُ،
إنَّ الـجـديـدَيْـنِ فـي طـولِ اخـتـلافِـهـمـا
لا يـفـسُـدانِ، ولـكـن يـفـسُـد الـنَّـاسُ.

٦ ـ فأس الموت

مـا لـلـمـنـايـا تُـغَـاديـنـا وتـطـرقُـنـا
كــأَنَّــنــا أَبــداً نُــحْــتَــزُّ بِــالــفــاسِ.

عبدة بن الطّبيب

١ ـ مجلس شراب

. . . إنّ التي ضرَبَتْ بيتاً، مُهَاجِرَةً
بكوفة الجُنْدِ، غالَتْ ودّها غولُ
فَعدِّ عنها، ولا تَشْغَلْكَ عن عَملٍ
إنّ الصّبابةَ، بعد الشّيب، تَضليلُ.

. . .

وقد غدوتُ وقرنُ الشَّمس مُنْفَتِقٌ
ودونَهُ، مِن سواد اللَّيلِ، تجليلُ
إذ أَشرفَ الدِّيكُ يدعو بعضَ أُسْرتهِ
لدى الصَّباحِ، وهم قَومٌ مَعازيلُ
إلى التِّجار، فَأعداني بِلذَّتهِ
رخْوُ الإزار، كصدر السَّيفِ مشمولُ
خِرْقٌ يجدُّ، إذا ما الأمرُ جَدَّ بهِ
مُخالِطُ اللَّهو واللّذاتِ، ضِلّيلُ،

كان أسود. وهو من الشعراء اللصوص الفرسان. مات نحو ٦٤٥م = ٢٥هـ.

... حتَّى اتّكأْنا على فُرْشٍ يُزيِّنها

مِن جيِّد الرَّقمِ، أَزواجٌ تهاويلُ

فيها الدّجاج وفيها الأُسْدُ، مُخْدِرةً

مِن كلِّ شيءٍ يُرى فيها تَماثِيلُ

في كَعْبةٍ شَادَها بانٍ وزَيَّنَها

فيها ذُبالٌ يُضيءُ اللَّيلَ، مفتولُ

لنا أَصِيصٌ كَجِذْمِ الحوضِ هَدَّمَهُ

وَطْءُ العراكِ، لديهِ الزّقُّ مغلولُ

والكُوبُ أَزْهرُ مَعْصوبٌ بِقُلَّتهِ

فوق السِّياعِ من الرّيحانِ إِكليلُ(*)

يسعى بهِ مِنْصَفٌ عَجْلانُ مُنْتَطِقٌ

فوق الخِوانِ، وفي الصَّاعِ التَّوابيلُ،

ثمَّ اصطبَحْتُ كُمَيْتاً قَرقَفاً أُنُفاً

مِن طيِّبِ الرّاحِ، واللَّذاتُ تَعْليلُ

صِرْفاً مِزاجاً، وأحياناً يُعلِّلُنا

شِعْرٌ كمُذْهَبةِ السَّمَّانِ محمولُ(**)

(*) السياع: الطلاء أياً كان.

(**) السمان: الوشي والنقش (مأخوذة من سم الإبرة).

تُـذْري حـواشـيَـهُ جـيـداءُ آنِـسـةٌ
في صـوتِـهـا لِـسـمـاع الـشَّـرْبِ تـرتـيـلُ
تـغـدو عـلـيـنـا تُـلَـهِّـيـنـا ونُـصْـفِـدهـا
تُـلْـقـى الـبـرودُ عـلـيـهـا والـسَّـرابـيـلُ.

٢ ـ قيس

... فما كان قيسٌ هُلْكهُ هُلْكَ واحدٍ
ولـكـنّـه بـنـيـانُ قَـوْمٍ تَـهـدَّمـا.

٣ ـ وصايا

أَبـنِـيَّ، إنّـي قـد كـبـرْتُ ورابَـنـي
بَـصَـري، وفـيّ لـمـصـلـحٍ مُـسْـتَـمْـتَـعُ
فـلـئِـن هـلـكـتُ، لـقـد بـنـيـتُ مَـسـاعِـيـاً
تَـبـقـى لـكـم مِـنـهـا مـآثِـرُ أربـعُ
ذِكـرٌ، إذا ذُكِـر الـكِـرامُ، يـزيـنـكـم
ووِراثـة الـحـسَـبِ الـمـقـدّم تـنـفـعُ
ومـقـامُ أيّـامٍ لـهـنّ فـضـيـلـةٌ
عـنـد الـحـفـيـظـةِ والـمـجـامـع تـجـمـعُ
وَلُـهـىً مـن الـكَـسْـبِ الـذي يُـغـنـيـكـمُ
يـومـاً، إذا احـتـضَـر الـنـفـوسَ، الـمـطـمـعُ

ونصيحةٌ في الصَّدر صادرةٌ لكم
ما دمْتُ أُبْصِرُ في الرّجالِ وأَسْمَعُ

. . .

ودعوا الضَّغينةَ، لا تكن مِن شَأْنِكم
إنّ الضّغائنَ للقرابة تُوضَعُ
وَاعْصُوا الذي يُزْجي النّمائمَ بينكم
مُتَنَصّحاً، ذاكَ السَّمامُ المُنقَعُ
يُزْجي عقارِبَه ليبعث بينكم
حرباً، كما بَعَث العروقَ الأَخْدعُ
حَرّانَ لا يَشفي غليلَ فؤادهِ
عَسَلٌ بماءٍ في الإناء مُشَعْشعُ

. . .

إنّ الحوادثَ يَخْتَرِمْنَ، وإنّما
عمرُ الفتى في أهلهِ مُسْتَودَعُ
يَسعى ويجمع جاهِداً مُسْتَهْتِراً
جِدّاً، وليس بآكلٍ ما يَجْمعُ.

كعب بن زهير

١ ـ البُرْدة

بـانـت سُـعـادُ فـقـلـبي الـيـومَ مَـتْـبـولُ
مُـتَـيَّـمٌ إِثْـرَهـا، لـم يُـجْـزَ، مـكـبـولُ
ومـا سـعـادُ، غَـداةَ الـبـيـن إِذْ رَحـلُـوا
إلاّ أَغَـنُّ غَـضِـيـضُ الـطَّـرْفِ، مـكـحـولُ
تـجـلـو عـوارضَ ذي ظَـلْـمٍ إذا ابـتـسـمت
كـأنّـه مُـنْـهَـلٌ بـالـرّيـحِ مَـغْـلـولُ

. . .

لـكـنّـهـا خُـلَّـةٌ قـد سِـيـطَ مـن دَمِـهـا
فَـجْـعٌ وَولْـعٌ وإخـلافٌ وتـبـديـلُ
. . . فـمـا تـدومُ عـلى حـالٍ تـكـونُ بـهـا:
كـمـا تَـلَـوَّنُ فـي أثـوابِـهـا الـغُـولُ

لما ظهر الإسلام هجا النبي، وأخذ يشبب بنساء المسلمين؛ فأهدر النبي دمه فجاءه كعب فأسلم وأنشده قصيدته «بانت سعاد» فعفا عنه، وخلع عليه بردته. توفي نحو ٦٤٥م = ٢٦هـ.

وما تَمسَّكُ بالوصلِ الذي زعمت
إلاَّ كما تُمْسِكُ الماءَ الغرابيلُ،
كانت مواعيد عُرْقوبٍ لها مَثَلاً
وما مواعيدُها إلاَّ الأباطِيلُ
فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّت وما وعَدَتْ
إنَّ الأَمانِيَّ أَحلامٌ وتَضليلُ
أَمْست سعادُ بأرضٍ لا يُبَلِّغها
إلاّ العِتاقُ النّجيباتُ المراسيلُ.

...

وقال كلّ خليلٍ كنت آملهُ
لأُلفِينّكَ، إنِّي عنكَ مَشْغولُ
فقلت: خَلّوا طريقي لا أبا لكمُ
فكلّ ما قدّر الرّحمنُ مفعولُ
كلّ ابْنِ أُنثى، وإن طالَتْ سلامتهُ
يوماً على آلةٍ حدباءَ محمولُ
أُنْبِئتُ أنّ رسول اللّه أَوْعَدني
والعَفوُ عند رسول اللّه مأمولُ
مَهْلاً، هداك الذي أعطاكَ نافلةَ
القرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

لا تـأخـذنّـي بـأقـوالِ الـوُشَـاةِ ولـم
أُذنِـبْ، ولـو كَـثُـرت عـنّـي الأقـاويـلُ
لـقـد أقـوم مـقـامـاً لـو يـقـومُ بـهِ
أرَى وأسـمـعُ مـا لـو يـسـمـعُ الـفِـيـلُ
لـظـلّ يُـرْعَـدُ إلاّ أن يـكـونَ لـه
مـن الـرّسـول بـإذْنِ الـلّـه تَـنْـويـلُ
حـتّـى وضـعـتُ يـمـيـنـي لا أنـازعـهُ
فـي كَـفِّ ذي نَـقِـمـاتٍ قِـيـلُـه الـقِـيـلُ.

...

إنّ الـرّسـولَ لَـسـيـفٌ يُـسـتـضـاءُ بـهِ
مـهـنَّـدٌ مـن سـيـوف الـلّـه مَـسْـلـولُ
فـي عُـصْـبـةٍ مـن قـريـشٍ قـال قـائـلـهـم
بـبـطْـنِ مـكّـة لَـمّـا أسـلـمـوا: زولـوا
زالـوا، فـمـا زال أَنْـطـاسٌ ولا كـشـفٌ
عـنـد الـلّـقـاء ولا مِـيـلٌ مـعـازيـلُ
لا يـفـرحـون، إذا نـالـت رمـاحـهـمُ
قـومـاً، وَلـيـسـوا مـجـازيـعـاً إذا نِـيـلـوا.

٢ ـ أعناق النساء

... فـأَصـبـحَ مُـمْـسـانـا كـأَنَّ جِـبـالَـهُ
من الـبُـعْـدِ، أَعـنـاقُ الـنِّـسـاء الـحـواسـرِ.

٣ ـ صورة وصفية

تَـسْـتَـشْـرِف الأشـبـاحَ، وهـي مُـشـيـحـةٌ
بـبـصـيـرةٍ وَحْـشـيَّـةِ الإنـسـانِ.

٥ ـ ماء

تَـسـاقَـوْا بـمـاءٍ مـن بـلادٍ، كـأَنَّـهـا
دِمـاءُ الأفـاعـي ـ لا يُـعَـلُّ سـلـيـمُـهـا.

٦ ـ الشّيب

عَـلا حـاجِـبَـيَّ الـشَّـيْـبُ حـتَّـى كـأَنَّـه
ظِـبـاءٌ جَـرَتْ ـ مـنـه سَـنـيـحٌ وبـارحُ.

٧ ـ صيد

طَـافَ الـرُّمـاةُ بِـصـيـدٍ راعـهـم فـإذا
بـعـضُ الـرُّمـاةِ بِـنَـبْـلِ الـصَّـيـدِ مَـقْـتـولُ.

٨ ـ الكأس

وقد أشهدُ الكأسَ الروّيةَ لاهِياً
أُعَلّ قُبيلَ الصُّبح منها وأَنْهلُ
وليس خليلي بالملولِ ولا الذي
يلومُ على البُخلِ البخيلَ ويَبْخلُ
لنا حاجَةٌ في صَرْحةِ الحيّ بعدما
بَدا لهمُ أن يظعنوا فتحمَّلوا
شَاوَى، نَدِيم الكأسِ مِنّا مُرَنَّحٌ
وعِيسٌ مُنَاخَاتٌ عليهنّ أَرْحُلُ.

. . .

. . . فِمن للقوافي شَانَها، من يَحوكُها
إذا ما ثوَى كعبٌ وفَوّزَ جَرْولُ(*)
يقول فلا يعيا بشيءٍ يقولهُ
ومن قائليها من يُسيء ويعملُ
يقوّمها حَتّى تقومَ مُتونُها
فيقصر عنها كلُّ ما يُتَمثَّلُ

(*) الحطيئة.

كفيتكَ لا تلقى من الناس شاعراً
تنخّلَ منها مثلَ ما أتنخَّلُ.

٩ ـ الزّوجان

إنّ عِرْسي قد آذنتني أخيرَا
لم تعرّج، ولم تؤامِرْ أميرا
أَجِهاراً جاهَرْتِ لا عَتْبَ فيهِ
أم أرادت خيانةً وفجورا؟
ما صلاح الزّوجين عاشا جميعاً
بعد أن يصرمَ الكبيرُ الكبيرا؟
فاصبِري مثلما صبرت فإنّي
لا إخالُ الكريمَ إلاّ صَبُورا
أيّ حينٍ وقد دَببتُ ودبَّت
ولبسنا من بعد دهرٍ دُهورا
ما أرانا نقول إلاّ رجيعاً
أَوْ مُعاداً من قولِنا مكرورا.

١٠ ـ مقالة السوء

إن كنتَ لا ترهب ذَمّي لما
تعرفُ من صَفْحي عن الجاهلِ

فَاخْشَ سُكوتي، إذْ أنا مُنْصِتٌ

فيكَ لمسموعِ خَنَى القائلِ

فالسّامع الذّمَّ شريكٌ له

ومُطعمُ المأكولِ كالآكلِ

مقالة السّوء إلى أهلها

أَسْرع من مُنحدَرٍ هائلِ

ومَن دعا النّاسَ إلى ذَمّهِ

ذَمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ.

تميم بن مُقبِل

١ ـ خيوط الشمس

وللشمس أَسْبابٌ كأنَّ شعاعَها
مَمَدُّ حِبالٍ في خِباءٍ مُطَنَّبِ.

٢ ـ الدهر والموت

وما الدَّهرُ إلاّ تَارتانِ، فمنهما
أَموتُ، وأُخرى أَبتغي العيش أَكْدحُ
وكلتاهُما قد خُطَّ لي في صحيفتي
فَللْعيشُ أشهى لي، ولِلْمَوتُ أَرْوَحُ،
إذا مُتّ فانْعيني بما أنا أَهْلُهُ
وذُمّي الحياةَ ـ كلُّ عيشٍ مُترَّحُ.

كان أعور. تزوج امرأة أبيه بعد موته، وقد أحبها وتغزل بها كثيراً، واسمها الدهماء. كان بعد إسلامه يحن إلى الجاهلية ويمجدها ويبكي أهلها ويشعر بغربة في الإسلام. مات حوالى ٦٤٦م = ٢٥هـ.

٣ ـ دهماء

إذا قِـيـلَ: مَـنْ دَهـمـاءُ؟ خَـبَّـرتُ أَنَّـهـا
مِـن الـجـنِّ لـم يـقـدحْ لـهـا الـزَّنـدَ قـادِحُ
وكـيـفَ؟ ولا نَـارٌ لـدهـمـاءَ أُوقِـدتْ
قـريـبـاً، ولا كـلـبٌ لـدهـمـاءَ نـابِـحُ
... فلا طولُ ما جاورتُ دهماءَ نافِـعٌ
ولا داءُ مـا كُـلِّـفـتُ دهـمـاءَ، بـارحُ.

... ويوماً على نجرانَ وافتْ فخِلتُها
كـأحـسـنِ مـا ضَـمَّـت إلـيَّ الأَبـاطِـحُ
بـمـشْـيٍ كـهـزِّ الـرُّمـح، بـادٍ جـمـالُـه
إذا جَدَف الـمـشْـيَ الـقِـصـارُ الـدَّحـادِحُ.

٤ ـ دهماء، أيضاً

... ولو كَلّمتْ دهماءُ أخرسَ كاظِماً
لَـبَـيّـنَ بـالـتَّـكـلـيـمِ، أو كـاد يُـفْـصِـحُ
سِراجُ الدّجى، يشفي السَّقيمَ كلامُها
تُـبَـلُّ بـه الـعـيـنُ الـطَّـريـفُ فَـتُـنْـجِـحُ.

٥ ـ أخو عبرات

أخـو عَـبَـراتٍ، سِـيـقَ لـلِـشَّـامِ أَهـلُـه
فـلا الـيـأسُ يُـسْـليـهِ، ولا الـحـزنُ قَـاتِـلُـهْ
. . . فَأَخْلِفْ وأَتْلِفْ، إنَّـمـا الـمالُ عارَةٌ
وكُـلْـهُ مـع الـدَّهـرِ الـذي هـو آكِـلُـهْ
وأَهــونُ مــفــقــودٍ وَأَيْــسَــرُ هــالــكٍ
على الـحَـيِّ، مَـن لا يبلـغُ الـحـيَّ نائِلُهْ.

٦ ـ امرأة

خَـوْدٌ كـأَنَّ فِـراشَـهـا وُضِـعـتْ بـهِ
أَضْـغـاثُ رَيْـحـانٍ غَـداةَ شَـمـالِ
. . . عَـنِـيـتْ تُـواصِـلُـنـي، فـلـمَّـا رابَـنـي
مـنـهـا الـهـوى، آذنْـتُـهـا بِـزِيَـالِ
وصـرمْـتُ وصْـلَ حِـبـالِـهـا، إنِّـي امْـرؤٌ
وَصَّـالُ أَحْـبـالٍ، صَـرُومُ حِـبـالِ.

٧ ـ دهماء والدهر

. . . هل عَاشِقٌ نالَ مِن دهـمـاءَ حـاجَـتَه
فـي الـجـاهِـلـيَّـةِ، قـبـل الـدِّيـنِ، مَـرْحـومُ؟

عانَقْتُها فانْثَنَتْ طوعَ العناقِ، كما
مالَتْ بِشارِبِها صَهباءُ خُرطومُ
إن ينقصِ الدَّهرُ منِّي، فالفتى غَرَضٌ
لِلدَّهر، مِن عُودهِ وافٍ ومَثْلومُ
وإن يكنْ ذاك مِقداراً أُصِبْتُ بهِ
فَسيرةُ الدَّهرِ تَعْويجٌ وتَقْويمُ،
ما أطيبَ العيشَ لو أنَّ الفتى حَجَرٌ
تَنْبو الحوادِثُ عنه، وهو مَلْمومُ.

٨ ـ الجائع

ولو تُشترى منه لباعَ ثيابَه
بِنَبْحةِ كَلْبٍ، أو بنارٍ يشيمُها.

أبو ذُؤيْب الْهُذَلِيّ

١ ـ مرثية الأبناء

قـالـت أمـيـمـةُ مـا لـجـسـمـك شـاحِـبـاً
مـنـذُ ابْـتُـذلِـتَ ومـثـل مـالِـكَ يـنـفَـعُ
أم مـا لـجِـسـمـكِ لا يـلائِـمُ مـضـجَـعـاً
إلاَّ أقَـضَّ عـلـيـك ذاك الـمـضـجَـعُ؟
... أودى بَـنـيّ فـأعـقـبـونـي حَـسْـرةً
بـعـد الـرُّقـاد، وعـبـرةً مـا تُـقْـلـعُ
ولـقـد حَـرصـتُ بـأن أدافـع عـنـهـمُ
وإذا الـمـنـيَّـةُ أَقْـبَـلـت لا تُـدْفَـعُ
وإذا الـمـنـيَّـة أَنْـشَـبَـت أظـفـارَهـا
أَلْـفـيـتَ كـلَّ تـمـيـمـةٍ لا تَـنْـفَـعُ
... ولـقـد أرى أنَّ الـبـكـاءَ سـفـاهَـةٌ
ولـسـوف يُـولـع بـالـبُـكـا مـن يُـفْـجَـعُ

اسمه خوليد. سافر في إحدى الغزوات إلى أفريقيا، ومات هناك في مصر نحو ٦٤٨م = ٢٧هـ.

والـنَّـفـس راغـبـةٌ إذا رغّـبْـتَـهـا
وإذا تُـرَدّ إلـى قـلـيـلٍ تَـقْـنَـعُ
يـرمـي بـعـيـنـيـهِ الـغـيـوبَ وطـرفُـه
مُـغْـضٍ، يـصـدِّقُ طـرفُـه مـا يـسـمـعُ.

٢ ـ الرابية

كـأنَّـهـا كـاعِـبٌ حَـسْـنـاءُ زَخْـرفَـهـا
حَـلْـيٌ، وَأَتْـرفَـهـا طُـعْـمٌ وإصـلاحُ
قـد ظِـلْـتُ فـيـهـا ـ معي شُـعْـثٌ كأنَّـهـم
إذا يُـشَـبُّ سـعـيـر الـحـرب، أَرْمَـاحُ، ـ

أَمِـنْـكِ بـرقٌ أبـيـتُ الـلَّـيـل أرقـبُـه
كـأنَّـه فـي عـراضِ الـشَّـامِ مـصـبـاحُ.

٣ ـ مالي أحنّ

مـالـي أحـنّ إذا جـمـالـكِ قُـرِّبـت
وأصـدّ عـنـكِ، وأنـتِ مـنّـي أقـربُ
وأرى الـبـلادَ، إذا سـكـنْـتِ بـغـيـرِهـا
جَـدْبـاً، وإن كـانـت تُـطَـلُّ وَتُـخْـصِـبُ

وأرى العدوَّ يحبكم فَأُحبّه

إن كان يُنْسَبُ منكِ أَو يتَنَسَّبُ.

٤ ـ القلب العاصي

عَصاني إليها القلبُ ـ إني لأَمْرِهِ

سميعٌ، فما أدري أَرُشْدٌ طِلابُها؟

فقلتُ لقلبي: يا لَكَ الخير إنّما

يُدلِّيك للموت الجديدِ حِبابُها، ـ

فما الرَّاحُ، راحُ الشَّام جاءت سبيَّةً

لها غايَةٌ تهدي الكرام عُقابُها

بأَطيَب مِن فيها، إذا جئتُ طارِقاً

من اللَّيلِ، والتفَّتْ عليَّ ثِيابُها.

بِشْر بن ربيعة الخَثْعَمِيّ

المعركة

... عَشِيَّةَ وَدّ القَوْمُ لو أنَّ بعضهم
يُعارُ جَناحَيْ طائرٍ فيطيرُ،
إذا ما فَرغْنا من قراعِ كتيبةٍ
دلَفْنا لأُخْرى كالجبالِ تَسيرُ
تَرى القومَ فيها واجمينَ كأنَّهم
جِمالٌ بِأَحْمالٍ لهنَّ زَفيرُ.

مات نحو ٦٥٠م = ٢٩هـ.

حُمَيْد بن ثور الهِلاليّ

١ ـ ذكريات

أَرى بَصَري قد رابَني بعد حِدَّةٍ
وحسبُكَ داءً أَنْ تَصِحَّ وتَسلما
ولا يلبث العَصْرانِ يوماً وليلةً
إذا طَلبا، أَن يُدرِكا ما تيمَّما،
وصَوْتٍ على فَوْتٍ سَمِعتُ، ونَظْرةٍ
تلافَيْتُها واللَّيلُ قد كان أَبْهما
بِجِدَّةِ عَصْرٍ من شبابٍ كأَنَّه
إذا قُمْتُ، يكسوني رداءً مُسَهَّما.

فلو أَنَّ عَوْداً كان، من حُسْنِ صورةٍ،
يُسَلِّم أَو يمشي، مَشى أَو لَسلَّما
من البيضِ، عاشَتْ بين أُمٍّ عَزيزةٍ
وبين أَبٍ بَرٍّ أَطاعَ وأَكرَما

مات على الأرجح نحو ٦٥٠م = ٣٠هـ.

مُـنَـعّـمـةٌ لـو يُـصْـبِـحُ الـذَّرُّ سـاريـاً
عـلـى جِـلْـدِهـا، بَـضَّـتْ مَـدارِجُـهُ دَمـا
مِـن الـبـيـضِ، مِـكْـسالٌ إذا ما تَـلَـبَّـسـت
بِـعَـقْـلِ امْـرِئٍ، لـم يَـنْـجُ مـنـهـا مُـسَـلَّـمـا.

ومـا هـاجَ هـذا الـشَّـوْقَ إلا حَـمَـامَـةٌ
دَعَـتْ سَـاقَ حُـرٍّ، تَـرْحَـةً وتَـرنُّـمـا
تُـبـكِّـي عـلـى فَـرْخٍ لـهـا ثـمَّ تَـغْـتـدي
مُـوَلّـهـةً تـبـغـي لـه الـدَّهـرَ مَـطْـعَـمـا
تُـؤمِّـلُ مـنـه مُـؤْنِـسـاً لانْـفـرادِهـا
وتـبـكـي عـلـيـه إن زَقـا أو تَـرنَّـمـا،
فـلـمَّـا اكـتـسى رِيـشـاً سُـخـامـاً، ولـم يَـجِـدْ
لـه مَـعـهـا فـي بـاحَـةِ الـعُـشِّ مَـجْـثِـمـا
أُتِـيـحَ لـه صَـقْـرٌ مُـسِـفٌّ فـلـم يَـدَعْ
لـهـا وَلَـداً، إلاّ رمـيـمـاً وأَعْـظُـمـا
فَـأَوْفَـتْ عـلـى غُـصْـنٍ ضُـحَـيّـاً فـلـم تَـدَعْ
لِـبـاكـيـةٍ فـي شَـجْـوِهـا مُـتَـلَـوِّمـا
مُـطَـوَّقَـةٌ خَـطْـبـاء تَـصـدحُ كـلَّـمـا
دنـا الـصَّـيـفُ وانْـجالَ الـرَّبـيـعُ فَـأَنْـجَـمـا،

عَجِبْتُ لها أَنّى يكونُ غِناؤُها
فَصيحاً، ولم تَفْغَرْ بِمَنطِقها فَما

خَليليَّ، إنِّي مُشْتَكٍ ما أَصَابَني
لِتَسْتَيْقِنا ما قَدْ لقيتُ وتَعلَمَا

لِتَتَّخِذا لي، بارَكَ اللَّه فيكما،
إلى آلِ ليلى العامِريَّةِ سُلَّما

وإن كان ليلاً، فَالْويا نَسَبيْكُما
وإِن خِفْتُما أن تُعرَفا، فَتَلَثَّما

فإن أَنْتُما اطمأْنَنْتُما وَأَمِنْتُما
وَأَجلَبْتُما ما شِئْتُما، فَتكَلَّما

وقُولا لها: ما تَأْمُرينَ بِصاحِبٍ
لنا، قد تَركْتِ القَلبَ منه مُتَيَّما

أبيني لَنا، إنّا رَحلْنا مَطِيَّنا
إليكِ، وما نَرْجُوه إلاَّ تَوهُّما

فجاءا، ولَمَّا يَقْضِيا ليَ حاجَةً
إليَّ، ولَمَّا يُبْرِما الأَمْرَ مُبْرَما ـ

أَلا هَلْ صدى أُمّ الوليدِ مُكَلِّمٌ
صَدايَ، إذا ما كنتُ رمْساً وأَعْظُما؟

٢ ـ الشجرة ـ المرأة

عَلا النَّبْتُ حتى طال أَفْنانُها العُلا
وفي الماء أَصْلٌ ثابِتٌ وعُروقُ،
فَيا طيبَ رَيَّاها ويا بَرْدَ ظِلِّها
إذا حانَ مِن شَمْسِ النَّهارِ وَديقُ
وهل أنا إن عَلَّلْتُ نفسي بِسَرْحَةٍ
مِن السَّرْحِ، مَسْدُودٌ عليَّ طَريقُ؟
حَمَى ظِلَّها شَكْسُ الخَليقةِ، خائِفٌ
عليها غَرامَ الطَّائِفينَ، شَفيقُ
فلا الظّلّ منها بِالضُّحى تَسْتَطيعُه
ولا الفَيْء منها بالعَشيِّ تَذوقُ
وما وَجْدُ مُشْتاقٍ أُصيبَ فؤادُهُ
أَخي شَهَواتٍ بالعناقِ لَبيقُ
بِأكْثَرَ مِن وَجْدي على ظِلِّ سَرْحَةٍ
من السَّرْح ـ إذ أَضْحى، عليَّ رَفيقُ.

٣ ـ ذكريات، أيضاً

... لَيالِيَ أَبْصارُ الغَواني وسمعُها
إلَيَّ، وإذْ رِيحي لهنَّ جَنُوبُ

وإذْ مـا يـقـولُ الـنَّـاس شـيءٌ مُـهـوَّنٌ
علـينـا وإذ غُـصْـنُ الـشَّـبـابِ رَطـيـبُ،
وإنَّ الـذي مَـنَّـاكَ أن تُـسْـعِـفَ الـمنـى
بـهـا، بـعـد أيَّـامِ الـصِّـبـا، لَـكَـذُوبُ ـ
أظــلُّ كــأنِّــي شــارِبٌ لِــمــدامــةٍ
لـهـا فـي عِـظـامِ الـشَّـاربـيـنَ دَبـيـبُ.

٤ ـ الحمام العاشق

إذا نــادى قَــريــنَــتــه حَــمَــامٌ
جَـرى لِـصـبـابـتـي دَمْـعٌ سَـفـوحُ ـ
هَــفــا لــهـديـلـهِ مِـنِّـي، إذا مـا
تَـغَـرَّدَ سـاجـعـاً، قـلـبٌ قـريـحُ
فـقـلـتُ: حـمـامَـةٌ تـدعـو حَـمـامـاً
وكــلُّ الــحــبِّ نَــزَّاعٌ طَــمــوحُ.

٥ ـ مرآة الزوجة

أَرَتْـهـا بِـخَـدَّيْـهـا غُـضـونـاً كـأنَّـهـا
مَـجَـرُّ غُـضـونِ الـطَّـلْـحِ ما ذُقْـنَ فَـدْفَـدَا
رأَت مَـحْـجِـراً تَـبْـغي الـغَـطـاريـفُ غـيرَه
وفَـرْعــاً أبــى إلا انْــحِـداراً فَـأَبْـعَـدا

وأَسْنانَ سَوْءٍ شاخِصاتٍ كأَنَّها
سَوامُ أُناسٍ، سارحٌ قد تَبَدَّدا.
فَأُقْسِمُ لولا أنَّ حُدْباً تَتابَعَتْ
عَليَّ، ولم أَبْرَحْ بِدَيْنٍ مُطَرَّدا
لَزَاحمتُ مِكْسالاً ـ كأنَّ ثيابَها
تُجِنُّ غَزالاً بالخميلةِ أَغْيَدا...

٦ ـ كبرياء

نَظَرْتُ بوادي الغَمْرِ واللَّيلُ مُقْبِلٌ
يَرِفّ رفيفَ النَّسْرِ، والشَّوقُ طائِرُ،
وأَعلمُ أَنِّي إن تَغطَّيْتُ مَرَّةً
مِن الدَّهرِ، مكشوفٌ غِطائي فَناظِرُ
وما خِلْتُنا أَنْ ليس يَحْجِزُ بينَنا
وبين العِدى إلاَّ القَنا والحوافِرُ
إلى أن نَزلْنا بالفضاء وما لَنا
بهِ مَعْقِلٌ، إلاَّ الرِّماحُ الشَّواجِرُ.

٧ ـ المرأة البخيلة والذئب

ترى رَبَّةُ البَهْم الفرارَ عَشِيَّةً
إذا ما عَدا في بَهْمها، وهو ضَائِعُ

رَأَتْهُ فَشَكَّتْ، وهو أَطْحَلُ مائِلٌ

إلى الأرضِ، مَثْنِيٌّ إليهِ الأكارعُ

هُوَ البَعِلُ الدَّاني مِن النَّاسِ كالَّذي

له صُحْبَةٌ، وَهْوَ العدوُّ المنازعُ

إذا خاف جَوراً من عدوٍّ رمتْ به

مَخالِبُه والجانِبُ المتواسِعُ

وإن باتَ وَحْشاً، ليلةً، لم يَضِقْ بها

ذراعاً، ولم يُصْبِحْ لها وَهْو خاضِعُ

إذا احْتَلَّ حُضْنَيْ بَلْدَةٍ، طُرَّ منهما

لأُخرى، خَفيَّ الشَّخصِ، لِلرِّيحِ تابعُ

وإن حُدِّدتْ أَرضٌ عليهِ، فإنّه

بِعِزَّةِ أخرى، طيِّبُ النَّفسِ قانِعُ

إذا نَالَ مِن بَهْم البَخيلةِ غِرَّةً

على غَفْلَةٍ ممَّا يَرى وهْوَ طالِعُ

تَلومُ، ولو كانَ ابْنَها فَرِحت بهِ

إذا هَبَّ أرواحُ الشِّتاء الزَّعازعُ...

إذا ما غـدا يـومـاً، رأيـت غَـيـابَـةً
مِن الطَّير، ينظرْنَ الذي هو صانِـعُ[*].
يـهـمُّ بـأَمْـرٍ، ثـم يُـزْمِـعُ غـيـرَه
وإن ضـاق أَمْـرٌ مَـرَّةً، فـهـو واسِـعُ،
يَـنـامُ بـإحـدى مُـقْـلَـتَـيْـهِ وَيـتَّـقـي
بِأُخْـرَى الـمـنـايـا ـ فـهـو يَـقْـظـانُ هـاجِـعُ.

(*) هذا البيت والبيت الذي يليه يرويان لابن عنقاء الفزاري.

ضابئ بن الحارث البرجمي

في السجن

... فـإنــي وإيـاكــم، وشـوقـاً إلـيـكـمُ
كـقـابـضٍ مـاءٍ لـم تُـطِـقْـهُ أنـامِـلُـهْ
فـلا يَـقْـبَـلـنْ بـعـدي امـرؤٌ سِـيـمَ خِـطَّـةً
حِـذار لـقـاء الـموتِ، فـالـموت نـائِـلُـهْ.

... وقـائـلـةٍ لا يُـبـعـد الـلَّـه ضـابـئـاً
إذا الـقـرنُ لـم يـوجـد لـه مـن يـنـازِلُـهْ
وقـائـلـةٍ لا يـبـعـد الـلَّـه ضـابـئـاً
إذا احـمـرَّ مـن مَـسِّ الـشِّـتـاء أصـائِـلُـهْ
وقـائـلـةٍ إن مـات فـي الـسِّـجـن ضـابِـىءٌ
لـنـعـم الـفـتـى نـخـلـو بـه ونُـواصِـلُـهْ.

كان بذيئاً شريراً يهوى الصيد والخيل. سجنه الخليفة عثمان لأنه هجا امرأة استعادت كلباً كان استعاره منها، وبقي في سجنه حتى مات. ويقال إن ابنه عمير انتقم له فرفس عثمان وهو يقتل، وكسر ضلعين من أضلاعه. مات نحو ٦٥٠م = ٣٠هـ.

أبو الطَّمحان القَيْنيّ

١ ـ صورة شخصية

حَـنَـتْـنـي حـانِـيـاتُ الـدَّهـرِ حـتَّـى
كـأنِّـي خـاتِـلٌ يـدنـو لِـصَـيْـدِ
قـصـيـرُ الـخَـطـوِ يـحـسـبُ مَـنْ رآنـي
ولـسـتُ مـقـيَّـداً، أَنِّـي بِـقَـيْـدِ.

٢ ـ إضاءة

أضـاءت لـهـم أحـسـابُـهـم ووجـوهُـهـم
دُجى اللَّيلِ حتَّى نَظَّم الجِزْعَ ثَاقِبُهْ
ومـا زال مـنـهـم حـيـثُ كـان مـسـوَّدٌ
تـسـيـر الـمـنـايـا حـيـث سـارت ركـائِـبُـه.

اسمه حنظلة. من الصعاليك الفرسان. اشتهر بمجونه وفسقه. مات نحو ٦٥٠م = ٣٠هـ.

٣ ـ خطة

يا ربّ مَظْلَمةٍ يوماً لَطيتُ بها
تمضي عَليَّ إذا ما غابَ نُصَّاري
حتّى إذا ما انْجلَتْ عنّي غَيابَتُها
وثَبْتُ فيها وثوبَ المُخْدِرِ الضَّاري.

عُروة بن حِزام

١ـ عفراء

عـلـى كَـبِـدي مـن حـبِّ عَـفـراءَ قُـرْحَـةٌ
وعـيـنـايَ مِـن وجـدٍ بـهـا تَـكِـفـانِ
فـعـفـراءُ أرجـى الـنَّـاس عـنـدي مـودَّةً
وعـفـراءُ عـنِّـي الـمـعـرضُ الـمـتُـوانـي
كـأنَّ قَـطـاةً عُـلِّـقـتْ بـجـنـاحِـهـا
عـلـى كَـبِـدي مـن شِـدَّة الـخَـفَـقـانِ.

جَـعـلـتُ لِـعـرَّافِ الـيـمـامـةِ حـكـمـهُ
وعَـرَّافِ نَـجْـدٍ، إنْ هُـمـا شَـفـيـانـي
فـقـالا: نـعـم نـشـفـي مـن الـدَّاءِ كـلِّـهِ
وقـامـا مـع الـعُـوَّادِ يَـبْـتَـدِران
فـمـا تَـركـا مِـن رُقْـيـةٍ يـعـلـمـانِـهـا
ولا سَـلْـوةٍ، إلاَّ وقـد سَـقـيـانـي

اشتهر بحب ابنة عمه عفراء. مات نحو ٦٥٠م = ٣٠هـ.

فـقـالا: شـفـاكَ الـلَّـه، والـلَّـه مـا لَـنـا
بـمـا ضُـمِّـنـتْ مـنـك الـضُّـلـوعُ يَـدانِ.

وإنِّـي لأَهْـوى الـحـشْـرَ، إذ قِـيـل إنـنـي
وعـفـراءَ يـوم الـحَـشْـرِ مُـلْـتَـقِـيـانِ
أَلا يـا غُـرابَـيْ دِمْـنَـةِ الـدَّار بَـيِّـنـا
أَبِـالَـهـجْـرِ مِـن عـفـراءَ تـنـتـحـبـانِ
فَـإن كـان حَـقّـاً مـا تـقـولانِ فـاذْهَـبـا
بِـلـحْـمـي إلـى وَكْـرَيْـكُـمـا فَـكُـلانـي...

أَنـاسِـيـةٌ عـفـراءُ ذِكـريَ بـعـدَمـا
تـرِكْـتُ لـهـا ذِكْـراً بـكـلِّ مـكـانِ؟
كـأنَّ وِشـاحَـيْـهـا إذا مـا ارْتَـدتْـهـمـا
وقـامَـت، عِـنـانـا مُـهْـرَةٍ سَـلِـسـانِ.

٢ ـ غدر القلب

وإنـي لَـيَـعْـرونـي، لِـذكـراكِ رَوْعَـةٌ
لـهـا بـيـن جِـلْـدي والـعـظـام دَبـيـبُ

ومــــا هـــــو إلاَّ أن أَراهـــــا فُـــــجــــاءَةً

فَـــأُبــهــتَ حــتَّــى لا أَكــادُ أُجِـيــبُ،

ويُـضْـمِـر قـلـبـي غـدرَهـا ويُـعـيـنُـهـا

عـلـيَّ، فـمـالـي فـي الـفـؤَادِ نَـصـيـبُ.

مُتَمِّم بن نُويرة اليربوعيّ

١ ـ قبر مالك

لـقـد لامـنـي عـنـد الـقـبـور عـلـى الـبُـكـا
رفـيـقـي، لِـتـذْرافِ الـدُّمـوعِ الـسَّـوافـكِ

أَمِـن أَجـل قَـبْـرٍ بِـالَـمـلا أَنـتَ نـائِـحٌ
عـلـى كـلِّ قـبـرٍ، أو عـلـى كـلِّ هـالِـكِ؟

فـقـلـتُ لـه: إِنَّ الـشَّـجـا يـبـعـث الـشَّـجـا
فَـدَعْـنـي ـ فـهـذا كـلُّـه قـبـرُ مـالـكِ.

٢ ـ مرثية مالك

... فـو الـلَّـهِ مـا أُسْـقـي الـبـلادَ لـحـبِّـهـا
ولـكـنَّـنـي أُسْـقـي الـحـبـيـبَ الـمـودِّعـا

تـحـيَّـتَـه مـنِّـي، وإن كـان نـائِـيـاً
وأمـسـى تـرابـاً فـوقـه الأَرض بَـلْـقَـعـا،

مات نحو ٦٥٠م = ٣٠هـ.

تقولُ ابْنَةُ العَمْريِّ، مالَكَ؟ بَعدمَا
أراكَ حديثاً ناعِمَ البالِ، أَفْرعا

فقلتُ لها: طولُ الأَسى، إذ سَأَلتِني
ولَوعةُ حُزْنٍ تتركُ الوجهَ أَسْفَعا،

وإني، وإن هَازَلْتِني، قد أصابني
من البَثِّ، ما يُبكي الحزينَ المفجَّعا

... فَقَصْرَكِ، إني قد شهدتُ فلم أجد
بكفِّيَ عنهم للمنيَّةِ مَدفعا

فلا فَرِحاً إن كنتُ يوماً بغبطةٍ
ولا جَزِعاً مِما أصاب فَأوْجَعا.

وما وَجْدُ أَظْآرٍ ثلاثٍ روائمٍ
أصَبْنَ مَجَرّاً مِن حُوارٍ ومَصرعا

يُذكِّرنَ ذا البَثِّ الحزينِ ببثِّهِ
إذا حَنَّت الأُولى سجَعْنَ لها مَعا

بِأَوْجدَ مِنِّي يوم قامَ بمالكٍ
منادٍ بصيرٌ بالفراقِ، فأَسْمعا.

أبو مِحْجَن الثقفي

١ ـ الخمرة والموت

إذا مُتُّ فَادْفنِّي إلى جَنْبِ كرمةٍ
تروّي عِظامي بعد موتي عروقُها
ولا تَدْفِننِّي بالفلاة فإنني
أخاف، إذا ما مُتُّ، أَنْ لا أذوقُها.
أُباكِرُها عند الشّروقِ، وتارةً
يُعاجِلُني بعد العَشيّ غبوقُها
وللكأسِ والصهباءِ حَظٌّ مُنَعّمٌ
فمن حقّها أن لا تُضاعَ حقوقُها
وعندي على شُرْبِ العُقار حفيظةٌ
إذا ما نِساءُ الحيّ ضاقَتْ حلُوقُها.

اسمه عمرو، وقيل إنه حبيب بن عمرو. اشتهر بمجونه وسجن لشربه الخمر. مات نحو ٦٥٠م = ٣٠هـ.

٢ ـ الخمرة والنار

أَلا سَقِّني يا صاحِ خمراً فإنني
بما أنزل الرَّحمانُ في الخمر عالمُ
وجُدْ لي بها صِرْفاً لأَزدادَ مأثماً
ففي شربها صرفاً تتمّ المآثمُ
هيَ النَّار إلاَّ أنني نلتُ لذَّةً
وقضّيتُ أوطاري وإن لام لائِمُ.

٣ ـ بكاء

أَلم ترَ أنَّ الموتَ يَعثرُ بالفتى
ولا يَستطيع المرء صَرْفَ المقادرِ؟
ضُربْتُ فلم أجزعْ ولم أكُ جازِعاً
لحادثِ دَهْرٍ في الحكومةِ جائرِ
وَإنّي لَذو صَبْرٍ وقد مات إخوتي
ولستُ عن الصّهباء يوماً بصابرِ
رَمَاها أمير المؤمنين بِحتفِها
فخِلاّنها يبكون حول المعاصرِ.

٤ ـ إلى امرأة

إنَّ الـكـرامَ عـلـى الـجـيـادِ مَـقـيـلـهُـم
فـذري الـجـيـادَ لأَهـلِـهـا، وتـعـطّـري.

٥ ـ إن كانت الخمر

إن كـانـت الـخـمـر قـد عَـزَّت وقـد مُـنِـعَـتْ
وحـال مـن دونـهـا الإِسـلامُ والـحَـرَجُ،
فـقـد أُبـاكِـرُهـا رِيّـاً وأشـربُـهـا
صِـرْفـاً وأطـربُ أحـيـانـاً فـأمـتـزجُ
وقـد تـقـوم عـلـى رأسـي مـغـنِّـيـةٌ
فـيـهـا إذا رفّـعـت مـن صـوتِـهـا، غُـنُـجُ.

٦ ـ في السجن

كـفـى حـزنَـاً أن تـطـردَ الـخـيـلُ بـالـقَـنـا
وأُتـركَ مـشـدوداً عـلـيَّ وثـاقِـيـا
إذا قـمـتُ عَـنَّـانـي الـحـديـدُ وأُغْـلِـقـت
مـصـاريـعُ مِـن دونـي تُـصِـمُّ الـمـنـاديـا
. . . أريـنـي سـلاحـي، لا أبـالـكِ، إنّـنـي
أرى الـحـربَ مـا تـزداد إلاَّ تَـمَـاديـا.

٧ ـ عهد

نُعاهِد أطراف القَنا، فَنفي لها
إذا لم تُضَرَّجْ من دَمٍ، أن تُحطَّما.

٨ ـ قوم البغي

لمَّا رأينا خيلاً محجَّلةً
وقومَ بَغْيٍ في جحفلٍ لَجِبِ
طِرْنا إليهم بكلِّ سَلْهَبةٍ
وكلّ صافي الأديم كالذَّهبِ،
... لمَّا التقينا، مات الكلامُ ودارَ
الموتُ دَوْرَ الرَّحى على القُطُبِ
إن حَملُوا لم نَرِمْ مواضِعَنا
وإن حَملْنا، جَثَوْا على الرُّكَبِ.

٩ ـ لا تسألي

لا تَسْألي النّاسَ عن مالي وكَثْرتهِ
وسَائِلي القومَ عن بَذلي وعن خلُقي

عَـفٌّ الـمـطـالـبِ عَـمّـا لـسـتُ نـائِـلَـهُ

وإن ظُـلِـمْـتُ شـديـدُ الـحِـقْـد والـحـنَـقِ

وَأكـشـفُ الـمـأزِقَ الـمـكـروبَ غُـمَّـتـهُ

وأكـتـم الـسّـرَّ فـيـه ضَـرْبـةُ الـعُـنُـقِ.

سُحَيْم عبد بني الْحَسْحاس

١ ـ عُري الحبّ

فكم قد شَقَقْنا من رداءٍ مُنَيَّرٍ
ومن بُرقُعٍ عن طَفْلَةٍ غير عانسِ
إذا شُقّ بُرْدٌ، شُقَّ بالبُرْد بُرقُعٌ
دواليكَ، حتَّى كلّنا غير لابسِ.

٢ ـ امرأة

كأنَّ الثريَّا عُلِّقت فوق نحرها
وجمرَ غَضىً هبَّتْ له الرِّيح ذاكيا
تُريكَ غداةَ البَيْنِ كفّاً ومعصماً
ووجهاً كدينار الأَعزَّةِ صافيا
ومن يَكُ لا يبقى على النَّأي ودُّهُ
فقد زوَّدت زاداً عُمَيْرةُ باقِيا
... تُوسِّدني كفّاً وتثني بمعصمٍ
عليَّ، وتحوي رِجْلَها من ورائيا

كان عبداً أسود قتل بسبب تغزله الجَريء بالنساء نحو ٦٦٠م = ٤٠هـ.

وهَبَّت لنا ريحُ الشَّمال بقوَّةٍ
ولا ثوبَ إلاَّ بُردُها وردائيا
فما زال بُردي طيِّباً من ثيابِها
إلى الحَولِ، حتى أنهج الثوب، باليا.

... أشَارت بِمِذْراها وقالت لتِرْبِها
أَعبْدُ بني الحَسْحاسِ يُزجي القوافيا؟
رأتْ قَتَباً رَثّاً وسَحْقَ عباءةٍ
وأسودَ، ممَّا يملك النَّاس عاريا
يُرجِّلْنَ أقواماً ويتركن لِمَّتي
وذاك هَوانٌ ظاهِرٌ قد بدا لِيَا
فلو كنت وَرْداً لونُه لَعشِقْنَني
ولكنَّ ربِّي شَانَني بسواديا.

٣ ـ المطر

بكى شَجْوهُ واغتاظَ حتى حسبتَه
مِن البُعد لمَّا جلجلَ الرَّعدُ حادِيا.

٤ ـ المرض

ماذا يُريدُ السَّقامُ مِن قمرٍ
كلُّ جمالٍ لوجههِ تَبَعُ

مـا يـبـتـغـي؟ جـار فـي مـحـاسِـنـهـا
أَمـا لَـهُ فـي الـقِـبَـاحِ مُـتَّـسـعُ؟
غَـيِّـر مـن لـونِـهـا وصَـغِّـرهـا
فَـزيـدَ فـيـه الـجـمـالُ والـبِـدَعُ.

٥ ـ قبيل الموت

شُـدُّوا وِثـاقَ الـعـبـد لا يُـفْـلِـتْـكُـم
إن الـحـيـاة مـن الـمـمـاتِ قـريـبُ
فـلـقـد تـحـدّر مِـن جـبـيـنِ فـتـاتِـكـمْ
عَـرَقٌ عـلـى ظَـهـر الـفِـراش وطـيـبُ.

٦ ـ العاشقتان

. . .وجـدتُـهـمـا يـومـاً، ولِـلـصَّـيْـدِ غِـرَّةٌ،
تـدقّـان مِـسْـكـاً، مـائِـلاً بـرقُـعـاهُـمـا
بـكـت هـذه، وارفـضّ مـدمـع هـذهِ
وأذريْـتُ دمـعـي فـي خـلالِ بُـكـاهُـمـا
تَـمـنَّـيـتُ أن ألـقـاهُـمـا وتَـمَـنَّـتـا
فلـمَّا التقيْنا، اسْتَحْيَتا مِن مُناهُما.

النجاشي

١ ـ حزن

كـأنّـي أراهـم يـطـرحـون ثـيـابَـهـم
مِـن الـرَّوع والـخَـيْـلانِ تَـطَّـرِدانِ
فَـيَـا حَـزَنـا أَلاَّ أكـونَ شـهـدتُـهـم
فَـأدْهَـنَ مـن شَـحْـمِ الـلِّـئـام سِـنـانـي.

٢ ـ الذئب

ومـاءٍ كَـلـونِ الـغِـسْـل قـد عـاد آجِـنـاً
قـلـيـلٌ بـهِ الأَصـواتُ، فـي بَـلَـدٍ مَـحْـلِ
وجـدْتُ عـلـيـه الـذِّئـبَ يَـعْـوي كـأنَّـه
خـلـيـعٌ خَـلا مِـنْ كـلّ مـالٍ ومـن أهـلِ،
فـقـلـتُ لـه: يـا ذئـبُ، هـل لَـك فـي فـتـىً
يـؤَاسـي بـلا مَـنٍّ عـلـيـكَ ولا بُـخْـلِ؟

اسمه قيس. اشتهر بالهجاء. هدده الخليفة عمر بقطع لسانه. اتهم بالزندقة والفسق. مات نحو ٦٦٠م = ٤٠هـ.

فقالَ: هَداك اللَّه للِرُّشدِ، إنَّما
دعوتَ لِما لم يَأْتهِ سَبُعٌ قبلي.
... فَطرُّبَ يَسْتَدْعي ذئاباً كثيرةً
وعدَّيْتُ ـ كُلٌّ من هَواهُ على شُغْلِ.

لبيد بن ربيعة العامري

١ ـ من المعلّقة

... وجلاَ السّيول عن الطّلولِ كأنّها
زُبُرٌ تُجِدّ مُتونَها أَقلامُها

فَوقفْتُ أَسْألُها وكيف سؤالُنا
صُمّاً خوالدَ ما يَبينُ كلامُها؟

...

فَاقطعْ لُبانةَ من تعرَّض وصلهُ
ولَشَرّ واصلِ خُلَّةٍ صَرّامُها

...

أولم تكن تدري نَزار بأنّني
وَصّالُ عَقْدِ حبائلٍ جَذّامُها

تَرّاكُ أمكنةٍ إذا لم أَرْضها
أو يَعْتَلِقْ بعض النّفوسِ حِمامُها

من الشعراء الفرسان. مات نحو ٦٦١م = ٤١هـ.

بـل أنـتِ لا تَـدريـن كـم مِـن لـيـلـةٍ
طَـلْـقٍ لـذيـذٍ لَـهـوُهـا ونِـدامُـهـا
قَـد بِـتّ سـامِـرَهـا وغـايـةَ تـاجـرٍ
وافَـيـتُ إذ رُفِـعـت وعَـزّ مُـدامُـهـا
أُغـلـي الـسِّـبَـاءَ بـكـلّ أدكـنَ عـاتـقٍ
أو جَـوْنـةٍ قُـدِحـت وفُـضَّ خِـتـامُـهـا

. . .

مِـن مَـعْـشـرٍ سَـنَّـت لـهـم أبـاؤُهـم
ولـكـلّ قَـومٍ سُـنَّـةٌ وإِمـامُـهـا
لا يـطـبـعـون(*) ولا يـبـورُ فَـعـالُـهـم
إذ لا تـمـيـل مـع الـهـوى أحـلامُـهـا
وإذا الأمـانَـةُ قُـسّـمـت فـي مَـعْـشـرٍ
أَوْفـى بـأوفَـر حَـظِّـنـا قَـسَّـامُـهـا
فَـبـنَـى لـنـا بـيـتـاً رفـيـعـاً سَـمـكـهُ
فَـسـمـا إلـيـهِ كـهـلُـهـا وغُـلامُـهـا
وهُـم الـسُّـعَـاةُ إذا الـعـشـيـرة أُفْـظِـعـت
وهُـمُ فَـوارسُـهـا وهـم حُـكَّـامُـهـا.

(*) الطّبع: التدنّس والتلطّخ.

٢ ـ امرأة

... وفي الحُدوجِ عَروبٌ غير فاحشةٍ
رَيَّا الرَّوادفِ يَعْشى دونَها البَصَرُ
كأنَّ فاها، إذا ما الليل ألبسها،
سَيَّابَةٌ ما بِها عيبٌ ولا أثَرُ.

قالت غداةَ انتجيْنا عند جارتها:
أنت الذي كنتَ، لولا الشَّيبُ والكِبَرُ
فقلتُ: ليس بياض الرأسِ منِ كِبَرٍ
لو تعلمين، وعند العالمِ الخَبَرُ
ما يمنع اللَّيل منِّي ما هَمَمْتُ بهِ
ولا أَحارُ، إذا ما اعتادني السَّفَرُ
ولا أقول إذا ما أَزْمَةٌ أَزَمت:
يا ويحَ نفسيَ مما أحدث القدَرُ.

٣ ـ لا الفرح ولا الجزع

... فلا جَزِعٌ إن فَرّق الدّهر بيننا
وكلّ فتىً يوماً به الدّهرُ فاجِعُ
فلا أنا يأتيني طريفٌ بِفرْحَةٍ
ولا أنا مِما أحدثَ الدّهرُ جازِعُ

وما المرءُ إلا كالشّهاب وضوئهِ
يحورُ رماداً بعدَ إِذْ هو ساطِعُ
وما المالُ والأهلونَ إلاّ وديعةٌ
ولا بُدّ يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ
أليس ورائي، إن تَرَاخَتْ منيّتي
لزومُ العَصا تُحنى عليها الأصابعُ؟

أخبّر أخبارَ القُرون التي مضت
أَدِبُّ كأنّي، كلّما قمتُ، راكعُ
فأصبحتُ مثلَ السّيف غَيَّر جفنَهُ
تقادمُ عَهْدِ القَيْنِ والنَّصل قاطِعُ
فلا تَبعدَنْ إن المنيّةَ موعِدٌ
عليكَ، فَدانٍ للطلوعِ وَطا لِعُ.

٤ ـ الحمار الوحشي

يطرِّبُ آناءَ النَّهار كأَنَّه
غَوِيٌّ سقاهُ في التِّجار نديمُ
أُميلت عليه قَرْقَفٌ بابِليَّةٌ
لها، بعد كأسٍ في العظام هميمُ.

٥ ـ أربد

أخشى على أربدَ الحتوفَ ولا
أرهب نَوْءَ السِّماكِ والأَسدِ،
لم يُبْلغِ العينَ كلَّ نَهْمَتِها
ليلةَ تُمسي الجِيادُ كالقِدَدِ
... حلوٌ كريمٌ وفي حَلاوتهِ
مُرٌّ لطيفُ الأحشاءِ والكبدِ.

٦ ـ الملل

... وإذا رمتَ رَحيلاً فارتحلْ
وَاعْصِ ما يأمر توصيمُ الكسَلْ
وَاكْذِبِ النّفس إذا حدّثتَها
إنّ صدق النَّفسِ يُزْري بالأمَلْ
وأخو القَفْرةِ ماضٍ همّهُ
كلّما شاءَ على الأَيْنِ ارتحلْ
... مِن حياةٍ قد مللْنا طولَها
وجَديرٌ طولُ عيشٍ أن يُمَلّْ.

٧ ـ لماذا العيش؟

. . . وإلاَّ، فما بالموتِ ضُرٌّ لأَهلهِ
ولم يُبْقِ هذا الدَّهرُ في العيشِ مَنْدَما.

٨ ـ أمنية

تَمَنَّى ابنتايَ أن يعيشَ أبوهُما
وهل أنا إلاّ من ربيعةَ أو مضرْ؟
فقوما فقولا بالذي قد علمتما
ولا تَخْمِشا وجهاً، ولا تَحلِقا شَعَرْ
وقولا هو المرءُ الذي لا خليلَهُ
أضاعَ، ولا خانَ الصّديقَ ولا غَدَرْ
إلى الحَوْلِ، ثمّ اسْمُ السّلام عليكما
ومَنْ يَبْكِ حولاً كامِلاً، فقد اعتذَرْ.

٩ ـ كلام الحبيبة

. . . كأنَّ الشَّمولَ خالطت في كلامها
جَنيّاً من الرُّمان، لَذْناً وذابِلا

يُشَنُّ عليها من سلافةِ بارقٍ
سَناً رَصَفاً من آخر اللَّيل سائِلا.

١٠ ـ وداع الأرض

بكتنا أرضُنا لمَّا ظَعنَّا
وحيَّتْنا سُفيْرَةُ والغَيَامُ.

١١ ـ زوال

ألاَ كلّ شيءٍ ما خلا اللّهَ، باطِلُ
وكلّ نعيمٍ، لا مَحالةَ، زائِلُ
إذا المرء أسرى ليلةً ظنّ أنّه
قضَى عملاً، والمرء ما عاش آمِلُ
حبائلُه مبثوثةٌ بِسبيلِهِ
ويَفْنَى إذا ما أَخْطأَتْهُ الحبائِلُ
فَقُولا له إن كان يقسمُ أمرَهُ:
أَلَمّا يَعِظْكَ الدّهرُ؟ أمُّكَ هابِلُ
فَإنْ أنتَ لم تصدمْكَ نفسُكَ فَانْتسِبْ
لعلّكَ تَهديكَ القرونُ الأوائِلُ.

النَّابغة الجعدي

١ ـ امرأة

أضاءت لنا النَّار وجهاً أَغرَّ
مُلْتَبساً بالفؤَادِ الْتِباسا
إذا ما الضَّجيعُ ثَنى جيدَها
تَثنَّتْ عليهِ ـ فكانت لِباسا.

٢ ـ أدب الحرب

ولسنا نردّ الرُّوحَ في جسم ميِّتٍ
ولكن نسلُّ الرُّوحَ مِمَّن تَيَسَّرا،
مَلَكْنا، فلم نكشفْ قناعاً لِحُرَّةٍ
ولم نَسْتَلِبْ إلاَّ الحديدَ المسمَّرا.

اسمه قيس، على الأرجح، وقيل حبان. هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام. أقام في بلاط الملوك اللخميين في الحيرة. اشترك في فتح فارس، وناصر علياً في صفين. توفي في أصفهان نحو ٦٧٠م = ٥٠هـ.

ابن أَرْطاة

١ ـ نديم

. . . أَغَــرّ، راووقُــه مــلآنُ صــافِـيــةً
تَـنْفي الـقَذى عـن جَبيـن غيـر خَزْيانِ
أُمسـي أُعـاطيـهِ كـأساً لـذَّ مَـشْـرَبُـهـا
كـالـمِسك حُـفَّـت بِـنِسريـنٍ وريـحـانِ
سـبـيـئـةً مـن قـرى بـيـروت صـافِـيـةً
عَـذْراء، أو سُـبِـئَـتْ مِـن أرض بَـيْسـانِ
إنَّـا لَـنـشـربُـهـا حـتـى تـمـيـلَ بِـنـا
كـمـا تـمـايَـلَ وَسْـنـانٌ بِـوَسْـنـانِ.

٢ ـ خمرة

ويـا ربَّ يـومٍ قـد شـهـدتُ بـنـي أبـي
عـلـيـهـا، إلـى أن غـابَ تـالـيـةُ الـنَّـجْـمِ

هو عبد الرحمن بن سيحان. اشتهر بمجونه. مات نحو ٦٧٠م = ٥٠هـ.

حَسَوْها صلاةَ العَصْرِ، والشَّمْسُ حَيَّةٌ
تُدارُ عليهم بالصَّغيرِ وبالضَّخْمِ
فماتوا وعاشوا والمُدامَةُ بينهم
مُشعْشَعةٌ كالنَّجم تُوصَفُ بالوهْمِ.

٣ ـ سكرة

باتَ الوليدُ يُعاطيني مُشعشعةً
حتى هويتُ صريعاً بين أصحابي
لا أسْتطيع نهوضاً إن هممتُ بهِ
وما أُنَهْنَهُ من حَسْوٍ وتَشْرابِ
حتى إذا الصُّبح لاحت لي جوانبه
وَلّيتُ أسْحبُ نحو القوم أثوابي،
كأنَّني مِن حُميَّا كأسهِ جَمَلٌ
صحَّت قوائِمهُ مِن بعدِ أَوْصابِ.

ابن ذي الحبْكَة النَّهدي

شهوة الضلال

لَعمْرِيَ إن أَطْرَدْتَني، ما إلى الذي
طمعتَ به من سَقْطَتَيَّ سبيلُ
رجوتَ رجوعي يابْنَ أَرْوى ورجعتي
إلى الحقِّ زَهْواً، غال حلمكَ غُولُ
وإنَّ اغترابي في البلاد وجفوتي
وشَتْمِيَ في ذات الإلهِ قليلُ.

اسمه كعب. ممن اشتركوا في قتل الخليفة عثمان. اتهم بالسحر. لا يعرف تاريخ موته.

سُحيم بن وثيل الرِّياحي

ويحك لولا الخمور

تــقــولُ حَــذْراءُ: لــيــس فــيــكَ
سوى الـخـمـر مـعـيـب يـعـيـبـه أحـدُ
فـقـلـتُ: أخـطـأتِ، بـل مـعـاقـرتـي
الـخـمـرَ وبَـذْلـي فـيـهـا الـذي أَجِـدُ
هـو الـثَّـنـاءُ الـذي سـمـعـتِ بـهِ
لا سَـبَـدٌ مُـخـلـدي ولا لَـبَـدُ(*).

وَيْـحـكِ لـولا الـخـمـورُ لـم أحـفـلِ
الـعـيـشَ ولا أنْ يـضـمَّـنـي لَـحَـدُ
هـي الـحَـيـا والـحـيـاةُ والـلَّـهـوُ
لا أنـتِ ولا ثَـرْوةٌ ولا وَلَـدُ.

أدرك في الجاهلية أربعين سنة، وفي الإسلام ستين، كما يروى.

(*) لا سبد مخلدي ولا لبد: لا يخلدني شيء ـ لا القليل ولا الكثير.

هُدْبَة بن خَشْرَم

الغد القريب

عسى الكرْبُ الذي أَمسيْت فيهِ
يكون وراءَه فَرَجٌ قريبُ
فَيأمَنَ خائِفٌ، ويُفَكّ عانٍ
ويأتيَ أهلَه النَّائي الغريبُ،

أَلا ليتَ الرِّياح مُسخَّراتٌ
بحاجتِنا، تُباكِرُ أو تؤوبُ
فتخبرَنا الشَّمال إذا أَتَتْنا
وتُخبرُ أهلَنا عنَّا الجنوبُ،

فإن يَكُ صدرُ هذا اليوم ولّى
فإنَّ غداً لِناظرِهِ قريبُ.

حبس وقتل ثأراً نحو ٦٧٠م = ٥٠هـ.

حسَّان بن ثابت الأَنصاري

١ ـ النبيّ

خُـلِـقْـتَ مُـبـرَّأً مِـن كـلِّ عـيـبٍ
كـأَنَّـك قـد خُـلِـقْـتَ كـمـا تَـشـاءُ.

٢ ـ النبيّ

لـقـد خـابَ قـومٌ غـاب عـنـهـم نـبـيّـهـم
وقُـدّس مـن يَـسْـري إلـيـهـم وَيـغْـتَـدي
تَـرحَّـل عـن قـوم فـضـلّـت عـقـولـهـم
وحـلَّ عـلـى قَـومٍ بـنـورٍ مُـجـدّدِ
نـبـيٌّ يـرى مـا لا يـرى الـنَّـاس حـولـه
ويـتـلـو كـتـاب الـلَّـه فـي كـلِّ مـسـجـدِ
وإنْ قـال فـي يـومٍ مـقـالـةَ غـائـبٍ
فَتَصْدِيقُها في اليوم أو في ضحى الغدِ.

توفي نحو ٦٧٤م = ٥٤هـ.

٣ ـ النبي

رسـولٌ نـصـدِّقُ: مـا جـاءَهُ
من الـوحْـي، كـان سـراجـاً مـنـيـرا.

٤ ـ الأعداء

وقَـوْمٍ مـن الـبـغـضـاء زَوْرٍ كـأنَّـمـا
بـأجـوافـهـم، مـمّـا تُـجِـنُّ لـنـا، الـجَـمْـرُ
يـجـيـشُ بـمـا فـيـه لـنـا الـصَّـدرُ مـثـلـمـا
تـجـيـشُ بـمـا فـيـهـا من الـلَّـهَـبِ الـقِـدْرُ.

٥ ـ عطاء

لِـسـانـي وسـيـفـي صـارمـان، كِـلاهُـمـا
وَيبلغُ ما لا يبلغُ السَّيفُ، مِزْودي(*)
وإِنْ أَكُ ذا مَـالٍ كـثـيـرٍ أجُـدْ بـهِ
وإنْ يُعْتَصَرْ عودي، على الجُهْدِ، يُحمَدِ
وإنّـي لـمُـعْـطٍ مـا وجـدتُ، وقـائـلٌ
لـمـوقـدِ نـاري، لـيـلـةَ الـرّيـح، أَوْقـدِ

(*) المزود: اللّسان.

وإنّـي لـقـوّالٌ لـذي الـبَـثّ مـرحـبـاً
وأَهْـلاً، إذا مـا رِيـعَ مـن كـلّ مَـرْصَـدِ
وإنّـي لـحـلْـوٌ تـعـتـريـنـي مـرارةٌ
وإنّـي لَـشَـرّاكٌ لِـمَـا لَـمْ أُعـوَّدِ.

٦ ـ فكرة

ربَّ حِـلْـمٍ أضـاعَـهُ عَـدَمُ الـمـالِ،
وجَـهْـلٍ غَـطَّـى عـلـيـهِ الـنَّـعـيـمُ.

٧ ـ رفقة

لـلّـه دَرّ عِـصـابَـةٍ نـادمـتُـهـم
يـومـاً بِـجِـلّـق فـي الـزّمـان الأوّلِ

الـضـاربـونَ الـكَـبْـشَ يـبـرق بـيـضـهُ
ضـربـاً يَـطـيـحُ لـه بَـنـانُ الـمَـفْـصـلِ
والـخـالـطـون فـقـيـرهـم بـغـنِـيّـهـم
والـمُـنـعـمـون عـلـى الـضّـعـيف الـمُـرْمـلِ

ولـقـد شـربْـتُ الـخـمـرَ فـي حـانـوتـهـا
صـهـبـاءَ، صـافـيـةً، كـطَـعْـمِ الـفُـلْـفـلِ

يَسْعى عليَّ بكأسِها مُتَنطِّفٌ
فيُعلِّني منها ولو لَمْ أَنْهَلِ
إنّ التي ناولتَني فرَددتُها
قُتِلَتْ، قُتِلْتَ، فهاتِها لم تُقْتَلِ
بزجاجةٍ رَقَصت لما في قَعْرِها
رَقْصَ القُلوصِ براكبٍ مُسْتعْجلِ.

٨ ـ امرأة

هَمُّها العطرُ والفراشُ، ويعلُوها
لجينٌ ولؤْلؤٌ منظومُ
لَوْ يَدِبّ الحَوْليُّ من وَلَدِ الذَّرِّ عليها لأَنْدبَتها الكلومُ.

٩ ـ فن

لا أَسْرِقُ الشّعراءَ ما نطقوا
بل لا يُوافِق شعرهم شِعري
إني أبَى لي ذلكم حَسَبي
ومقالَةٌ كمقالِعِ الصّخْرِ.

١٠ ـ سجيّة

إذا انـصـرفـت نـفـسـي عـن الـشّـيءِ مـرّةً
فـلـسـتُ إلـيـهِ، آخـرَ الـدَّهـر، مُـقْـبِـلا.

١١ ـ كلّ يوم

لـــنَـــا فـــي كـــلّ يـــومٍ مِـــن مَـــعَـــدٍّ
سِـــبَـــابٌ، أو قِـــتَـــالٌ، أو هـــجـــاءُ
فـنـحـكـمُ بـالـقـوافـي مـن هَـجـانـا
ونـضـربُ حـيـن تـخـتـلـط الـدّمـاءُ
ألا أَبْـــلـــغ أبـــا ســـفـــيـــان عـــنّـــي:
فـأنـتَ مـجـوّفٌ، نَـخِـبٌ، هـواءُ(*).

١٢ ـ لو كنت حرّاً

أبَـا لـهَـبٍ، أَبْـلِـغ بـأنّ مـحـمّـداً
سـيـعـلـو بـمـا أَدَّى، وإن كـنـتَ راغـمَـا
وَلَـوْ كـنـتَ حـرّاً فـي أرومـةِ هـاشـمٍ
وفـي سِـرّهـا مـنـهـم، منـعـتَ الـمـظـالِـمـا

(*) معاني الكلمات الثلاث تباعاً: جبان، لا فؤادَ له، خالٍ من العقل.

ولـكـنّ لِـلـحْـيـانـاً أبـوكَ ورثـتَـه
ومأوى الخنا منهم، فدع عنكَ هاشِمَا
سَـمـت هـاشِـمٌ لـلـمـكـرماتِ ولـلـعـلـى
وغودرتَ في كَأْبٍ(*) من اللّؤم جاثِما.

١٣ ـ النبيّ

كـنـتَ الـسّـوادَ لـنـاظـري فَـعَـمـي عـلـيـك الـنّـاظِـرُ
مَـن شـاءَ بـعـدكَ فَـلـيـمـتْ فعـلـيـكَ، كـنـتُ أُحـاذِرُ.

١٤ ـ أخلاّء

أخـلاّءُ الـرّخـاءِ هُـمُ كـثـيـرٌ
ولـكـن فـي الـبـلاءِ هُـمُ قَـلـيـلُ
فـلا يَـغْـرُرْكَ خُـلّـةُ مـن تُـؤَاخـي
فـمـا لـكَ عـنـدَ نـائـبـةٍ خـلـيـلُ.

١٥ ـ قوم

لا بـأسَ بـالـقـوم مِـن طـولٍ ومـن عِـظَـمٍ:
جـسـمُ الـبِـغَـالِ وأحـلامُ الـعـصـافـيـرِ.

(*) الكأب: سوء الحال، والغمّ، والانكسار.

١٦ ـ فنّ الشعر

ـ ١ ـ

وإنّــمــا الــشّــعــر لُــبُّ الــمَــرْءِ يــعــرضــهُ
علــى الــمـجـالــسِ، إنْ كَـيْـسـاً وإنْ حُـمُـقَـا
وإنّ أشـــعــــرَ بــــيـــتٍ أنـــتَ قـــائـــلـــهُ
بـــيـــتٌ يـــقـــال، إذا أنـــشـــدتَـــه، صـــدَقـــا.

ـ ٢ ـ

تَـــغـــنَّ فـــي كـــلّ شـــعـــرٍ أنـــتَ قـــائـــلـــهُ
إن الـــغـــنـــاءَ لـــهـــذا الـــشـــعـــر مـــضـــمـــارُ
يَـــمِـــيـــزُ مُـــكْـــفـــأَهُ(*) عـــنـــه، ويـــعـــزلُـــه
كـــمـــا تَـــمـــيـــزُ خـــبـــيـــثَ الـــفـــضّـــةِ الـــنَّـــارُ.

(*) المكفأ: الفاسد.

كعب بن جُعَيْل التّغلبيّ

١ـ امرأة

ثَوَتْ نصف شَهْرٍ تَحْسبُ الشَّهرَ ليلةً
تُناغي غَزالاً سَاجِيَ الطَّرْفِ أَحْوَرا
تَزَيَّنُ حتَّى تَسْلُبَ المرءَ عَقْلَهُ
وحتى يَحَارَ الطَّرف فيها ويَسْكرا.

٢ ـ الضَّرع

... فلم أَسْتَطِعْ إدراكَهُ بعدما مَضى
وكيف يردُّ الدّرَّ في الضَّرْعِ حالِبُهْ؟

توفّي نحو ٦٧٥م = ٥٥هـ.

عمرو بن الأهتم*

كرَم

وَمُسْتَنْبِحٍ بعد الهدوءِ دعوتُهُ
وقد حانَ من نجم الشِّتاء خفوقُ
يُعالِجُ عِرْنيناً مِن اللَّيل بارداً
تلفّ رِياحٌ ثوبَهُ وبروقُ
تألَّقُ في عينٍ من المزْنِ وادِقٍ
له هَيْدَبٌ داني السَّحابِ دَفُوقُ،

أَضفْتُ، فلم أُفْحِشْ عليهِ، ولم أقلْ
لأَحرمَهُ: إنَّ المكانَ مَضيقُ -
لعمركَ ما ضاقَتْ بلادٌ بأهلِها
ولكنَّ أخلاقَ الرِّجالِ تَضيقُ.

---

* اشتهر بجماله وشرفه. وهو الذي قال النبي بصدد شعره الكلمة المأثورة: «إن من الشعر لحكماً وإن من البيان لسحراً» مات نحو ٦٧٧م = ٥٧هـ.

الحطيئة

١ ـ امرأة

يـظـلّ ضـجـيـعُـهـا أَرِجـاً عـلـيـهِ
مـفـارِقُـهـا، مِـن الـمـسْـكِ الـذكـيِّ
يُـعـاشـرهـا الـسَّـعـيـدُ ولا تـراهـا
يـعـاشِـرُ مـثـلَـهـا جَـدّ الـشَّـقـيِّ
فـمـا لَـك غـيـر تَـنْـظـارٍ إلـيـهـا
كـمـا نَـظَـرَ الـفـقـيـرُ إلـى الـغـنـيِّ.

٢ ـ ضوء المجد

نـمشي عـلى ضـوء أحسـابٍ أضـأنَ لـنـا
كـمـا أضـاءت نـجـوم الـلَّـيـلِ لـلسَّـاري.

اسمه جرول. يروى أنه كان لا يعرف له أباً معيناً ولا يعرف أنه ينتمي لقبيلة معينة. هجا أمه وهجرها لأنها لم تدله على أبيه. اشتهر ببخله وسخريته. مات نحو ٦٨٠م = ٥٩هـ.

٣ ـ وجه الشاعر

أَبَـتْ شـفـتـايَ الـيـومَ إلاَّ تـكـلّـمـاً
بـشـرٍّ ـ فـمـا أدري لِـمـن أنـا قـائِـلُـهْ

أرى لـيَ وجـهـاً شـوَّه الـلَّـه خـلـقَـه
فَـقُـبِّـحَ مِـن وجـهٍ وقُـبِّـح حـامِـلُـهْ.

٤ ـ البخيل

كَـدحْـتُ بـأظـفـاري وأعـمـلـتُ مِـعـولـي
فـصـادفْـتُ جـلـموداً مـن الـصَّـخـر أَمْـلسـا

تَـشـاغَـلَ لـمَّـا جـئـتُ في وجـه حـاجـتي
وأطْـرقَ حـتـى قـلـت قـد مـات أوْ عـسـى.

٥ ـ اليأس

أزمـعْـتُ يـأسـاً مـبـيـنـاً مـن نـوالِـكـمُ
ولـن تـرى طـارداً لـلـحـرِّ كـالـيـاسِ،

. . . دَعِ الـمـكـارمَ ـ لا تـرحـل لِـبـغْـيـتـهـا
واقـعـدْ، فـإنـك أنـت الـطَّـاعِـمُ الـكـاسـي.

٦ ـ الصياد الكريم

وطاوي ثلاثٍ عاصبِ البَطْنِ، مُرْملٍ
ببيداءَ، لم يعرف بها ساكِنٌ رَسْما
أخي جَفْوةٍ، فيه من الإِنْسِ وِحْشَةٌ
يرى البؤسَ فيها، من شراستهِ، نُعْمى
تفرَّدَ في شِعْبٍ عجوزاً، إزاءها
ثلاثة أشباحٍ تخالُهُم بَهْما
عُفاةٌ عراةٌ ما اغتذوا خبزَ مَلَّةٍ
ولا عرفوا للِبُرِّ، مذ خُلِقوا، طَعْما،

رأى شبَحاً وسْطَ الظَّلام فراعه
فلمَّا بدا ضيفاً، تصوَّر واهتمّا
فقال ابنهُ، لمَّا رآه بِحيرةٍ،
أَيا أَبتِ اذْبَحْني، ويَسِّر له طُعْما
ولا تَعْتَذِرْ بالعُدْمِ، علَّ الذي طَرا
يظنُّ لنا مالاً، فَيوسِعَنا ذَمَّا،
فروَّى قليلاً، ثم أحجَمَ بُرهةً
وإِن هو لم يذبح فَتاه، فقد هَمَّا

وقـال: هَـيَـا ربّـاهُ! ضـيـفٌ ولا قِـرىً!
بِحقِّكَ، لا تَحرمْه تَا اللَّيلةَ اللّحما.

فبيناهُمُ، عَنَّت على البعد عانَةٌ
قد انتظمَتْ من خلف مِسْحَلِها نظما
ظِماءً تُريد الماءَ، فانسابَ نحوها
على أنه منها إلى دَمِها أَظْما
فأمهلها حتَّى تروَّت عِطاشُها
فأرسل فيها من كِنانتِه سَهْما.
... فيا بِشْرَه، إذ جَرَّها نحو أهلِهِ
ويا بِشْرهم لمَّا رأوا كَلْمَها يَدْمى!

سُوَيْد بن أبي كاهِل اليشكريّ

١ ـ خواطر

بَسَطت رابعةُ الحبلَ لنا
فوصلنا الحبلَ منها ما اتَّسَعْ

حرَّةٌ تجلو شتيتاً واضحاً
كشعاع الشَّمس في الغيم سَطَعْ

صقلتْه بقضيبٍ نَاضرٍ
مِن أراكٍ طيِّبٍ حتَّى نَصَعْ

أبيضَ اللَّون لذيذاً طعمُه
طيِّبَ الرِّيقِ إذا الرِّيق خَدَعْ

تمنح المرآةَ وجهاً واضِحاً
مثلَ قرن الشمس في الصَّحو ارتفعْ،

لا أُلاقيها، وقلبي عندها
غيرَ إلمامٍ إذا الطّرف هَجَعْ . . .

مات نحو ٦٨٠م = ٦٠هـ.

وكـــذاك الـــحـــبُّ مـــا أشـــجـــعـــه
يـــركـــب الـــهـــول ويَـــعـــصـــي مَـــن وَزَعْ،
فـــأبـــيـــت الـــلَّـــيـــلَ مـــا أرقُـــده
ويُـــعَـــنِّـــيـــنـــي إذا نـــجـــمٌ طـــلـــعْ
وإذا مـــا قـــلـــت لـــيـــلٌ قـــد مـــضـــى
عـــطـــف الأوَّل مـــنـــه فـــرجـــعْ
يـــســـحـــبُ الـــلَّـــيـــلُ نـــجـــومـــاً ظُـــلَّـــعـــاً
فَـــتـــوالـــيـــهـــا بَـــطـــيـــئـــاتُ الـــتَّـــبَـــعْ
ويُـــزجِّـــيـــهـــا عـــلـــى إبـــطـــائِـــهـــا
مُـــغْـــرَبُ الـــلَّـــونِ، إذا الـــلَّـــيـــل انْـــقَـــشَـــعْ.

كـــيـــف بـــاسْـــتـــقـــرار حُـــرٍّ ســـاخِـــطٍ
بـــبـــلادٍ لـــيـــسَ فـــيـــهـــا مُـــتَّـــســـعْ؟
لا يُـــريـــد الـــدَّهـــرَ عـــنـــهـــا حِـــوَلاً
جُـــرِّع الـــمـــوتَ، ولـــلـــمـــوتِ جُـــرَعْ،
رُبَّ مَـــن أنـــضـــجْـــتُ غـــيـــظـــاً صـــدرَه
قـــد تـــمـــنّـــى لـــي شـــرّاً لـــم يُـــطَـــعْ
ويـــرانـــي كـــالـــشَّـــجـــا فـــي حَـــلْـــقـــهِ
عَـــسِـــراً مـــخـــرجُـــه مـــا يُـــنْـــتَـــزَعْ

مُـــزْبِــدٌ يــخــطِــر مــا لـــم يَـــرَنـــي
فــإذا أسْــمــعــتــه صــوتــي انــقــمَــعْ
ويُـــحـــيِّـــيـــنـــي إذا لاقـــيـــتُـــهُ
وإذا يَــخْــلــو لــه لــحــمــي رَتَــعْ...

... فَــرَّ مِــنِّــي، هــاربــاً شــيــطــانُــه
حــيــث لا يُــعــطــي ولا شــيــئــاً مَــنَــعْ
فَـــرَّ مـــنِّـــي حـــيـــث لا يـــنـــفــعُــه
مُــوقَــر الــظــهــر ذلــيــلَ الــمــتَّــضَــعْ
سَـــاجــدَ الـــمـــنـــخـــر لا يـــرفـــعـــه
خــاشــع الــطَّــرفِ أصَــمّ الــمــسْــتَــمــعْ
وأرى مــــنِّــــي مــــقــــامــــاً صــــادقــــاً
ثــابــت الــمــوطــنِ كَــتَّــامَ الــوجَــعْ
ولِــســانــاً صَــيْــرفــيّــاً صــارمــاً
كــحــسام الــسَّــيــفِ، مــا مَــسَّ قَــطَــعْ.

مالك بن الرّيب المازني

١ ـ مرثية شخصية

. . . تذكّرتُ من يبكي عليَّ فلم أجدْ
سوى السَّيف والرُّمح الردينيّ باكِيا
فيا صاحِبَيْ رَحْلي، دنا الموت فانزلا
برابيةٍ، إنِّي مُقيمٌ لياليا
أَقيما عَلَيَّ اليوم أو بعض ليلةٍ
ولا تعجلاني، قد تبيَّن ما بيا
وخُطَّا بأطراف الأسنَّة مضجعي
وردَّا على عينيَّ فَضْل ردائيا
ولا تحسداني، بارك اللَّه فيكما،
من الأرض ذات العَرْض أن تُوْسِعا لِيا
خُذاني فجُرَّاني بِبُرْدي إليكما
فقد كنتُ قبل اليوم صعباً قِياديا.

كان فارساً فاتكاً. هجا الحجاج. لدغته أفعى في طريقه إلى خراسان فمات نحو ٦٨٠م = ٦٠هـ. (يروى أن الجن وضعت قصيدته اليائية مكتوبة تحت رأسه بعد موته).

٢ ـ إلى الطغاة

... فإنَّ لنا عنكم مَراحاً ومَزْحَلاً

بِعيسٍ إلى ريحِ الفَلاةِ صوادي ـ

ففي الأرض عن دار المذلّةِ مَذْهَبٌ

وكلّ بلادٍ أَوْطَنَتْ، كبلادي.

أبو زُبَيْد الطَّائي

١ ـ صورة شخصية

أيُّ ساعٍ سَعَى لِيقطع شِرْبي
حين لاحت للِصَّابحِ الجَوْزاءُ
واسْتَكنَّ العصفور كرهاً مع الضَّبّ
وأَوْفى في عودهِ الحرباءُ
ونفى الجندبُ الحَصَا بكراعَيْهِ
وأذكتْ نيرانَها المِعْزاءُ
مِن سَمومٍ كأنَّها نَفْخُ نارٍ
سعَّرتها الهجيرة العَمَّاء،
. . . وإذا أهلُ بلدةٍ أنكروني
عَرَفَتْني الدَّوِّيةُ المَلْساءُ.

اسمه المنذر، وقيل حرملة. اشتهر بجماله. أدرك الإسلام ولم يسلم. مات في الرقة نحو ٦٨٢م = ٦٢هـ.

٢ ـ صورة وصفية

وأنـتَ امـرؤٌ مِـنّـا، خُـلِـقْـتَ لِـغـيـرنـا

حـيـاتُـك لا تُـرجَـى، ومـوتُـكَ فـاجِـعُ.

٣ ـ الموت شر جديد

. . . كــلَّ مــيــتٍ قــد اغــتــفــرتُ،

فــلا أجــزعُ مِــن والــدٍ ولا مَــولُــودٍ،

رُبَّ مُـسْـتَـلْـحِـمٍ عـلـيـه ظِـلالُ الـمـوتِ،

لــهــفــانَ، جــاهــدٍ مَــجْــهــودِ

خــارجٍ نــاجِــذاهُ، قــد بَــرَد الــمــوتُ

عــلــى مُــصــطَــلاهُ أيّ بُــرودِ

غــابَ عــنــه الأدنــى وقــد وردَتْ

سُــمْــر الــعــوالــي إلــيــه أيّ وُرودِ،

ثــمَّ أنــقــذَتــهُ وفَــرَّجْــتَ عــنــه

بَــغَــمــوسٍ أو ضَــرْبــةٍ أُخْــدودِ

يَـشْـتـكـيـهـا: بِـقَـدْكَ! إذ بـاشَـرَ الـمـوتَ

جــديــداً، والــمــوت شــرّ جــديــدِ.

أبو دَهْبَل الْجُمَحِيّ

١ ـ أمنية(*)

أَقولُ، والرَّكْبُ قد مَالتْ عمائِمُهم
وقد سَقى القَومَ كأسَ النَّعْسةِ السَّهَرُ

يا ليتَ أَنِّي بأثوابي وراحِلتي
عَبدٌ لأهلكِ، هذا الشَّهرَ، مُؤْتَجرُ،

... جِنِّيةٌ، أَوْلَها جِنٌّ يُعلِّمها
رَمْيَ القلوبِ بقوْسٍ مَا لَها وَتَرُ.

٢ ـ كآبة

... وَبِتُّ كئيباً ما أَنَامُ كأَنَّما
خِلالَ ضلوعي جَمْرةٌ تَتَوهَّجُ

اسمه وهب. اشتهر بجماله وبحبه لامرأة اسمها عمرة كان يجتمع إليها الشعراء لإنشاد الشعر والكلام عليه. مات نحو ٦٨٢م = ٦٣هـ.

(*) أبيات من قصيدة تروى أيضاً لمحمد بن بشير الخارجي.

فَطَوْراً أُمَنِّي النَّفسَ مِن عَمْرَةَ المنى
وطوراً إذا ما لجَّ بي الحزن أَنْشِجُ.

٣ ـ سحر

إن كان هذا السِّحْرُ منكِ فلا
تُرْعي عَليَّ، وجَدِّدي السّحْرا.

٤ ـ نسوان

وصافيتُ نِسْواناً فلم أَرَ فيهمُ
هوايَ ولا الودّ الذي كنتُ أعلمُ
أليس عجيباً أن نكونَ ببلدةٍ
كلانا بها ثَاوٍ، ولا نتكلَّمُ؟

٥ ـ ولقد قلت(*)

ولقد قلتُ، إذ تَطاوَلَ سُقْمي
وتقلَّبتُ ليلتي في فنونِ:
ليتَ شعري أَمِن هَوىً طار نومي
أم بَراني الباري قصير الجفون؟

(*) من أبيات تروى أيضاً لعبد الرحمن بن حسان.

٦ ـ إلى عاتكة

أَتَنْسينَ أَيَّامي بِرَبْعكِ مُدْنَفاً
صريعاً بأرض الشَّامِ، ذا سَقَمٍ، مُلْقى
وليس صَديقٌ يُرْتَضى لِوَصيَّةٍ
وأدعو لدائي بالشَّرابِ، فما أُسْقى
وأكبر هَمِّي أن أرى لك مُرْسَلاً
فطولَ نهاري جالِسٌ أرقبُ الطُّرْقا،
فواكَبِدي، إذ ليس لي منكِ مَجْلِسٌ
فأشكو الذي بي مِن هواكِ وما أَلْقى.

٧ ـ ندم

فوا نَدَمي أَنْ لم أَعُجْ إذْ تقول لي
تَقَدَّم فَشيِّعْنا إلى ضحْوَةِ الغَدِ، ـ
فَأصبحْتُ مِمَّا كان بيني وبينها
سوى ذكرِها، كالقابِضِ الماءَ باليدِ.

٨ ـ الخط

... وليتَ للِنَّاسِ خَطّاً في وجوهِهمُ
تَبينُ أخلاقُهم فيه إذا اجتمعوا.

معن بن أوس المزنيّ

قرابة

وذي رَحِمٍ قَلَّمتُ أظفارَ ضِغْنِهِ
بِحلْميَ عنه، وهو ليس له حِلْمُ
يُحاوِلُ رَغْمي، لا يُحاول غيرَه
وكالموتِ عندي أن يحلّ به الرَّغمُ.

إذا سمْتُه وصْلَ القرابة، سامَني
قطيعَتها ـ تلك السَّفاهَةُ والظّلمُ
فما زلتُ في لينٍ له وتعطّفٍ
عليه، كما تحنو على الولَدِ الأمُّ
لأَسْتَلّ منه الضِّغْنَ حتى اسْتَلَلْتُهُ
وقد كان ذا حِقْدٍ يضيقُ به الجِرْمُ.

مات نحو ٦٨٣م = ٦٤هـ.

عمرو بن أحمر الباهلي

١ ـ ملّوا البلاد وملّتهم

لـسـنـا بـأجـسـاد عـادٍ فـي طـبـائِـعـنـا
لا نـألـم الـشـرَّ حـتَّـى يـألَـمَ الـحـجَـرُ، ـ

. . . إن نـحـن إلاَّ أُنـاسٌ أهـل سـائـمـةٍ
مـا إن لـنـا دونـهـا حـرثٌ ولا غـررُ
مـلُّـوا الـبـلادَ ومـلَّـتْـهـم وأَحْـرقـهـم
ظُـلـم الـسُّـعـاةِ، وبـاد الـمـاءُ والـشَّـجَـرُ.

٢ ـ عينان

أَبَـتْ عـيـنـاكَ إلاَّ أن تـلـجَّـا
وتـخـتـالا بـمـائـهـمـا اخـتـيـالا
. . . وَهَـى خَـرزَاهُـمـا فـالـمـاء يـجـري
خـلالـهـمـا ويـنـسـلّ انـسـلالا.

مات نحو ٦٨٥م = ٦٥هـ.

عَديّ بن حاتم الطَّائيّ

١ـ شيخوخة

أصــبــحــتُ لا أنــفــعُ الــصَّــديــقَ ولا
أمــلــكُ ضــرّاً لــلِــشَّــانــىءِ الــشَّــرِسِ
وإن جــرى بـــي الــجــواد مُــنــطــلِــقــاً
لــم تــمــلــكِ الــكــفُّ رجــعــةَ الــفــرسِ.

٢ ـ استسلام

ســـأتـــركُ مـــا أردتُ لـــمـــا أَردتُـــمْ
وردُّكَ مَـــنْ عـــصـــاكَ مِـــن الـــعـــنـــاءِ
لأنِّـــي مِـــن مـــســـاءَتِـــكُـــمْ بـــعـــيـــدٌ
كَـــبُـــعـــد الأرضِ مـــن جـــوِّ الـــسَّـــمـــاءِ
وإنـــي لا أكـــونُ بـــغـــيـــر قـــومـــي
فـــلـــيـــس الـــدَّلـــوُ إلاّ بـــالـــرِّشـــاءِ.

مات نحو ٦٨٧م = ٦٨هـ.

الأُبَيْرِد الريّاحي اليَرْبوعيّ

مرثية أخ

ولـمَّـا نَـعـى الـنَّـاعـي بُـرَيْـداً تَـغـوَّلَـتْ
بِيَ الأرضُ، فَرْطَ الحزنِ، وانقطعَ الظَّهرُ
عَـسـاكِـرُ تـغـشـى الـنَّـفـسَ حـتَّـى كـأَنـني
أخـو سَـكْـرةٍ طـارَتْ بـهـامـتـهِ الـخَـمْـرُ.

لم يمتدح أحداً. مات نحو ٦٨٨م = ٦٨هـ.

قيس بن ذَرِيح

١ ـ بعد لبنى

يقولونَ: لُبْنى فِتْنَةٌ، كنتَ قبلَها
بخيرٍ، فلا تَندمْ عليها وطَلِّقِ،

كأنِّي أرى النَّاس المحبِّين بعدَها
عُصارةَ ماءِ الحنْظَلِ المتَفَلِّقِ
فَتُنْكِرُ عيني بعدَها كلَّ مَنْظَرٍ
ويكرَهُ سَمْعي بعدَها كلّ مَنْطِقِ.

٢ ـ غراب البين

لقد نادى الغرابُ بِبَيْنِ لُبْنى
فطار القلب مِن حَذَر الغُرابِ

اشتهر بحبه للبنى، تزوجها ثم طلقها بضغط من أبويه لأنها لم تنجب له ولداً. وأمضى بقية حياته يتحسر على طلاقها. حين ماتت بكى على قبرها حتى أغمي عليه، ويروى أنه بقي لا يكلم أحداً حتى مات بعد ذلك بثلاثة أيام، نحو ٦٨٨م = ٦٨هـ.

وقــال: غَــداً تَــبــاعَــدُ دارُ لُــبْــنــى
وتَــنــــأى بــــعــــد ودٍّ واقــــتــــرابِ.

٣ ـ غراب البين

أَلا يـا غـرابَ الـبَـيْـنِ وَيْـحَـكَ نَـبِّـنـي
بِـعـلـمـكَ فـي لُـبْـنـى، وأنـتَ خَـبـيـرُ
فـإن أنـتَ لـم تُـخْـبِـر بـمـا قـد عـلـمـتَـه
فــلا طِــرْتَ إلاَّ والــجَــنــاحُ كــســيــرُ
وَدُرْتَ بــأعــداءٍ حــبــيــبُــكَ فــيــهــمُ
كــمــا قــد تــرانــي بــالــحــبــيــبِ أدورُ.

٤ ـ اسم لبنى

ومــا أَحْــبَــبْــتُ أرضــكــمُ ولــكــن
أُقَــبِّــل إِثْــرَ مــن وَطِــىءَ الــتُّــرابــا
لـقـد لاقـيـتُ مِـن كَـلَـفـي بِـلُـبـنـى
بَــلاءً مــا أُســيــغ بــهِ الــشَّــرابــا
إذا نــادى الــمــنــادي بِــاسْــمِ لُــبــنــى
عَــيِــيــتُ، فــمــا أُطــيــقُ لــه جــوابــا.

٥ ـ كلام لبنى

ولــو أنِّــي قَــدرْتُ غَــداةَ قــالــت:
غَــدرْتَ، ومــاءُ مُــقْــلَــتِــهــا يَــســيــلُ
نَــحــرْتُ الــنَّــفــسَ حــين ســمــعــتُ مــنــهــا
مــقــالــتــهــا، وذاكَ لــهــا قــلــيــلُ،
شَــفــيــتُ غــلــيــلَ نــفــســيَ مِــن فِــعــالــي
ولــم أغــبــرْ، بــلا عَــقْــلٍ أجــولُ.

٦ ـ ذكرى لبنى

... وتَــنــفَّــسْــتُ إذ ذكــرتُــكِ حــتَّــى
زالــتِ الــيــومَ عــن فــؤادي ضُــلــوعــي
أَتَــنــاســاكِ كــي يُــريــغَ فــؤَادي
ثــمَّ يَــشــتَــدُّ عــنــد ذاكَ ولــوعــي.

٧ ـ يقر بعيني (*)

يــقــرُّ بــعــيــنــي قــربــهــا ويَــزيــدنــي
بــهــا كــلَــفــاً، مَــن كــان عــنــدي يَــعــيــبُــهــا

(*) البيتان ينسبان أيضاً للمجنون العامري.

وكـم قـائـلٍ قَـدْ قـال: تُـبْ، فَـعـصـيـتُـه
وتـلـك لَـعـمـري تَـوْبَـةٌ لا أَتُـوبُـهـا.

٨ ـ لبنى والصيد

إذا خَـدِرت رِجْـلـي تـذكّـرْتُ مَـنْ لـهـا
فـنـاديْـتُ لُـبـنـى بـاسْـمِـهـا ودعـوتُ
دعـوتُ الـتـي لـو أَنَّ نَـفـسـي تُـطـيـعـني
لـفـارقـتُـهـا مِـن حـبّـهـا وقَـضـيْـتُ
بَـرَت نـبـلَـهـا لِـلـصَّـيـدِ لُـبْـنى وريَّـشَـتْ
وريَّـشْـتُ أُخـرى مـثـلَـهـا وبَـرَيْـتُ
فـلـمّـا رمـتْـنـي أَقْـصَـدَتْـني بِـسَـهْـمِـهـا
وأَخـطـأتُـهـا بـالـسّـهـمِ حـيـن رَمـيْـتُ،
وفـارقْـتُ لـبـنـى ضَـلّـةً، فـكـأنّـنـي
قُـرِنـتُ إلـى الـعـيُّـوقِ ثـمَّ هَـوَيْـتُ.

٩ ـ بعد الموت

تـعـلَّـق روحـي روحَـهـا قـبـل خَـلْـقِـنـا
ومِـن بَـعـدِ ما كـنَّـا نِـطـافـاً، وفـي الـمـهـدِ
فـزادَ كـمـا زِدنـا فـأصـبـح نـامِـيـاً
ولـيـس إذا مـتْـنـا بـمُـنْـصَـرِمِ الـعـهـدِ

ولـــكـــنَّـــه بـــاقٍ عـــلـــى كـــلِّ حـــادثٍ
وزائـرنـا فـي ظـلـمـةِ الـقـبـرِ والـلَّـحـدِ.

١٠ ـ لقد خفت

لـقـد خِـفْـتُ أَلاّ تـقـنعَ الـنَّـفـس بـعـدَهـا
بـشـيءٍ مِـن الـدُّنـيـا، وإن كـان مـقْـنـعـا
وأَزجـرُ عـنـهـا الـنَّـفـسَ، إذ حِـيـل دونـهـا
وتـأبـى إلـيـهـا الـنَّـفـسُ إلاَّ تـطـلـعـا.

١١ ـ هول الحب(*)

تَـهـيَّـضـنـي مِـن حـبِّ لُـبْـنـى عـلائِـقٌ
وأَصْـنـافُ حـبٍّ هَـوْلُـهـنَّ عـظـيـمُ
أَفـي الـحـقِّ هـذا أنَّ قـلـبـكِ فـارغٌ
صَـحـيـحٌ، وقـلـبـي فـي هـواكِ سَـقـيـمُ؟

١٢ ـ وإن تك لبنى

وإن تَـكُ لُـبْـنـى قـد أَتـى دون قُـرْبِـهـا
حـجـابٌ مَـنـيـعٌ مـا إلـيـهِ سـبـيـلُ

(*) البيتان ينسبان أيضاً للمجنون العامري.

فـإنَّ نـسـيـمَ الـجَـوِّ يـجـمـعُ بـيـنَـنـا
ونُـبـصـر قَـرْنَ الـشَّـمـسِ حيـن تَـزولُ

وأرواحُـنـا بـالـلَّـيـلِ فـي الـحَـيِّ تـلـتـقـي
ونـعـلـم أَنَّـا بـالـنَّـهـار نَـقـيـلُ

وتَـجـمـعُـنـا الأرضُ الـقـرارُ وفـوقَـنـا
سَـمـاءٌ نـرى فـيـهـا الـنُّـجـومَ تـجـولُ.

١٣ ـ راحة اليأس

ويـومَ مِـنـىً أَعْـرضـتِ عـنِّـي فـلـم أقـل
بـحـاجـةِ نَـفْـسٍ عـنـد لـبـنـى مَـقـالُـهـا

وفـي الـيـأسِ لـلِـنـفـسِ الـمـريـضـةِ راحَـةٌ
إذا الـنَّـفـسُ رامـت خُـطَّـةً لا تَـنـالُـهـا.

١٤ ـ الحريق

بِـلُـبـنـى أُنَـادَى عـنـد أَوَّلِ غَـشْـيَـةٍ
ويـثـنـي بـهـا الـدَّاعـي لـهـا فَـأفـيـقُ،

إذا أنـا عَـزَّيـت الـهـوى أو تـركـتُـه
أَتَـت عَـبَـراتٌ بـالـدّمـوعِ تَـسـوقُ

كـأنَّ الـهـوى بـيـن الـحـيـازيـم والـحَـشـا
وبـيـن الـتّـراقـي والـلَّـهـاةِ، حَـريـقُ.

١٥ ـ لقد عذبتني

لـقـد عـذّبـتَـنـي يَـا حُـبَّ لُـبْـنـى
فَـقَـعْ إِمَّـا بـمـوت أو حـيـاةِ،
وقـال الأقـربـونَ: تَـعَـزَّ عـنـهـا
فـقـلـت لـهـم إذاً، حـانَـت وفـاتـي.

١٦ ـ بين الحشا والنحر

... وبيـن الـحَشـا والنَّحـرِ مني حَرارَةٌ
ولَـوْعـةُ وجْـدٍ تـتركُ الـقـلـبَ سَـاهِـيـا،
ألا لـيـتَ لُـبْـنـى لـم تـكـن لِـيَ خُـلَّـةً
ولـم تَـرَنـي لُـبْـنـى، ولـم أَدْرِ مـا هِـيـا.

١٧ ـ أعالج من نفسي

أُعـالِـجُ مِـن نـفـسـي بـقـايـا حُـشـاشَـةٍ
عـلـى رمَـقٍ والـعـائـداتُ تَـعـودُ
فـإن ذُكِـرت لُـبْـنـى هَـشِـشْـتُ لـذِكـرهـا
كـمـا هَـشَّ لـلِـثَّـدي الـدَّرُورِ ولـيـدُ،
أُجـيـبُ بِـلُـبْـنـى مَـن دعـانـي، تـجـلّـداً
وبـي زَفَـراتٌ تَـنـجـلـي وتـعـودُ.

١٨ ـ نهاري نهار الوالهين

تُبكِّي على لبنى، وأنتَ تركتَها
وكنتَ كآتٍ غَيَّهُ وهو طائِعُ
كأنك بِدْعٌ لم ترَ النَّاس قبلَها
ولم يطّلِعْك الدَّهرُ في مَنْ يُطالِعُ،
نَهاري نَهارُ الوالِهينَ صبابَةً
وليليَ تَنْبو فيه عنِّي المضاجِعُ
فلولا رَجاءُ القَلب أن تُسْعف النَّوى
لَما حَبَسَتْهُ بينهنَّ الأَضالِعُ
لَه وَجَباتٌ إثْرَ لُبنى كأنَّها
شَقَائِقُ بَرْقٍ في السَّماءِ لوامِعُ.

١٩ ـ النوم(*)

وإنِّي لأَهْوى النَّومَ في غير حينهِ
لَعلّ لِقاءً في المنام يكونُ
وإنَّ فؤَادي لا يلينُ إلى هوى
سواكِ، وإن قالوا: بَلى سيلينُ.

(*) البيتان ينسبان أيضاً للمجنون العامري.

٢٠ ـ أصناف الحب

أُحبّكِ أَصْنافاً من الحبِّ لم أجد
لها مَثَلاً في سائرِ النَّاسِ يُوصَفُ
فمنهنَّ حبٌّ للحبيبِ ورَحْمةٌ
بمعرفتي منه بما يَتَكَّلفُ
ومَنهنَّ ألاَّ يَعرضَ الدَّهرَ ذِكرها
على القلب، إلاَّ كادت النَّفس تَتْلَفُ
وحبٌّ بدا بالجسم واللَّونِ ظاهِرٌ
وحبٌّ لدى نفسي من الرُّوحِ أَلْطَفُ.

عبيد اللّه بن الْحُرّ الْجُعْفيّ

١ ـ أقول لفتيان

أقــولُ لِـفــتــيــانٍ مــســاعــر إسْــرَحــوا
بـأمـوالـكـم، أو تـهـلـكـوا في الـهـوالـكِ
فـمـن يَـكُ أمـسـى الـزَّعـفـرانُ خـلـوقَـه
فـإنَّ خـلـوقـي مُـسْـتَـثـارُ الـسَّـنـابـكِ.

٢ ـ لا مبالاة

إذا كـنـتَ ذا رمـحٍ وسـيـفٍ مـصـمّـمٍ
عـلـى سـابـحٍ، أدنـاكَ مِـمَّـا تـؤَمِّـلُ
وإنّـك إِن لا تَـرْكـبِ الـهـولَ لا تَـنـلْ
من المالِ ما يكفي الصديقَ ويفضلُ،
إذا الـقِـرنُ لاقـانـي ومـلّ حـيـاتَـه
فـلـسـتُ أبـالـي أيّـنـا مـاتَ أوَّلُ.

كان قائداً من الشجعان الأبطال. خاف أن يؤسر مرة فألقى نفسه في الفرات، فمات غريقاً، نحو ٦٨٧م = ٦٨هـ.

٣ ـ البديل

أَلـم تَـرَنـي بِـعـتُ الإقـامـةَ بـالـسُّرى
وليـنَ الـحـشـايـا بـالـجـيـادِ الـضّـوامـرِ
أَريـنـي فـتـىً يـغـنـي غـنـائـي ومـوقـفـي
إذا رهَـجَ الـوادي بـوقْـعِ الـحـوافـرِ.

٤ ـ أبناء الليل

ولـلَّـيـلِ أبـنـاءٌ ولـلِـصُّـبـح إخـوةٌ
وأبـنـاء لـيـلـي مـعـشـري وقَـبـيـلـي
إذا نـطـقـوا لـم يُـسْـمَـع الـلّـغـوُ بـيـنـهـم
وإن غـنـمـوا لـم يـفـرحـوا بـجـزيـلِ
ومـا خـنـتُ سـيـفـي فـي الـلّـقـاءِ ولا نَـبـا
عـلـيّ إذا مـا سُـدَّ كـلُّ سـبـيـلِ.

المجنون

١ ـ حب لا ينتهي

وقالوا: لو تَشاءُ سلوتَ عنها
فقلتُ لهم، فَإنِّي لا أَشَاءُ
لها حُبٌّ تَنَشَّأَ في فؤادي
فليسَ له، وإِن زُجِرَ، انتهاءُ.

٢ ـ اليأس والأمل

وجِئتُ فلم أنطقْ، وعدتُ فلم أُطِقْ
جَواباً ـ كِلا يوميَّ يومُ عَياءِ
فيا عَجبي ما أشبهَ اليأسَ بالمُنى
وإن لم يكونا عندنا بِسَواءِ.

اسمه قيس. اشتهر بحبه لليلى حتى الجنون. أمضى أواخر أيامه هائماً، وكان قومه يتركون له طعاماً في الأماكن التي ينتقل فيها. وذات يوم وجد ميتاً في واد كثير الحجارة، وذلك نحو ٦٨٨م = ٦٨هـ.

٣ ـ العاشق

... فَبُعْدٌ ووجْدٌ واشتِياقٌ ورجفَةٌ
فلا أنتِ تُدْنيني، ولا أنا أقربُ
كعُصْفورةٍ في كفِّ طفلٍ يزمُّها
تذوقُ حياضَ الموتِ، والطّفل يلعبُ
فلا الطّفل ذو عَقْلٍ يرقّ لِما بِها
ولا الطّير ذو ريشٍ يطيرُ فيذهَبُ،
ولي أَلفُ وجهٍ قد عرفْتُ طريقَه
ولكن بلا قَلْبٍ إلى أين أَذَهَبُ؟

٤ ـ الهودج

أَحُجّاجَ بيتِ اللَّهِ، في أيّ هَوْدَجٍ
وفي أيّ خِدْرٍ من خُدورِكُمُ قلبي؟

ومُغْتَرِبٍ بالمَرْجِ يبكي بِشَجْوهِ
وقد غابَ عنه المُسعِدونَ على الحبِّ
إذا ما أَتَاهُ الرّكبُ من نحو أَرضهِ
تنفَّس يَسْتَشْفي برائحةِ الرّكْبِ.

٥ ـ الصدى

... فأصبحْتُ مِن ليلى الغداةَ كناظرٍ
مع الصّبحِ في أعقابِ نجمٍ مُغَرِّبِ،
أَلا إنّما غادرْتِ يا أُمَّ مالِكٍ
صَدىً، أينما تَذْهبْ بهِ الرّيحُ يَذْهَبِ.

٦ ـ الحمامة والوجد(*)

أَلا قاتَلَ اللَّه الحمامَةَ غُدوةً
على الغُصْنِ، ماذا هيَّجت حين غَنَّتِ
فما سكنتْ حتى أويتُ لصوتِها
وقلتُ: أرى هذي الحمامةَ جُنَّتِ،

أيا مُنْشِر الموتى، أَعِنِّي على التي
بها نَهلت نفسي سقاماً وعلّتِ
لقد بخلَت حتى لو انّي سألتُها
قَذى العينِ من سافي التّراب، لَضَنَّتِ
وما وجدُ أعرابيّةٍ قذفَتْ بها
صروف النّوى مِن حيث لم تَكُ ظَنَّتِ

(*) نسبت بعض هذه الأبيات في الأغاني، إلى أعرابي.

بـأكـثـرَ مـنـي لـوعـةً، غـيـر أنــنـي
أُجَـمْـجِـمِ أَحْـشـائي عـلـى مـا أَجَـنَّـتِ.

٧ ـ القلب(*)

كـأَنَّ الـقـلـبَ لـيـلـةَ قِـيـلَ يُـغـدى
بـلـيـلـى الـعـامـريّـةِ أو يُـراحُ
قَـطَـاةٌ عَـزَّهـا شَـرَكٌ فـبـاتَـتْ
تُـجـاذِبُـهُ وقـد عَـلِـقَ الـجَـنـاحُ
لـهـا فَـرْخـانِ قـدْ تُـرِكـا بِـقَـفْـرٍ
وعـشُّـهُـمـا تُـصَـفِّـقُـه الـرِّيـاحُ.

٨ ـ حسد

أَرى الإزارَ عـلـى لـيـلـى فـأحـسـده
إنَّ الإزارَ عـلـى مـا ضَـمَّ مَـحْـسـودُ.

٩ ـ ثياب

زَهـا جِـسْـمُ لـيـلـى فـي الـثِّـيـابِ تَـنـعّـمـاً
فـيـا لـيـتَـنـي لـو كـنـتُ بـعـضَ بُـرودِهـا.

(*) تنسب هذه الأبيات أيضاً إلى نصيب.

١٠ ـ لذّة الحبّ

تَشكّى المحبُّون الصَّبَابة، ليتني
تحمَّلتُ ما يلقون، من بينهم وَحْدي
وكانت لِنفسي لذَّة الحبِّ كلّها
فلم يلْقَها قبلي مُحِبٌّ ولا بَعْدي.

١١ ـ الحجر

... ومُنْجَدِلاً كالحَبْلِ من سَوْرَةِ الكَرى
يَرى الحَجر الملقى فراشاً مُمَهَّدا.

١٢ ـ الدمع

وممّا شجاني أنَّها يومَ ودّعت
تولّتْ، وماء العينِ في الجَفْنِ حائِرُ
فلمَّا أعادت مِن بعيدٍ بنظرةٍ
إليَّ التفاتاً، أَسْلَمَتْه المحاجِرُ.

١٣ ـ الدمع أيضاً(*)

متى يستريحُ القلبُ، إمّا مُجاوِرٌ
حزينٌ، وإِمَّا نازِحٌ يَتذكَّرُ،

(*) من أبيات يتنازعها في الرواية أكثر من شاعر ـ بينهم أبو حية النميري والحارثي وسوَّار بن عبد اللّه القاضي.

نظرتُ، كأنّي من وراءِ زجاجةٍ
إلى الدَّار، مِن ماء الصَّبابةِ أنظرُ
بعينين، طوراً يغرقان مِن البُكا
فأعشى، وطوراً يحسرانِ فَأُبْصِرُ
وليس الذي يجري من العينِ ماؤُها
ولكنَّها نفسٌ تذوبُ وتقطُرُ.

١٤ ـ الوشاة

أمسى وشاتُكَ قد دَبَّت عَقارِبُها
وقد رموكَ بعين الغِشّ وابتَدَرُوا
تُريكَ أعينُهم ما في صدورِهمُ
إنَّ الصّدورَ يؤَدِّي غيبَها النَّظَرُ.

١٥ ـ سرب القطا

شكوتُ إلى سِرْب القَطا، إذْ مَرَرْنَ بي
فقلتُ، ومثلي بالبُكاءِ جديرُ
أَسِرْبَ القَطا، هل مِن مُعيرٍ جناحَه
لَعلّي إلى مَن قد هويتُ أطيرُ.

وإنِّـي لِـنَـارٍ، دونَـهـا رَمْـلُ عـالِـجٍ
على ما بِعيني مِن قَذىً، لَبَصيرُ
كأنَّ نسيمَ الرِّيحِ حين يُنيرها
كَنجْمٍ خفيٍّ في الظَّلامِ يُنيرُ،
فيا ربِّ هَبْ نفسي لِنَفْسي، ودَاوِني
بليلى، لِتُجْلَى كُرْبَةٌ وزفيرُ.

١٦ ـ اسم ليلى

ودَاعٍ دعا إذ نحنُ بالخيفِ من مِنىً
فَهيَّج أحزانَ الفؤادِ وما يَدري
دعا بِاسْم ليلى غيرَها فكأنّما
أَطار بليلى طائراً كان في صَدْري...

ولو أنّني، إذ حانَ وقْتُ حِمَامِها
أُحَكّمُ في عُمْري لقاسمْتُها عُمْري
فحلَّ بنا الفقدانُ في ساعَةٍ معاً
فمتّ ولا تدري، وماتت ولا أدري.

١٧ ـ الجن

وجاؤوا إليه بالتَّعاويذ والرُّقَى
وصبُّوا عليه الماءَ مِن أَلَم النكسِ،
وقالوا: بهِ من أعين الجنِّ نظرةٌ
ولو عقلوا، قالوا: بهِ نظرة الإنْسِ.

١٨ ـ شبيه ليلى

وذكّرنني مَن لا أبوحُ بذكرهِ
محاجِرُ خِشْفٍ في حبائلِ قانِصِ
فقلتُ، ودمع العينِ يَجْري بِحُرْقَةٍ
ولَحْظي إلى عينيهِ لحظَةُ شاخصِ
أَلا أَيُّهذا القانِصُ الخِشْفَ خَلّهِ
وإن كنتَ تأباهُ، فخذْ بقلائِصي.

١٩ ـ وإني لأهواها

إذا جاءَني منها الكتابُ بعينهِ
خلوتُ ببيْتي حيث كنتُ من الأرضِ
فأبكي لِنفسي رحْمَةً مِن جفائِها
ويبكي من الهِجران بعضي على بَعْضي

وإنِّـي لأهـواهـا مُـسِـيـئـاً ومُـحْـسِـنـاً
وأقضي على نفسي لها بالذي تَقْضي.

٢٠ ـ كأن فؤادي

كـأنَّ فـؤَادي فـي مـخـالـبِ طـائـرٍ
إذا ذُكِـرت لـيـلـى، يـشـدُّ بـهِ قَـبْـضـا
وتُـضـحي فِـجاج الأَرض حَـلْقَـةَ خاتَـمٍ
عَـلـيَّ، فـمـا تـزداد طـولاً ولا عَـرْضـا
وأُغْشى فَيُحْمى لي من الأَرض مضجَعي
وأُصْـرَع أحـيـانـاً فـألـتـزم الأَرضـا.

٢١ ـ الزجاجة

فـقـلـت لأَصـحـابـي ودمـعـيَ مُـسْـبَـلٌ
وقـد صـدَع الـشَّـمـل الـمشـتَّـت صـادِعُ
ألـيـلـى بـأبـواب الـخـدور تَـعـرَّضَـتْ
لِـعينيَ أم قَـرْنٌ مِـن الـشَّـمـس طـالِـعُ؟
وأنـتِ الـتـي صـيَّـرتِ جـسـمـي زُجـاجـةً
تَـنِـمُّ عـلـى مـا تـحـتـويـهِ الأَضـالِـعُ.

٢٢ ـ وأتبع ليلى[*]

وأتْبَعُ ليلى حيث سارت وودَّعت
وما النَّاس إلاّ آلِفٌ ومُودِّعُ
كأنَّ زِماماً في الفؤَادِ مُعلَّقاً
تقودُ بهِ حيث استَمرَّت فأتْبَعُ
أبيتُ بِروْحاتِ الطَّريق كأنَّني
أخو جِنَّةٍ أوصالُه تَتقطَّعُ.

٢٣ ـ الخصيم والشّافع

ومَا بِنْتُ إلاَّ خاصمَ البينَ حبُّها
بِحالَيْنِ مِن قلبٍ مُطيعٍ وسامعِ
تَبارَك رَبِّي كم لليلى إذا انْتَحت
بها النَّفسُ عندي مِن خصيمٍ وشافعِ،
فأصبحتُ منِ ليلى الغَداةَ كقابضٍ
على الماء خانَتْهُ فُروجُ الأَصابعِ.

(*) نسبت هذه الأبيات في الأغاني إلى عمر بن سعيد بن زيد.

٢٤ ـ الطريق

أردُّ سـواءَ الـطَّـرفِ عـنـكِ ومـالَـه
عـلـى أحـدٍ، إلاّ عـلـيـكِ، طـريـقُ.

٢٥ ـ أقول لظبي

أقـولُ لِـظـبْـيٍ مَـرَّ بـي وهـوَ راتِـعٌ
أأنـتَ أخـو لـيـلـى، فـقـالَ: يُـقـالُ
أَيـا شِـبْـهَ لـيـلـى إِنَّ لـيـلـى مَـريـضـةٌ
وأنـتَ صَـحـيـحٌ، إِنَّ ذا لَـمُـحـالُ.

٢٦ ـ البين

أَمُـزْمِـعـةٌ لـلـبـيـنِ لـيـلـى ولـم تـمـت
كـأَنَّـك عـمَّـا قـد أَظَـلَّـك غـافِـلُ
ستـعـلـمُ إن شَـطّـت بـهـم غُـربْـةُ الـنَّـوى
وزالـوا بـلـيـلـى، أنَّ لـبَّـك زائِـلُ.

٢٧ ـ متاهة الحبّ

أظـنُّ هـواهـا تَـارِكـي بِـمَـضَـلَّـةٍ
مِـن الأَرض، لا مَـالٌ لـديَّ ولا أَهْـلُ

ولا صاحِبٌ أشكو إليه بَليَّتي
ولا وارثٌ إلاَّ المَطِيَّةُ والرَّحلُ.

٢٨ ـ ضياع

إني لأَجلسُ في النَّادي أُحدِّثُهم
فأسْتَفيق، وقد غالَتْنِيَ الغُولُ
يُهْوِي بقلبي حديثُ النَّفس نحوكمُ
حتى يقولَ جليسي: أنتَ مَخْبُولُ.

٢٩ ـ الهوى المتجدّد

ولو أَصبَحتْ ليلى تدبُّ على العَصا
لَكانَ هوى ليلى جديداً أَوائِلُهْ.

٣٠ ـ يا ليتَ أنّنا

تَعلَّقْتُ ليلى وَهْي غِرٌّ صَغيرةٌ
ولم يَبْدُ للأَترابِ من ثَدْيِها حَجْمُ
صغيرينِ نَرْعَى البَهْمَ يا ليتَ أَنَّنا
إلى اليومِ لم نكبَرْ ولم تكْبَرِ البَهْمُ.

٣١ ـ تمتّع بليلى

تَـمـتَّـعْ بـلـيـلـى، إنَّـمـا أَنـتَ هَـامَـةٌ
مِـن الـهَـامِ يـدنـو كـلَّ يـومٍ حِـمَـامُـهـا
تَـمـتَّـعْ إلـى أن يـرجـعَ الـرَّكْـبُ إنّـهـم
متـى يَرْجعـوا يَـحـرُمْ عـليـكَ، كـلامُـهـا.

٣٢ ـ الموت اليومي

عـجـبـتُ لِـعُـرْوة الـعُـذْرِيَّ أمـسـى
أَحـاديـثـاً لِـقـومٍ بـعـدَ قَـوْمِ
وعُـروةُ مـاتَ مـوتـاً مُـسْـتَـريـحـاً
وهـا أَنـذا أَمـوتُ بـكـلِّ يـومِ.

٣٣ ـ تمام الحج

إذا الـحُـجَّـاجُ لـم يَـقِـفُـوا بـلـيـلـى
فـلـسـتُ أرى لـحِـجِّـهـمُ تـمـامَـا
تَـمـامُ الـحَـجّ أَن تَـقِـف الـمـطـايـا
عـلـى لـيـلـى وتُـقْـرِيَـهـا الـسَّـلامـا.

٣٤ ـ الموت والحب

لَـو انَّ لـك الـدُّنـيـا ومـا عُـدِلـت بـهِ
سِـواهـا، ولـيـلـى بـائِـنٌ عـنْـكَ بَـيْـنُـهـا
لـكـنـتَ إلـى لـيـلـى فـقـيـراً وإنّـمـا
يـقـودُ إلـيـهـا وُدَّ نَـفْـسِـكَ حَـيْـنُـهـا.

٣٥ ـ الحنين

أَحِــنُّ إذا رأيــتُ جِــمــالَ قَــومــي
وأبـكـي إن سَـمِـعْـتُ لـهـا حـنـيـنَـا
سـقـى الـغـيـث الـمـجـيـدُ بلادَ قَـوْمـي
وإن خَــلَــتِ الــدِّيــارُ وإنْ بَــلــيــنــا.

٣٦ ـ إذا نظرت

إذا نَـظَـرتْ عـرفـتُ الـجـيـدَ مـنـهـا
وعـيـنـيْـهـا، ولـم نـعـرفْ سِـواهـا
كَـرِهْـنـا أن نُـفَـزِّعَـهـا فـقـلـنـا
أَشَـلّ الـلّـه كَـفَّـيْ مَـن رَمـاهـا.

٣٧ ـ ماذا يُظَنّ بليلى(*)

مـاذا يُـظَـنُّ بـلـيـلـى إذ أَلَـمَّ بـهـا
مَـرَجّـلُ الـرأسِ ذو بُـرْدَيْـنِ مَـزَّاحُ
حـلـوٌ فُـكـاهَـتُـه، خَـزٌّ عـمـامـتـه
فـي كـفِّـه مِـن رُقـى إبـلـيـس مِـفـتـاحُ؟

٣٨ ـ النهاية

خَـلـيـلـيَّ مُـدَّا لـي فـراشـيَ وارْفـعـا
وسـادي ـ لَـعَـلَّ الـنَّـومَ يُـذهـبُ مـا بِـيـا
خـلـيـلـيَّ قـد حـانَـت وفـاتِـيَ فـاطـلـبـا
لِـيَ الـنَّـعـشَ والأَكـفـانَ واسْـتَـغْـفِـرا لِـيـا.

(*) ينسب هذان البيتان لأعرابي.

أبو الأسود الدُّؤلي

١ ـ امرأة

يعيبونَها عندي، ولا عيبَ عندها
سوى أنَّ في العينين بعض التأخّرِ
فإن يَكُ في العينين سوءٌ، فإنَّها
مُهَفْهَفَةُ الأعلى رَدَاحُ المؤخَّرِ.

٢ ـ صديق

... أخاً لَكَ إن طال التَّنائي وجدتَهُ
نَسِيّاً، وإن طال التَّعاشُرُ مَلَّكا،
ولو كنتَ سيفاً يُعجب النَّاسَ حدُّهُ
وكنتَ له يوماً مِن الدَّهر فَلّكا
ولو كنتَ أَهْدى النَّاسِ ثم صَحبتَه
وطاوعتَه، ضَلَّ الهوى وأضَلَّكا

اسمه ظالم. أول من وضع النحو ورسم أصوله. مات بالطاعون نحو ٦٩١م = ٦٩هـ.

إذا جئتَه تبغي الهدى، خَالفَ الهدى
وإنْ جُرْتَ عن باب الغوايةِ دَلَّكا.

٣ ـ سكوت

سأسكتُ حتَّى تحسبونيَ أَنَّني
مِن الجهد في مَرْضاتِكمْ، مُتَماوِتُ.

٤ ـ البعد والقرب

أَبَتْ نَفسي له إلاّ اتِّباعا
وتأبى نفسُهُ إلاَّ امتناعا
كِلانا جاهِدٌ، أدنو وينأى
فذلك ما استطعْتُ وما استطاعا.

٥ ـ الحبيبة العجوز

أبى القلبُ إلاّ أُمَّ عَوْفٍ وحبَّها
عجوزاً، ومن يحببْ عجوزاً يُفَنَّدِ
كَسَحْق يَمانٍ، قد تَقادَمَ عهدُه
ورُقْعَتُه ما شئتَ في العينِ واليدِ.

٦ ـ حبيبة ثانية

... وظـنَّـتْ بـأنّـي كـلّ مـا رَضـيـتْ بـهِ
رضيتُ بهِ، يـا جَـهْـلَـهـا كـيـفَ ظـنَّـتِ!
وصـاحَـبْـتُـهـا مـا لـو صَـحِـبْـتُ بـمـثـلـهِ،
عــلــى ذعــرِهــا، أُرْوِيّــةً لاطــمــأَنّــتِ،
تَــشَــكّــى إلــى جــاراتِــهــا وبــنــاتِــهــا
إذا لــم تــجــد ذنــبــاً عــلــيــنـا تَـجـنَّـتِ.

ألــم تــعــلــمــي أنّــي إذا خِــفْــتُ جَــفْــوةً
بــمــنــزلــةٍ، أبــعــدتُ مــنــهــا مــطــيَّــتــي
وأنِّــي إذا شَــقَّــت عــلــيَّ حــلــيــلــتــي
ذَهَــلْــتُ، ولــم أَحْــنِــنْ إذا هِــي حَــنَّــتِ.

يزيد بن مُفَرِّغ الحِميْري

١ ـ أيها المالِكُ

أيُّـها الـمـالِـكُ الـمُـرَهِّـب بِـالـقـتـل،

بـلـغـتَ الـنَّـكـالَ كـلَّ الـنـكـالِ

وقـرنـتُـمْ مـع الـخـنـازيـرِ هِـرّاً

ويـمـيـنـي مـغـلـولَـةٌ وشـمـالـي

وكِـلابـاً يَـنْـهَـشْـنَـنـي مِـن ورائـي

عَـجِـب الـنَّـاس مـا لـهـنَّ ومـالـي؟

يَـغـسـلُ الـمـاء مـا صـنـعـتَ، وقـولـي

راسِـخٌ مـنـكَ فـي الـعِـظـامِ الـبـوالـي.

حبسه عبيد اللَّه بن زياد، وقرن بهرة وخنزيرة وكان قد أسهل بطنه فأخذ يسلح وهو يطاف به في شوارع البصرة والصبيان يتبعونه. كان يكتب شعره على حيطان سجنه فيؤمر أن يمحوه بأظافره فزالت، ثم صار يمحوه بعظامه ودمه. مات نحو ٦٨٨م = ٦٩هـ.

٢ ـ كلاب

... فلو أنَّ لَحمي إذ هَوى، لَعِبت بهِ

كِـــرامُ الـــمـــلـــوكِ، أو أُســـودٌ وأَذْؤُبُ

لَـهُـوِّن وجـدي، أو لَـزادت بَـصـيـرتـي

ولـكـنّـمـا أَوْدَت بِـلـحـمـيَ أَكْـلُـبُ، ـ

فـقـل لِـعُـبـيْـدِ الـلَّـهِ: مـالَـكَ والِـدٌ

بِـحَـقٍّ، ولا يـدري امْـرُؤٌ كـيف تُـنْـسَـبُ؟

أبو قَطيفة

١ ـ بُكاء

بــكــى أُحُــدٌ لــمَّــا تَــحــمَّــلَ أهــلُــهُ
فــكــيــف بــذي وَجْــدٍ مــن الــقــومِ آلِــفِ؟

٢ ـ كآبة

أقــطــعُ الــلَّــيــلَ كــلّــه بِــاكْــتــئــابٍ
وزفـــيـــرٍ، فـــمـــا أكـــادُ أَنـــامُ
نــحــو قــومــي، إذ فَــرَّقــت بــيــنــنــا الــدَّارُ
وحـــادَتْ عـــن قـــصـــدِهـــا الأَحـــلامُ.

اسمه عمرو. نفاه ابن الزبير عن المدينة إلى الشام، فكتب شعراً يحن به إليها، مما جعل ابن الزبير يعفو عنه ويسمح له بالعودة، لكنه في طريق عودته توفي حوالى ٦٩٢م = ٧٠هـ.

٣ ـ رحيل

ومـا أخـرجَـتْـنـا رغـبـةٌ عـن بـلادِنـا
ولـكـنَّـه مـا قَـدَّر الـلَّـه كـائِـنُ
أَحِـنُّ إلـى تـلـك الـوجـوه صَـبـابَـةً
كـأَنِّـي أسِـيـرٌ فـي الـسَّـلاسـلِ راهِـنُ.

زُفَر بن الحارث الكلابيّ

الأعداء

... فَلمَّا قَرعنا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بعضَه
بِبَعْضٍ، أَبَت عِيدانُه أَنْ تَكَسَّرا،
ولمَّا لقينا عُصْبةً تغلبيَّةً
يقودونَ جُرْداً لِلمنيَّةِ ضُمَّرا
سقيناهُمُ كأساً سَقَوْنا بِمثلِها
ولكنَّهم كانوا على الموتِ أَصْبَرا.

توفي نحو ٦٩٥م = ٧٥هـ.

أُميَّة بن أبي عائِذ الْهُذَلي

خيال

... خَيالٌ لِجَعْدَة قدْ هَاجَ لي
نُكاساً من الحبِّ بعد اندِمالِ
تَسَدَّى مع النَّوم تِمثالُها
دُنوّ الضَّبابِ بِطَلٍّ زُلالِ
فباتَت تُسائِلُنا في المنَام
وأَحْبِبْ إليَّ بِذاكَ السُّؤالِ.

فقد هاجني ذِكرُ أُمِّ الصَّبيِّ
من بعد سُقْمٍ طويلِ المِطالِ
ومَرِّ المنونِ بأمرٍ يَغُولُ مِن
رُزْءِ نَفْسٍ ومن نَقْصِ مالِ،
وقِدْماً تَعلّقْتُ أُمّ الصَّبيِّ
مِنِّي على عَزَفٍ واكتهالِ.

توفي نحو ٦٩٥م = ٧٥هـ.

القتَّال الكلابيّ

١ ـ صورة وصفية

إذا هَـمَّ هَـمّـاً لـم يـرَ الـلَّـيـل غُـمَّـةً
عليـهِ، ولـم تـصعب عـلـيه الـمراكِبُ.

٢ ـ الدّاء والدواء

وإنــي لَـيـدْعُـونـي إلـى طـاعـة الـهـوى
كـواعـبُ أَتْـرابٌ مِـراضٌ قـلـوبُـهـا
بِـهِـنَّ مـن الـدَّاء الـذي أنـا عـارِفٌ
ومـا يـعـرف الأَدواء إلاَّ طـبـيـبُـهـا.

٣ ـ تنكر الهارب

أَلا، هـل أتـى فـتـيـانَ قـومـيَ أنـنـي
تـسمَّيتُ، لـما اشتـدَّتِ الـحربُ، زينبا؟

اسمه عبد اللّه. من المتمردين الفتاكين. عاش في البادية. مات حوالى ٦٩٥م = ٧٥هـ.

وأدنيت جلبابي على نَبْتِ لحيتي
وأبدْيتُ للقوم البنانَ المخضَّبا.

٣ ـ باب السجن

... ولمَّا رأيت البابَ قد حِيل دونه
وخفتُ لِحاقاً من كتابٍ مؤَجَّلِ
رددْتُ على المكروه نفساً شَرِيسةً
إذا وُطِّنت، لم تَسْتَقِدْ للِتذلّلِ
وكالِىءُ باب السِّجن ليس بمنْتهٍ
وكان فراري منه ليس بِمُؤتلِ.

إذا قلتُ: رَفّهْني من السِّجن ساعةً
تدارَكْ بها نعمى عَليَّ وأَفْضِلِ
يشدُّ وثاقي عابِساً ويتلُّني
إلى حَلَقاتٍ في عمودٍ مُرَمَّلِ.

٥ ـ إلى عالية

أَعاليَ، لو أشكو الذي قد أصابَني
إلى غُصُنٍ رَطْبٍ، لأصبحَ باليا.

قَطِرِيُّ بن الفُجاءَة

١ ـ صورة شخصية

يـا رُبَّ ظِـلِّ عُـقـابٍ قـد وقَـيْـتُ بـهِ
مُـهْـري مـن الـشَّـمـس والأَبـطـالُ تـجْـتَـلِـدُ
ويـومِ لَـهْـوٍ لأَهـلِ الـخَـفْـضِ ظَـلَّ بـهِ
لَـهْـوي اصـطـلاءَ الـوغـى، إذ نَـارُهُ تَـقِـدُ
مُـشَـهِّـراً مـوقـفـي والـحـربُ كـاشِـفَـةٌ
عـنـهـا الـقـنـاعَ، وبـحـرُ الـموتِ يَـطَّـرِدُ،
وربَّ هـاجـرةٍ تَـغْـلـي مـراجـلُـهـا
مَـخَـرْتُـهـا بـمـطـايـا غـارَةٍ تَـخِـدُ،
فإن أَمُـتْ حـتْـفَ أنْـفـي، لا أَمُـتْ كـمَـداً
علـى الـطِّـعـانِ، وقَـصْـرُ الـعـاجـزِ الـكـمَـدُ
ولـم أَقُـلْ: لـم أُسَـاقِ الـمـوتَ شـاربَـه
فـي كـأسـهِ، والـمـنـايـا شُـرَّعٌ وُرُدُ.

كان فارساً شجاعاً. قال أبو عبيدة بصدد شعره: هذا الشعر! لا ما تعللون به أنفسكم من أشعار المخانيث! قتل في إحدى معاركه فقطع رأسه وحمل إلى الحجاج وذلك حوالى ٦٩٧م = ٧٨هـ.

٢ ـ لماذا الخوف؟

أقول لها، وقد طارت شَعاعاً،
مِن الأَبطالِ وَيْحَكِ لا تُراعي
فإنَّكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ
على الأَجَلِ الذي لكِ، لن تُطاعي.

٣ ـ حان الموت

إلى كم تُغازِيني السُّيوفُ ولا أرى
مُغازاتها تدعو إليَّ حِمامِيا
ولو قَرَّب الموتَ القِراعُ، لقد أَنَى
لِموتيَ أَنْ يدنْو، لِطولِ قِراعيا.

٤ ـ الموت الغنيمة

أَخَضْتُهُمُ بحرَ الحِمامِ، وخُضْتُهُ
رجاءَ ثوابٍ لا رجاءَ المغانمِ
فَأُبْنا وقد حُزْنا النِّهابَ ولم نُرِدْ
سوى الموتِ غُنْماً وابْتِناءِ المكارِمِ.

سُراقة البارقيّ

١ ـ امرأة

يُـضـيءُ دُجَـى الـظَّـلام بَـريـقُ فـيـهـا
وتُـبـصِـرُ، حـيـن تـبـتـسـمُ ابـتـسـامـا
تُــدِلُّ بِــحـسْـنِـهـا وسـطَ الـعـذارى
وتَـسْـتَـغـنـي، فـمـا تـبـغـي لـثـامـا.

٢ ـ الحياة والموت

مـتـى مـا تَـلْـقَ بـي خـيـلاً تـداعـى
ودونَ فِـراقـهـا وجَـعٌ ومـوتُ
فـلـسـتُ بـكـارهٍ لـلِـقـاء ربِّـي
ولا فَـرحِ الـفـؤادِ، إذا نـجـوتُ.

توفي نحو ٧٩هـ.

الأقَيشر الأسَديّ

١ ـ ما هذا الغضب؟

سَأَلَ الشُّرْطيُّ أن نَسقيهُ
فسقيناه بأُنْبوبِ القَصَبْ،
إنَّما نشرَبُ مِنْ أَموالِنا
فَسلوا الشُّرطيَّ: ما هذا الغَضَبْ؟

٢ ـ الخمرة الشافية

ومُقْعَدِ قَومٍ قد مَشى من شَرابِنا
وأَعمى سقيناه ثَلاثاً فَأَبْصَرا
... لها مِن زجاج الشَّامِ عُنْقٌ غريبَةٌ
تَأنّق فيها صانِعٌ وتخيَّرا.

اسمه المغيرة. كان خليعاً مدمناً شرب الخمر. وكان يرشو الشرطة دائماً ليتخلص من السجن. وكان، في ما يقال، عنيناً. مات نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

٣ ـ فراق الندامى

غُلِبَ الصَّبرُ فاعْتَرتْني هُمومٌ
لِفِراق الثِّقاتِ مِن إخواني
مات هذا وغاب هذا، وهذا
دائِبٌ في تِلاوة القرآنِ
ولقد كان قَبل إِظهاره النُّسْكَ
قديماً، مِن أَظْرفِ الفِتْيانِ.

٤ ـ دوْمَةُ الخَمَّارة

أَلا يا دَوْمُ، دامَ لكِ النَّعيمُ
وأسمرُ ملءُ كفِّكَ مُسْتَقيمُ
شديدُ الأَسْرِ يَنْبِضُ حالِباهُ
يُحَمُّ كأنّه رجُلٌ سَقيمُ
يُرَوِّيهِ الشَّراب فيزدهيهِ
وينفخ فيه شَيطانٌ رجيمُ.

٥ ـ غَزْوة

إلى جَيشِ أَهل الشَّامِ أُغْزيتُ كارِهاً
سَفاهاً، بلا سيفٍ حديدٍ ولا نَبْلِ

فـأزمَـعْـتُ أمْـري، ثـم أصـبـحْـتُ غـازِيـاً
وسـلَّـمْـتُ تـسـلـيـمَ الـغُـزاةِ عـلـى أَهْـلـي
وقـلـتُ، لَـعَـلِّـي أَن أُرى ثَـمَّ راكِـبـاً
عـلـى فَـرَسٍ، أَو ذا مَـتَـاعٍ عـلـى بَـغْـلِ،

فـسـرنـا إلـى قـنِّـيـنَ يـومـاً ولـيـلـةً
كـأنّـا بَـغـايـا مـا يَـسِـرْنَ إلـى بَـعْـلِ
إذا مـا نَـزلْـنـا، لـم نَـجِـدْ ظِـلَّ سـاحَـةٍ
سِوى يابِس الأَنْهارِ، أَو سَعَفِ النَّخْلِ.

الحارث بن خالد المخزوميّ

١ ـ دار الحبيبة

لَــو بُــدِّلــت أَعــلــى مــســاكِــنــهــا
سُــفْــلاً، وأَصــبــحَ سُــفْــلُــهــا يَــعْــلُــو

لَـعـرفْـتُ مَـغْـنـاهـا بـمـا احْـتَـمَـلَـتْ
مِـنِّـي الـضُّـلـوعُ لأَهـلِـهـا، قَـبْـلُ...

٢ ـ إلى الخليفة

صَـحِـبـتُـكَ إذ عَـيْـنـي عـلـيـهـا غِـشـاوَةٌ
فلـمَّـا انْـجلَـتْ، قَـطَّـعْـتُ نـفـسي أَلُـومُـهـا

ومَـا بـي وإن أَقْـصَـيْـتَـنـي، مـن ضَـراعـةٍ
ولا افْـتَـقَـرتْ نـفـسي إلـى مَـن يَـضـيـمُـهـا.

اشتهر بحبه لعائشة بنت طلحة. مات نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

حُرَيث بن عَنَّاب الطَّائيّ

١ـ الحبّ والحبيبة

يـا وَيْـحَ كـلِّ مـحـبٍّ، كـيـف أرحـمُـه
لأَنَّــنـي عــارِفٌ صِــدْقَ الــذي يَـصِـفُ،
كـأنَّــهـا رِيــشــةٌ فــي عــرضِ بَـلْـقَـعـةٍ
مِنْ حيـثُـمـا واجَـهـتْـهـا الـرِّيـحُ تَـنْـصَـرِفُ
يُنْسي الـخَـلـيـلـيْنِ طول النَّأْيِ بينهـمـا
وتَـلْـتَـقـي طُـرَفٌ شَـتَّـى فَـتَـأْتَـلِـفُ.

٢ ـ الدِّين والسيف

إذا الـدِّيـنُ أَوْدى بـالـفـسـادِ، فـقـلْ لـه
يَـدَعْـنـا، وركْـنـاً مِـن مَـعَـدٍّ نُـصـادِمُـهْ
بـبـيـضٍ خِـفـافٍ مُـرْهـفـاتٍ قـواطـعٍ
لِــداؤُودَ فــيــهـا، أَثْــرُهُ وخــواتِــمُــهْ،
إذا نــحــن سِــرْنـا بــيــن شَـرْقٍ ومَـغْـرِبٍ
تــحــرَّكَ يَـقْـظـانُ الـتُّـرابِ ونـائِـمُـهْ.

عاش في البادية، ولم يكن يهجو ولا يمدح. مات نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

أبو صَخْر الْهُذَلي

١ ـ الفارس فُضَيْلة

رأيـتُ فُـضَـيْـلـةَ الـقُـرَشـيَّ لـمَّـا
رأيـتُ الـخـيـلَ تُـشْـجَـرُ بـالـرِّمـاحِ
ورنَّـقَـتِ الـمـنـيَّـةُ فـهـي ظِـلٌّ
عـلـى الأبـطـالِ دانـيـةُ الـجَـنـاحِ،
فـكـانَ أَشَـدَّهـم قـلـبـاً وبـأسـاً
وأَصْـبَـرَ فـي الـحـروبِ عـلـى الـجـراحِ.

٢ ـ امرأة

لـقـد تَـركـتْـنـي أحـسـدُ الـوحـشَ أن أرى
أَلِـيـفـيْـنِ مـنـهـا، لا يـروعـهـمـا الـذُّعْـرُ
فـيـا حُـبَّـهـا زِدْنـي جـوىً كـلَّ لـيـلـةٍ
ويـا سَـلْـوةَ الأيَّـامِ مـوعـدكِ الـحَـشْـرُ،

اسمه عبد اللَّه. مات نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهر بيني وبينها
فلمَّا انْقَضى ما بينَنا، سَكَنَ الدَّهرُ
وما هُوَ إلاَّ أَن أَراها فُجاءةً
فأَبْهَتَ ـ لا عُرْفٌ لديَّ ولا نُكْرُ.

٤ ـ إلى الحبيبة

ويقرّ عيني ـ وهْيَ نازِحةٌ
ما لا يقرُّ بعينِ ذي الحِلْمِ ـ
أَنّي أَرى وأظنّ أَنْ سَتَرى
وَضَحَ النَّهار وعالِيَ النَّجْمِ.
وَلَلَيْلَةٌ منها تَعودُ لنا
مِن غيرِ ما رَفَثٍ ولا إِثْم
أَشهى إلى نَفسي ولو نَزَحتْ
مِمَّا ملكتُ ومن بني سَهْمِ،
قَدْ كان صَرْمٌ في المماتِ لنا
فَعَجِلْتِ قبل الموتِ بِالصَّرْمِ
فَتعلَّمي أنْ قد كلِفتُ بكم
ثمَّ افْعلي ما شئتِ عَن عِلْمِ.

طَهْمان بن عمرو الكِلابيّ

ليلى(*)

ومـا بِـيَ عـن لـيـلـى سلـوٌّ ومـا لـهـا
تَـلاقٍ، كـلانـا الـنَّـأيَ سـوف يَـذُوقُ

سَـقـاكِ، وإن أصـبـحْـتِ واهـيـة الـقُـوى
شـقـائِـقُ عَـرْضٍ مـا لـهـنَّ فـتـوقُ.

ونُـبِّـئـتُ لـيـلـى بـالـعـراقِ مـريـضـةٌ
فـمـاذا الـذي تُـغـنـي، وأنـتَ صـديـقُ؟

سقـى اللَّـه مَـرضـى بـالـعـراقِ فـإنـنـي
عـلـى كـلِّ شـاكٍ بـالـعـراقِ شَـفـيـقُ.

... لَعلَّك بعدَ القيد والسِّجن أَن تُرى
تـمـرّ عـلـى لـيـلـى، وأنـتَ طـلـيـقُ.

من الشعراء اللصوص. توفي نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

(*) من قصيدة تنسب أيضاً للفأفاء بن حيان الكلابي.

ألا طَرقت ليلى، على نأي دارِها،
وليلى على شَحْطِ المزار طَرُوقُ
أسيراً يعضّ القيدُ ساقيهِ فيهما
مِن الحَلقِ السُّمْرِ اللّطاف وثيقُ.

ليلى الأخيليَّة

١ ـ إلى عاشق

وذي حاجَةٍ قلنا له: لا تَبُحْ بها
فليس إليها ما حييتَ سبيلُ
لنا صاحِبٌ لا ينبغي أن نخونَهُ
وأنتَ لأُخْرى، فارغٌ وحَليلُ.

٢ ـ الحجاج

إذا هَبَطَ الحجَّاجُ أرضاً مَرِيضةً
تَتَبَّعَ أَقْصى دائِها فَشَفاها.

٣ ـ صورة وصفية

ومُخَرَّقٍ عنه القميصُ تَخالُهُ
بين البيوتِ من الحياءِ سَقيما
حتَّى إذا رُفِعَ اللَّوِيُّ رأيتَه
تحت اللَّوِيِّ، على الخميسِ زعيما.

توفيت نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

الشَّمَرْدل بن شُرَيك

مرثية أخ

... وتـحـقـيـقَ رؤيـا فـي الـمَـنـامِ رأيـتُـهـا
فـكـان أخـي رُمْـحـاً تَـرَفَّـضَ عـامِـلُـهْ
بِـمَـثْـوىً غـريـبٍ، لـيـس مِـنَّـا مَـزارُه
قـريـبـاً، ولا ذو الـودّ مِـنّـا يُـواصِـلُـهْ
إذا مـا أتـى يـومٌ مـن الـدَّهـر بـيـنَـنـا
فـحـيَّـاكَ مِـنَّـا شـرقُـهُ وأصـائِـلُـهْ
تـحـيَّـةَ مَـنْ أَدَّى الـرِّسـالـةَ ـ حُـبِّـبـتْ
إلـيـنـا، ولـم تَـرجـع بـشـيء رسـائِـلُـهْ.

وكـنـتُ أُعـيـرُ الـدَّمـعَ قـبـلَـكَ مَـن بـكـى
فـأنـتَ عـلـى مَـن مـات بـعـدكَ شـاغِـلُـهْ.

توفي نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

مَيْسون بنت بَحْدل الكلبيَّة

البادية والمدنية

لَـبـيـتٌ تـخـفـقُ الأرواحُ فـيـه
أحـبّ إلـيَّ مِـن قـصـرٍ مُـنـيـفِ،
ولـبْـس عـبـاءَةٍ وتـقَـرّ عـيـنـي
أحـبّ إلـيَّ مـن لـبـس الـشّـفـوفِ،
وأصـواتُ الـرِّيـاح بـكـلِّ فـجٍّ
أحـبّ إلـيَّ مـن نَـقْـرِ الـدّفـوفِ،

... خُشونة عيشتي في البدو أشهى
إلـى نـفـسـي مـن الـعـيـش الـظَّـريـفِ
فـمـا أبـغـي سـوى وطـنـي بـديـلاً
فـحـسـبـي ذاكَ مـن وطـنٍ شـريـفِ.

وصفها ابن عساكر بالذكاء والورع. زوجة معاوية وأم ابنه يزيد. بقيت بدوية الروح، فقال لها معاوية مرة: «أنت في ملك عظيم، وما تدرين قدره، وكنت قبل اليوم في العباءة». توفيت نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

عبد الرحمن بن حسان

١ ـ حلقة الخاتم

كــأنَّ فــؤادي فــي مــخــالــب طــائــرٍ
إذا ذكــرتْــكِ الــنَّــفس شــدَّ بــهــا قــبــضــا
كــأنَّ فِــجــاجَ الأرض حــلْــقــة خــاتــمٍ
عــلــيَّ، فــمــا تــزداد طــولاً ولا عــرضــا.

٢ ـ دعتني أخاها

دَعَــتْــنــي أخــاهــا أُمُّ عــمــروٍ ولــم أكــن
أخــاهــا، ولــم أرضــع لــهــا بــلــبــانِ
دعــتــنــي أخــاهــا بــعــدمــا كــان بــيــنــنــا
مــن الأمــر، مــا لا يــفــعــلُ الأخــوانِ.

تغزل ببنت معاوية. لا يعرف تاريخ موته.

جميل بثينة

١ ـ جهاد الحبّ

إذا قلتُ: ما بي يا بُثَيْنَةُ قاتِلي
مِن الحبِّ، قالت: ثابِتٌ ويَزيدُ
وإن قلتُ: ردِّي بعضَ عَقْلي أَعِشْ بهِ
تولَّت، وقالت: ذاكَ منكَ بعيدُ!
فلا أنا مَرْدودٌ بما جِئْتُ طالِباً
ولا حبُّها، فيما يَبيدُ، يَبيدُ
وأَفْنَيتُ عمري بانْتِظارِيَ وعدَها
وأَبْلَيْتُ فيها الدَّهرَ وهو جديدُ،
ويحَسب نِسوانٌ، مِن الجهل، أنّني
إذا جِئْتُ، إيَّاهنَّ كنتُ أُريدُ
يموتُ الهوى مِني إذا ما لَقِيتُها
ويحيا، إذا فارقتُها فيعودُ.

اشتهر بحبه العذري لبثينة. مات نحو ٧٠١م = ٨٢هـ.

يقولون: جاهِدْ يا جميلُ بِغَزْوةٍ
وأَيّ جهادٍ، غيرهنَّ، أُريدُ
لكلِّ حديثٍ بينهنَّ بَشاشَةٌ
وكلّ قتيلٍ عندهنَّ شَهيدُ.

٢ ـ يقولون

يقولون: مَسْحورُ يُجَنُّ بذكرِها
وأُقْسِمُ ما بي من جنونٍ ولا سِحْرِ،
مضى لي زَمانٌ، لو أُخَيَّر بينه
وبين حياتي خالداً آخِرَ الدَّهْرِ
لَقلتُ: ذَرُوني ساعةً وبُثَيْنَةً
على غَفْلَةِ الواشين، ثمَّ اقْطَعوا عُمْري.
إذا ما نظمتُ الشِّعر في غير ذكرِها
أَبى، وأبيها، أن يُطاوِعني شعري.

٣ ـ إلى بثينة

... ويكونُ يومٌ لا أَرى لكِ مُرسَلاً
أَو نَلْتقي فيهِ، عَليَّ كأَشْهُرِ
يا لَيْتَّني أَلقى المنيَّةَ بَغْتةً
إنْ كان يومُ لقائِكم لم يُقْدَرِ،

لا تَحسبي أَنِّي هجرتُكِ طائِعاً
حَدَثٌ، لَعمركِ، رائِعٌ أن تُهْجَري،
يهواكِ، ما عشتُ، الفؤَادُ، فإن أمتْ
يَتْبَعْ صَداي صَداكِ بين الأقْبُرِ.

إني إليكِ بما وعدتِ لَناظِرٌ
نَظَر الفقيرِ إلى الغَنِيّ المُكْثِرِ
ما أنتِ والوعد الذي تَعِدينني
إلاَّ كَبْرق سحابَةٍ لم تُمْطِرِ.

٤ ـ نظرة

تَمتَّعتُ منها، يَوْمَ بانوا، بِنَظْرَةٍ
وهل عاشِقٌ مِن نَظْرَةٍ يَتَمَتَّعُ؟
كفى حَزَناً للمرء ما عاش أنَّه
بِبَيْنِ حبيبٍ، لا يَزالُ يُروَّعُ
فوا حَزَنا، لو ينفع الحزنُ أهلهُ
وواجَزَعا! لو كان لِلنَّفسِ مَجْزَعُ.

٥ ـ بثينة والبعد

أَرانــيَ لا أَلــقــى بُــثــيــنــةَ مــرَّةً
مِـن الـدَّهْـرِ، إلاَّ خـائِفـاً أو عـلـى رَحْـلِ
أَبـيـتُ مَـعَ الـهُـلاَّكِ ضَـيْـفـاً لأهـلِـهـا
وأَهْـلـي قَـريـبٌ مُـوسِـعـون ذَوُو فَـضْـلِ.
نـأيْـتُ، فـلـم يُـحْـدِث لِـيَ الـنَّـأيُ سَـلـوةً
ولـم أُلْـفِ طـولَ الـنَّأْيِ عـن خُـلَّـةٍ يُسْلـي
فـإن وُجِـدَتْ نَـعْـلٌ بـأرض مـضـلَّـةٍ
من الأَرض يوماً ـ فَاعْلمي أَنَّها نَعْلي.

٦ ـ نوم

وإِنِّـي لأَسْـتَـغْـشـي، ومـا بِـيَ نَـعْـسَـةٌ
لَـعَـلَّ لِـقـاءً فـي الـمـنـامِ يـكـونُ.

٧ ـ خوف ونسيان

لـقـد خِـفْـتُ أن أَلْـقـى الـمـنـيَّـةَ بَـغْـتـةً
وفـي الـنَّـفـس حـاجـاتٌ إلـيـكِ كـمـا هِـيـا
وإنـي لَـيُـنْـسِـيـنـي لـقـاؤُكِ كـلَّـمـا
لَـقِـيـتُـكِ يـومـاً أَنْ أَبـثَّـكِ مـا بِـيـا.

٨ ـ ضمان

أَرى كلَّ مَعْشوقَيْنِ، غيري وغيرها،
يلذَّانِ في الدُّنيا ويَغْتَبِطانِ
وأَمشي وتمشي في البلادِ كأنّنا
أسيرانِ للأَعداءِ مُرْتَهنانِ،
ضَمنْتُ لها أَنْ لا أهيمَ بغيرِها
وقد وَثِقت منِّي بغير ضَمانِ.

٩ ـ يقيك جميل

يَقيكِ جَميلٌ كلّ سوءٍ، أمَا لَهُ
لديكِ حديثٌ، أو إليكِ رسُولُ؟
فَإنْ لم يكن قَوْلي رضاكِ، فَعَلِّمي
هبوبَ الصَّبا، يا بَثْنَ، كيف أقولُ
فما غابَ عن عَيني خيالكِ لَحظةً
ولا زالَ عنها، والخيالُ يزولُ.

١٠ ـ فكيف كبرت؟

تقول بُثَيْنَةُ لمّا رأت
فُنوناً مِن الشَّعَرِ الأَحْمَرِ:

كـبـرتَ، جـمـيـلُ وأَوْدَى الـشَّـبـابُ،

فـقـلـتُ: بُـثَـيْـنَ، أَلا فـاقْـصُـرِي!

أَتـنـسـيـن أَيّـامَـنـا بـالـلِّـوى

وأَيّـامَـنـا بِـذوي الأجْـفَـرِ؟

لـيـالـيَ أنـتـم لـنـا جِـيـرةٌ

أَلا تـذكـريـنَ؟ بَـلـى، فـاذكـري...

وإذ أنـا أَغـيـدُ، غَـضُّ الـشَّـبـابِ،

أَجـرّ الـرِّداءَ مـع الـمِـئْـزَرِ

وإذ لِـمّـتـي كَـجـنـاحِ الـغـرابِ

تُـرَجَّـلُ بـالـمـسْـكِ والـعَـنْـبَـرِ،

فـغـيَّـر ذلـك مـا تَـعـلـمـينَ تـغـيُّـر

ذا الـزَّمـنِ الـمُـنـكَـرِ

وأنـتِ كَـلُـؤْلـؤَةِ الـمـرزُبَـانِ،

بـمـاءِ شـبـابـكِ ـ لـم تُـعْـصِـري

قـريـبـانِ مَـرْبَـعُـنـا واحِـدٌ

فـكـيـف كَـبِـرتُ ولـم تَـكْـبَـري؟

١١ ـ النهار والليل

أظـلّ نـهـاري مُـسْـتَـهـامـاً، ويَـلْـتَـقـي

مـع الـلّـيـلِ روحي في الـمـنـامِ وروحُـهـا

فهل ليَ في كتمانِ حبّيَ راحَةٌ
وهل تَنْفَعنّي بَوْحَةٌ لو أَبُوحُها؟

١٢ ـ مسك الحبيبة

كأنَّ فَتِيتَ المِسْك خالَط نَشْرهَا
تُغَلّ بهِ أَرْدَانُها والمرافِقُ
تقوم إذا قَامَتْ، بهِ، من فِراشِها
ويَغْدو بهِ مِن حَضْنِها مَنْ تُعانِقُ.

١٣ ـ مودة

... وتحتَ مَجاري الدّمع مِنّا مَودّةٌ
تُلاحِظُ سِرّاً ـ لا يُنادي وليدُها
رفعْتُ عن الدّنيا المنى غير ودِّها
فما أَسْأَلُ الدّنيا، ولا أَسْتزيدُها.

١٤ ـ القلب

أفي كلِّ يومٍ أنتَ مُحْدِثُ صَبْوةٍ
تَموتُ لها ـ بُدِّلتُ غيركَ مِن قَلْبِ!

١٥ ـ الحديث والنظر

لا والَّــذي تَــســجُــدُ الــجــبــاهُ لــه
مــالــي بــمــا دونَ ثَــوْبــهــا خَــبَــرُ
ولا بِــفــيــهــا، ولا هَــمَــمْــتُ بــهِ
مــا كــان إلاّ الــحــديــث والــنَّــظَــرُ.

فهرس الشعراء في الجزء الأول
(حسب التسلسل التاريخي)

بعد حوالى خمسين عاماً على صدور ديوان الشعر العربي بأجزائه الثلاثة، تعيد دار الساقي إصداره في طبعة مزيدة ومنقّحة في أربعة أجزاء.

لا يزال هذا العمل الكلاسيكي مصدراً لا غنى عنه للقارئ والباحث على السواء لأنه أسّس لذائقة عربية شعرية وجمالية جديدة، انبثقت من جدلية العلاقة بين التراث والحداثة، ومن نظرة جديدة إلى التراث الشعري العربي.



